مسرحيات عالمية

بعد السقوط

تأليف :
آرثر ميللر

ترجمة وتقديم :
على شلش

عدد ممتاز

المسرح العالمي

مسرحيات عالمية

نصف شهرية

بعد السقوط

تأليف:
آرثر ميللر

ترجمة وتقديم:
علي شلش

اقرتها لجنة المسرح العالمي

المسرح العالمي
هيئة الاذاعة والمسرح والموسيقى
الدار القومية للطباعة والنشر
الثقافة والارشاد القومي

١٥ فبراير سنة ١٩٦٦

بعد السقوط

AFTER THE FALL

by

ARTHUR MILLER

تأليف : آرثر ميللر

ترجمة وتقديم

علي شلش

شكر وتنويه

لايسعنى قبل أن أقدم هذه المسرحية وترجمتها الا أن أنوه باهتمام أعضاء لجنة المسرح العالمى بتقديمها ضمن سلسلة «مسرحيات عالمية» التى تقدم أرثر ميللر — بدورها — لأول مرة. وأخص بالذكر والشكر الدكتور محمد اسماعيل الموافى والدكتور شوقى السكرى الذى قام مشكورا بمضاهاة النص العربى على الأصل الامريكى، وكذلك أخص بالذكر والشكر الدكاترة والأساتذة محمد سمير عبد الحميد وعطية هيكل وأحمد عباس صالح. كما اشكر الدكتور جيمس هاتش استاذ الدراما الامريكى بمعهدى السينما والسيناريو الذى قضى بيننا عامين سافر بعدهما الى بلاده، فقد كان مرجعا لى فى بعض ما استغلق على فهمه من عبارات وتراكيب — أمريكية خالصة، وأخيرا أشكر صديقى الأستاذ رمسيس شكرى الذى قرأ الترجمة معى وأشار على ببعض الملحوظات، ولعلى بهذا أكون قد أديت دينا واجب الأداء.

«على شلش»

مقـــدمة
بقلم المترجم

١ ـ مدخل

قد يختصم الكثيرون حول أهمية بعض كتاب المسرح المعاصرين ؛ لكن مما لايختصم حوله اثنان أن أرثر ميللر علم من أعلام المسرح العالمى المعاصر . وقد يوجد بين كتاب المسرح من يكتب من أجل تسلية الجمهور أو من أجل مساعدته فى هضم طعام العشاء على مقاعد المسرح ، لكن لم يوجد من ينكر أن أرثر ميللر كاتب جاد مؤمن بالكاتب المسرحى كمفكر ، ويؤمن بالمسرح كمائدة مستديرة يجتمع حولها الجمهور ، وتطرح على بساطها التجربة المسرحية . وهدف ميللر من ذلك كله هو العمل على خلق حياة أفضل للانسان عن طريق المسرح . وبالتالى فمن حق المسرح فى رأيه أن يكون « مفخرة من مفاخر الكرة الارضية » حين تتجدد الحياة عليها فى المستقبل ويحل محلنا قوم آخرون يحصون مفاخرنا وسقطاتنا .

والمسرح فى رأى ميللر مختلف عن الأدب رغم أنه يستخدم أهم وسائله كالكلمات والايقاعات اللفظية والصور الشعرية ، والمسرحية لديه ميدانها الطبيعى هو خشبة المسرح وليس الكتاب المطبوع . ولعله الوحيد ـ كما يعتقد الناقد الامريكى روبرت بروشتين ـ الذى لا يخضع لما يخضع له غيره من

كتاب المسرح الأمريكي المحترفين. فاذا كان هؤلاء يتحركون تبعا لاحتياجات ومطالب مسارح برودواى التجارية ، فان ميللر يتحرك تبعا لعوامل أخرى تنكر أول ماتنكر الروح التجارية والقيم الرخيصة واستغلال الانسان للانسان .

لكن ماموقع ميللر على خريطة المسرح الأمريكي ؟

لقد بدأت هذه الخريطة فى الظهور إبان القرن الثامن عشر ، وكانت معالمها قليلة ومتناثرة على سطحها ، يغلب عليها الطابع الغنائى والكوميدى الضحل ، وتختلط فيها الفكاهة بالموسيقى والغناء . وظل حالها كذلك طوال القرن التاسع عشر ومطلع العشرين . ولم تكن هناك مسارح اللهم الا القليل مما يديره الهواة ومديرو الفرق المحترفة . كما لم يظهر طوال ذلك التاريخ كتاب ممن يقفون علامات على الطريق اللهم الا حفنة متناثرة . ومن هؤلاء كلايد فيتش وأوجستوس توماس ولا نجدون متشل وغيرهم ممن تغلب على كتاباتهم روح الكوميديا وضحالة الأفكار .

وأول هؤلاء ظهر فى القرن الماضى وثانيهم تحول من الميلودراما الصارخة الى الدراما الجادة، أما ثالثهم فقد حول عددا من الروايات الى مسرحيات ولم يكتب سوى مسرحية واحدة كوميدية قدمت عام ١٩٠٦ وكانت تدور حول موضوع الطلاق . كذلك ظهر إلمررايس قبيل الحرب الاولى . وفى تلك الاثناء – أى فى مطلع هذا القرن – ظهرت على الخريطة علامة أخرى كان لها نتائج فعالة إبان العشرينات . ذلك أن أستاذا جامعيا موهوبا يدعى جورج بيرس بيكر أخذ على عاتقه تزويد الحركة المسرحية بمواهب مثقفة تثقيفا أكاديميا . وكان الرجل يعمل فى البداية بكلية رادكليف ثم انتقل الى جامعة هارفارد عام ١٩٠٦ حيث قام بتدريس مادة جديدة هى الكتابة المسرحية ، واجتذب اليه عددا من الطلاب الموهوبين أمثال ادوارد شلدون

الذى عرضت أول مسرحية له وهو لا يزال طالبا.

وسرعان ما اشتهر ذلك الرجل فاجتذب اليه عددا آخر من الطلاب ذوى المواهب المسرحية مثل يوجين أونيل، س. ن. بهرمان، سيدنى هوارد، فيليب بارى، جورج أبوت، روبرت شيروود، وجميعهم من كتاب المسرح الذين اشتهروا فى فترة ما بين الحربين. وقد أدى هذا العمل الرائد الذى قام به بيكر الى اهتمام الجامعات الأخرى بالمسرح، فأدخلت دراساته ضمن برامجها؛ وكان أسبقها معهد كارنيجى للتكنولوجيا الذى ألحق دراسة الكتابة المسرحية بمناهجه .. وهكذا، ما إن حل عام ١٩٥٨ حتى كان هناك أكثر من ٣٠٠ حلقة جامعية لدراسة المسرح وفنونه بالاضافة الى ٦٠ أو ٧٠ منهجا فى فن التأليف المسرحى. وطبيعى أننا لانفترض فى الدراسة الاكاديمية أن تخرج لنا كاتبا مسرحيا — مالم يكن لديه أصلا استعداد وموهبة. لكن الحقيقة أن تعميم الدراسات الجادة فى فن كالمسرح يعتبر مساهمة فعالة فى تنشيط الاهتمام بالمسرح وتذوقه وتربية الذوق العام كذلك. يكفى أن عدد المعاهد التى يمكن للطلاب أن يتخصصوا فى الدراسات المسرحية بها بلغ ٣٢٠ معهدا عام ١٩٥٥، وأن رابطة المسرح التعليمى الامريكى تضم الآن أكثر من ٢٠٠٠ عضو، وكلهم من هيئات تدريس الفنون المسرحية.

فى تلك الفترة، فيما بين الحربين، تألق يوجين أونيل وتبعه عدد آخر من الكتاب الجدد أمثال أوين دافيز وجلبرت امرى وأرثر ريتشمان وماكسويل أندرسن، كما اختلطت فى هذه النهضة غير المسبوقة بتراث مسرحى قومى التجارب المسرحية الشعرية والواقعية والأخرى غير الواقعية القريبة من التعبيرية والرمزية كما فى انتاج أونيل، بالإضافة الى تجارب الدراما الاجتماعية

التى تزعمها كليفورد أوديتس ، ودار حولها المررايس وثورنتون وايلدر ووليام سارويان . بل ان الحال لم تخل من نمط المسرحيات الكوميدية والخفيفة التى تشارك فيها الموسيقى والغناء بنصيب كبير ، وهو نمط لا يزال مسيطراً على مسارح بردواى التجارية إلى اليوم ويعكس من ناحية أخرى المزاج الأمريكى القائم على الفلسفة البراجماتية والوضعية المنطقية والسلوكية وكلها فلسفات من نتاج الحضارة الرأسمالية المنهارة.

وقد أدى ظهور هوليوود كمركز للسينما التجارية فى ما بين الحربين إلى تأثر الخريطة المسرحية واهتزازها تبعاً لمتطلبات مدينة السينما . ذلك لأن كثيرين من الكتاب والممثلين والمنتجين تحولوا إلى السينما ولم يفيدوا الحركة المسرحية فى قليل أو كثير ، مما أدى إلى غلبة الطابع التجارى على المسرح ودورانه فى فلك الربح كأساس للانتاج المسرحى واقتناعه بمفهوم « الشباك لا يكذب قط » .

وليس من الغريب أن يتفاعل هذا كله على سطح خريطة المسرح الأمريكى المعاصر ، وليس من الغريب أيضاً أن يزدحم هذا السطح بألوان شتى من الاتجاهات والتجارب التى لا تخرج فى النهاية عن اعتبار المسرح أداة للترفيه والإمتاع .

حقاً ، لقد بذل أونيل وأوديتس ووايلدر وسارويان وغيرهم من الكتاب الجادين جهوداً جبارة فى تأسيس المسرح الجاد على دعائم مرتبطة بابسن وتشيكوف فى الغالب ، لكن مد العلاقات الرأسمالية الجارف لم يلبث أن فتح الباب على مصراعيه أمام الرخص والابتذال والسطحية ، باسم تلبية احتياجات الجمهور .

وهكذا لم تكد الأربعينيات تنتصف حتى أوشك الجادون والمتحمسون على الصراخ من أجل انهاض المسرح . وكان ظهور ميللر ووليامز بعد الحرب مباشرة بمثابة فاتحة لخير عميم . فقد ساهما بقسط موفور فى اثبات حق الأمريكيين

فى الحصول على الترفيه والامتاع جنباً إلى جنب مع الفائدة والنفع الذهنيين والروحيين . حقاً ، لقد شاركهما عدد آخر من الكتاب على رأسه وليم انج وبادى تشايفسكى ، لكن الأخيرين لم يصمدا أمام أمواج برودواى الهادرة فغرقا فى تلبية الطلبات وتوصيلها حسب المواصفات إلى المنتجين والمخرجين . لا فى المسرح فحسب ، ولكن فى السينما والتليفزيون كذلك . غير أن الذى يربط بين أفراد هذا الجيل الذى ظهر بعد الحرب هو إلحاحهم — كل بطريقته الخاصة — على تصوير المجتمع الذى يعيشون فيه بكل ما يجرى داخله من متناقضات ، وما فى قاعه من رواسب وأدران ، وما يعلو سطحه من غرابة وعنف فى كثير من الأحيان . وإذا اشترك ميللر وويليامز فى شىء مثلا فإنما — يشتركان فى حبهما لروح الفرد التى يقسو عليها المجتمع وحضارته فيكبلانها باليأس ويدفعانها إلى الشقاء والانهيار .

وموقع ميللر على خريطة المسرح الأمريكى إذن هو فى كونه « جسر » يصل بين التراث القومى الجاد الذى خلفه أونيل وأوديتس وبين التراث العالمى ممثلا بصفة خاصة فى ابسن وتشيكوف وبرنارد شو . وهو ينتمى كما يقول كينيث تينان إلى تراث الثلاثينيات من الدراما الاجتماعية ، وإذا كانت مسرحياته فى رأى تينان « عويصة » ، قوية العضلات تتعلق بعالم الرجل فى معظمها ، فإن فيها تمرداً واضحاً على كل ما هو غير إنسانى فى علاقة الإنسان بغيره وفى علاقته بأسرته ، وفى علاقته بدولته والسلطة التى تهيمن على مجتمعه .. ويكفى ميللر أنه خلق — فى مسرحياته — شخصيات لا تنسى مثل جوكلر فى « كلهم أبنائى » وويلى لومان فى « وفاة بائع جوال » وجون بروكتور فى « البوتقة » وكونتين فى « بعد السقوط » .

كما ساهم بمقالاته ومقدماته ومحاضراته العديدة عن المسرح ورسالته وفنه فى

كشف النقاب عن خصائص كثيرة فى إنتاجه هو ، وعن نقاط جديرة بالاهتمام فى فن المسرح بشكل عام ، وسنحاول فى هذه الدراسة أن نتتبع حياة ميللر ، وأعماله حتى مسرحيته هذه « بعد السقوط » وكذلك خصائص فنه وفكره .
ورغم ندرة المؤلفات الكاملة التى تناولت حياة ميللر وفنه بالقياس إلى زميله ويليامز ، إلا أننا اعتمدنا على الكتاب الذى يكاد يكون الوحيد الذى ألف عنـــه ، وقد صدر ضمن سلسلة « كتاب ونقاد » الانجليزية عام ١٩٦١ وكذلك على بعض الفصول والمقالات وخاصة ما كتبه ميللر نفسه ، وأخيراً على المجموعة الكاملة لمسرحياته .

٢ ـ حياة الكاتب اروع من اعماله

والآن ، قبل أن نمضى فى دراسة أعمال ميللر ومسرحه نتساءل : من هو ميللر ؟ أى ، ماذا نعرف عن حياته ؟ سنحاول أن نجيب عن هذا السؤال بحيث نلم إلمامة سريعة بحياة هذا الكاتب الذى ساهم فى اثراء المسرح فى هذا القرن ، ونجح فى أن يعيد له عظمته السابقة التى حققها كتاب المسرح الاغريقى أمثال سوفوكليس ، واسخيلوس ويوروبيدس ، ومن تلاهم فى أوربا على مدار القرون الماضية أمثال شكسبير وموليير وتشيكوف وستر ندبرج وأبسن وبرخت وشو وغيرهم .

ولد أرثر ميللر بمدينة نيويورك فى ١٧ أكتوبر ١٩١٥ لأبوين من أصل أوربى ، فالأب نمسوى والأم ألمانية . وقد نشر قصة سنواته الباكرة فى مقال طريف نشرته مجلة « هوليداى » فى مارس ١٩٥٥ تحت عنوان « صبى شب فى بروكلين » وهو مقـــال حافل بالحكايات والنوادر ، روى فيـــه طرفاً من حياته مع جده لأبيه ـ الذى ظل طوال حياته على طراز رجل الأعمال الألمانى

البارد . وكان لديه مصنع لا بأس به لعدة سنوات ، ثم أفلس مع حلول الكساد . وكان ميللر فى صباه يستيقظ فى الرابعة والنصف من صباح كل يوم ليطوف بالخبز على الزبائن قبل ذهابه إلى المدرسة الثانوية التى لم تعلق ذكراها فى ذهنه كما علقت ذكرى يوم مشهود انقلبت فيه دراجته بما عليها من خبز . ويمضى فى هذا المقال قائلا :

« أعرف أنه فى السنوات الأخيرة حين بدأت أنشر إنتاجى أن مدرسى مدرستى الثانوية راحوا ينقبون فى سجلاتهم محاولين أن يتذكرونى ، لكن لم يتوصل أحد إلى ذلك .. فالحق أننى كنت أظهر لماماً طوال سنوات الدراسة الأربع ، وكان هذا أعظم نجاح حققته حتى ذلك الحين . ذلك لأن الفكرة التى اشتركت فيها مع زملائى كانت أن — نخرج إلى ملعب الكرة مع تجنب أى تدخل بقدر الامكان من جانب الدراسة يؤثر عليها . ولى أن أصرح بأن أحداً منا لم يكن يعوقه شىء يشبه الأفكار » .

ونحن نعلم عن أبيه أنه كان شعلة نشاط ، وكان يجمع بين السخرية وخفة الظل ، فما أكثر القفشات والنكات التى كان يتبادلها مع أطفال الجيران ، تماماً مثل جو كلر الأب فى « كلهم أبنائى » . ولميللر كذلك أخ أكبر يدعى كيرميت وشقيقة تصغره بست سنوات تدعى جوان أصبحت فيما بعد ممثلة تحت اسم جوان كوبلاند .

وقد أنهى ميللر دراسته الثانوية عام ١٩٣٢ ، ولكنه لم يستطع الالتحاق بأية كلية ، لأن أحداً فى المنزل لم يكن يملك المصروفات على حد تعبيره . وكان البديل بالتالى واضحاً ، وهو أن يعتمد على نفسه وأن يعمل . فكان أن عمل سنتين فى محل لبيع قطع غيار السيارات بأجر ١٥ دولاراً فى الأسبوع حتى يتمكن من الادخار لمصروفات الكلية ، وتلك بالضبط هى حال « برت »

العامل الذى كان يعتزم اكمال دراسته فى مسرحيته القصيرة « ذكرى يومى الاثنين » .

ولما نجح فى ادخار بعض المال تمكن من الالتحاق بجامعة ميتشجان ، لكنه اعتمد من ناحية أخرى على معونة مالية قدمتها له إدارة الشباب القومى وكذلك على مكافأة قررتها له صحيفة « ميتشجان اليومية » Michigan Daily التى عمل بها محرراً فى فترة المساء .

وفى جامعة ميتشجان مضى ميللر يدرس الاقتصاد والتاريخ ، لكنه سرعان ما ضاق بالدراسة . ومن الطريف أنه لم يختر هذه الجامعة لمكانتها أو شهرتها العلمية وإنما لأنه سمع كما يقول « بأنهم كانوا يمنحون جوائز على التأليف » ! وقد حدث أن هذه الجامعة نفسها قامت عام ١٩٥٦ بمنحه درجة الدكتوراه الفخرية ، لكن الدرجة الفخرية لم تكن تعادل لديه جوائز التأليف التى نالها وهو طالب ! ويصف ميللر حصوله على أول جائزة فى التأليف الدرامى بقوله :

« كنت فى السنة الثانية حين فزت بجائزة Avery Hopwood فى الدراما على أول مسرحية أكتبها ، وهى مسرحية تستحق الذكر لأنها كتبت فى أربعة أيام خلال عطلة الربيع . ونظراً لأننى لم أشهد سوى مسرحيتين — شهدتهما فى طفولتى ولا أذكر منهما شيئاً — ولم أقرأ الا عن ثلاث أخريات ، فإننى لم أستطع أن أصل إلى قرار فى انهاء الفصول إلا بعد أن سألت صديقاً عن المدة التى يستغرقها الفصل الواحد . وقد عملت بتقديره وفزت بالجائزة » .

كان ذلك عام ١٩٤٤ ، لكن ميللر كان قد كتب خلال السنوات الأربع التالية عدة تمثيليات للاذاعة وعمل فى مصنع للصناديق وكذلك مساعداً للخدمة فى البحرية ، فكأنه إذن قد تنقل بين عدد من الأعمال الصغيرة التى يسمونها فى أمريكا Odd Jobs وهى أعمال درج كثير من زملائه الأمريكيين على امتهانها

بهدف صقل تجاربهم وتعميق صلتهم بالحياة. فى عام ١٩٤٨ قام الناقد المعروف جون شابمان بتقديم ميللر إلى قراء سلسلة « أحسن مسرحيات ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ لا كمؤلف مسرحية « وفاة بائع متجول » الفائزة بجائزة ذلك العام فقط ، وإنما زكاه لأنه « انخرط فى سلك أعمال مرهقة بأن عمل سائق سيارة نقل ، وساقياً ، وملاحاً على ظهر ناقلة بترول ، بل انه الآن (١٩٤٨) يقضى بضعة أسابيع كل عام فى العمل بأحد المصانع كى يتذكر شعور المرء حين يقف على قدميه فى مكان واحد لمدة ثمانى ساعات فى اليوم » .

لقد شب ميللر فى ظل الكساد الاقتصادى (١) الذى خيم على العالم فى الفترة من ١٩٢٩ إلى ١٩٣٤ ، ولعل شيئاً لم يؤثر فيه كما أثر فيه هذا الكساد الذى لم ينج منه أحد ، فقد جعله يفهم ظاهرة انعدام الأمان أمام الانسان فى ظل الحضارة الصناعية الرأسمالية الحديثة ، وعلمه الإيمان بالمسئولية الاجتماعية . لكنه طوال هذا كله لم يكف عن ممارسة التأليف ، ولم تكف الجوائز عن اللحاق به . فقبل أن يتخرج من الكلية كان قد فاز بجائزة أفرى هوبوود المذكورة مرة أخرى . كما فاز بجائزة « مكتب المسرحيات الجديدة » .

---

(١) ثمة فترتان رئيسيتان للكساد الاقتصادى الذى اجتاح العالم فى ظل النظام الراسمالى : أولاهما الفترة من ١٨٧٣ الى ١٨٩٦ ، وثانيتهما التى تعنينا هنا ، هى الفترة من ١٩٢٩ الى ١٩٣٤ . وفيهما طغى الكساد على مختلف نواحى النشاط الاقتصادى ففى الزراعة حدث الكساد نتيجة لتضخم الانتاج فى بعض مناطق العالم من ناحية وسوء التوزيع من ناحية أخرى ، وفى المال حدث نتيجة حمى المضاربة التى اجتاحت أمريكا وادت الى سحب الارصدة من أوربا وبالتالى الى الذعر المفاجىء فى حى المال بنيويورك ، وكذلك نتيجة انهيار بنك الضمان التمساوى ذى النشاط الواسع فى أراضى الدانوب . واخيرا حدث الكساد فى الصناعة نتيجة تقلص حجم الصادرات والاستهلاك المحلى بسبب نقص رؤوس الاموال مما ادى الى انكماش حجم الانتاج وضعف الحاجة الى النقل والمواصلات فأصيبت صناعة بناء السفن بضربة قاضية ، وبالتالى أدى هذا كله الى تضخم البطالة تضخما كبيرا .

وكان فى عام ١٩٤٤ قد حصل على ١٢٥٠ دولاراً قيمة جائزة « رابطة المسرح » ثم فاز فى عام ١٩٤٧ بجائزة نقاد الدراما عن أحسن مسرحيات الموسم فى التأليف الأمريكى بمسرحية « كلهم أبنائى » ، فكأنه إذن استحق لقب « أكثر كتاب الدراما الأمريكيين فوزاً بالجوائز » الذى أطلقه عليه النقاد والمعقبون عام ١٩٤٧ . وفى الوقت نفسه كان قد كتب حتى ذلك الحين ثمانى أو تسع مسرحيات أخرى مما أسماه « مسرحيات درج المكتب » وهى مسرحيات كتبها للتدريب والتجريب ولم يظهر منها سوى واحدة مثلت وكان عنوانها « الرجل الذى أوتى الحظ كله » .

كما عمل ميللر بعد تخرجه فى « مشروع المسرح الاتحادى » وهو أحد المشروعات التى خلقتها الضائقة الاقتصادية لكنه لم يلبث أن انهار قبل أن يكتب له ميللر مسرحيته ، ومع هذا أفاد ميللر من صلته بهذا المشروع فقد احتك بالاتجاهات اليسارية التى انتجت المشروع وخرجت كاتباً مثل كليفورد أوديتس .

وإذا كان بطل مسرحيته السابقة التى خرجت من درج المكتب قد أوتى الحظ كله ، فإن ميللر لم يؤت فيما يبدو مثل هذا الحظ فى شئون الزواج . فقد تزوج عام ١٩٤٠ من مارى سالاترى زميلته فى الدراسة الجامعية وأنجب منها ولداً وبنتاً لكنه طلقها عام ١٩٥٦ ، ثم تزوج مارلين مونرو التى كانت قد طلقت بدورها من لاعب باسبول معروف .

وكان واضحاً أن زواجه الثانى سينجح ويستقر ، لكن بدايته لم تكن متوقعة مثلما لم يتوقع أحد أيضاً انهياره المفاجىء . وقد تزوج ميللر من مارلين فى نفس الشهر الذى طلق فيه من مارى ، وفى وقت كان هو فيه محط أنظار الناس لأسباب أخرى لا علاقة لها بالشهرة أو بالمسرح أو بمارلين نفسها. فقد

حدث قبل أسبوع من هذا الزواج أن – استدعى ميللر أمام لجنة تحقيق تابعة للكونجرس فى ظروف تستحق السرد . ذلك أن وزارة الخارجية الأمريكية كانت قد رفضت فى مارس ١٩٥٤ منحه جواز سفر لحضور افتتاح مسرحية « البوتقة » التى عرضت فى عاصمة بلجيكا ، واستندت فى رفضها إلى أنه يناصر الحركة الشيوعية . ومثل ميللر أمام اللجنة وأنكر الاتهام كلية ، لكنه بقى تحت الأنظار . وفى يوليو من ذلك العام نشر فى مجلة الأمة The Nation مقالا بعنوان « اقتراح متواضع لتهدئة الغليان العام » وفيه اقترح أن يقدم كل مواطن أمريكى بلغ الثامنة عشرة نفسه – وبواقع مرة كل سنتين بعد هذا – إلى السلطات ليخضع للاعتقال الوطنى . فإذا ما دخل المواطن السجن يتم تصنيفه وتحديد مدى خيانته لوطنه ، فإما أنه خائن نظرى أى أنه اشترك فى محادثات « تمس بشكل إيجابى دفاع الأمة ضد العدو » أو « عجز عن اظهار النفور العلنى أو المرئى أو المسموع من هذه المحادثات » . . واما أنه خائن عامل أى حضر اجتماعات الهيئات التى حددها النائب العام . ثم أضاف ميللر إلى هاتين الفئتين فئة ثالثة صغيرة من المواطنين غير المصنفين ، وهى تتكون أساساً ممن دخلوا مؤسسات الأمراض العقلية أو مصحات العجزة والمسنين ، وأعضاء مكتب التحقيق الفيدرالى ، وكذلك ممن لم يسجلوا أسماءهم فى أية مكتبة عامة كمستعيرين للكتب ، وممن خاضوا الحرب الأهلية (لا يوجد على قيد الحياة اليوم من شهدها !) ، وأخيراً غالبية الأطفال ! ويعقب ميللر على هذا بأن المواطن الأمريكى فى حالة وجود مثل هذه المادة فى الدستور سيقدم نفسه إلى المسئولين عن السجن بلا نقص فى حريته ، « أى بأثمن ما يملكه ، لأنه يقدم نفسه والحب يغمر قلبه ، والرغبة تتأجج فى صدره كى يثبت لجميع مواطنيه أنه أمريكى ، وأنه تواق لأن يعرف الجميع كل تصرف يأتيه فى حياته وما يكون لهذا التصرف من دلالة وطنية . ويمكن أن يقال كذلك أنه إذا

كان الصبى الأمريكى صالحاً تماماً لكى يشترك فى حرب ، فإنه يكون صالحاً تماماً للذهاب إلى السجن من أجل أن يرفرف السلام على عقل بلده » .

لكن هل حل هذا المقال مشكلة ميللر مع المكارثية التى طغت وتجبرت فى ذلك الوقت ؟ لقد واجه ميللر بلجنة التحقيق وأنكر انتماءه لأى تنظيم شيوعى وكشف بل رفض — الرعاية الحزبية للفنانين والوصاية على الفن . وظل يرد على أسئلة أعضاء اللجنة ببرود وبغير انفعال حتى أخلى سبيله ، وأعلنت وزارة الخارجية عن تجديد جواز سفره لستة شهور (بدلا من مدة السنتين المعتادة) وبعد نحو عام أى فى ٣١ مايو١٩٥٧ اتهم ميللر بتهمة أخرى ، وهى احتقار الكونجرس فى أثنـــاء التحقيق الذى سبق أن أجرى معه رفض أن يذكر أسماء الذين كانت تضمهم اجتماعات الكتاب التى نظمها الحزب الشيوعى ، وكان معنى الرفض أنه يحتقر الكونجرس ! لكن هذا لم يفت فى عضده ، فقد واجه الأمر بصلابة حتى قامت المحكمة الدستورية العليا فى أغسطس ١٩٥٨ بابطال التهمة ورد الاعتبار إليه ، وكان هو قد انتخب عضواً بالمعهد القومى للفنون والآداب قبل شهور من صدور هذا الحكم ، وقد صيغ بيان انتخابه باجماع وبجرأة أوضحت أنه لم ينتخب تقديراً لمواهبه وكفاءته فقط ، ولكن باعتباره « ليبراليا فى مجتمع لم تكن الليبرالية (التحررية فى الآراء والمعتقدات) أمراً سهلا أو مستساغاً فيه » !

وقد ظل ميللر على وفاق مع زوجته الجديدة ذات الشهرة التى طغت على شهرته ، ورغم أنه تنازل عن كثير من نشاطه الجاد ، وأنه بدأ يستجيب لعقود الكتابة للسينما بحكم ارتباطه بمارلين ، وأنه كاد أن يتفرغ لاسعادها ، إلا أن هذا الزواج غير المتوقع لم يلبث أن انهار نهائياً بالطلاق عام ١٩٦٠ دون أن ينجب منها . واضطر ميللر بعد ذلك إلى ما يشبه الاعتكاف فى بيته الريفى ،

إلى أن التقى مصادفة بمصورة نمساوية تدعى انج موراث جاءت إلى بيته فى مهمة صحفية عقب طلاقه الثانى ، لكن المهمة الصحفية طالت وانقلبت إلى مهمة عائلية بالزواج الذى أسعد ميللر بعض الشىء ، وأعاد إليه الثقة بالنفس ، بل أعاد إليه شهيته للتأليف المسرحى التى كادت أن تنطفىء تماماً خلال زواجه الثانى وبعده .

غير أنه يبقى لميللر بعد هذا العرض السريع لحياته وجه آخر أشار إليه هو فى الفقرة التى نقلناها من مقاله السابق الذى تحدث فيه عن صباه و شبابه ، وذلك أنه يهوى الرياضة كما يهوى الدراما ، فى تلك الفقرة أشار إلى هوايته للكرة وفى الوقت نفسه ظل لسنوات لاعب باسبول ممتازاً ، بل ان أحد رعاة البقر شهد له بأنه يعرف الكثير عن الخيول ! ولاشك أنه انتفع بهوايته هذه فى مجال التأليف والكتابة ، فأموس فى مسرحيته « الرجل الذى أوتى الحظ كله » لاعب باسبول ممتاز وأبوه يريده بطلا لا مجرد لاعب عادى ، وكذلك تهوى بعض شخصيات مسرحياته الأخرى فنوناً مختلفة من الرياضة .

ولعل القول بأن حياة الكاتب أروع من أعماله يصدق أكثر ما يصدق على حياة أرثر ميللر . فحياة هذه حالها من الخصب وتنوع التجارب كفيلة بأن تخرج فناناً قديراً إذا توفرت معها الموهبة والاستعداد . وليس من الغريب إذن أن تمده هذه الحياة الغنية المتنوعة بزاد حقيقى انعكس على كل أعماله بلا استثناء ، فكأنها الأصل الذى تستمد منه أعماله مواقفها وأحداثها وشخصياتها وبيئاتها كما سيتضح لنا أكثر بعد ذلك .

٣ ـ تسع مسرحيات فى ٢١ سنة

لعل كثيرين من قراء ميللر ومتذوقى فنه ، وخاصة فى العربية ، لا يعرفون

أن له قدماً راسخة فى التأليف القصصى. بل إن له محاولات فى الشعر والكتابة السينمائية ، وقد أفاده هذا كله فى الدراما بالطبع . فكثير من أفكاره وآرائه مبثوث فى إنتاجه القصصى المبكر الذى يتراوح بين القصة القصيرة والرواية . وقد ظهرت أول رواية له بعنوان « الموقف عادى » Situation Normal عام ١٩٤٤ ، وتدور حول الحياة فى الجيش ، ثم تلاها برواية أكثر نضجاً تحت عنوان « البؤرة » The Focus وقد ظهرت عام ١٩٤٦ ، وفيها نجد بدايات موهبته وقدرته الفائقة على إدارة الحوار ، لكن أحداً من نقادها لم يكتشف بالطبع — كما يقول دنيس ويللاند — هذه العناصر عند ظهورها ، وإن بدا فيها متأثراً بدوس باسوس وشتاينبك . وفيها كما فى معظم انتاجه انتقاء للشخصيات العادية التى تطحنها الصراعات أو الأزمات . فبطلها عامل بسيط يؤدى به مظهره اليهودى إلى أن يكون ضحية العداء للسامية وهو عداء يتعاطف هو نفسه معه بعض الشيء ، مما يجعله يحس بالحاجة إلى منظار يرى به الأشياء رؤية جديدة ، لكنه لا يلبث أن يجد الأشياء تتجمع كلها فى بؤرة المنظار فتضيق الرؤية شيئاً فشيئاً حتى يعمى عن البصر بها .

وفى عام ١٩٥٧ نشر ميللر قصة قصيرة بعنوان « الخارجون على المجتمع » The Misfits وتدور حول غارات الانسان على مملكة الحيوان وقد ظهرت على الشاشة وقامت ببطولتها مارلين مونرو .. وفيها نجده متأثراً بهيمنجواى .. وله عدا هذه عدد آخر من القصص القصيرة تشكل فى مجموعها بالاضافة إلى روايتيه السابقتين الأساس الذى قام عليه مسرحه ، وهو أساس فكرى بالدرجة الأولى نرجىء مناقشته إلى حين .

أما تفصيل القول فى هذا الانتاج القصصى فليس هنا بالطبع مجال له ، لكننا نحيل القارىء ، إن شاء التوسع ، إلى الفصل القيم الذى عقده دنيس

ويللاند فى كتابه لعرض وتحليل انتاج ميللر القصصى . ثم نعود فيما يلى إلى عرض انتاجه المسرحى عرضاً تاريخياً متسلسلا ، بحيث تكون الأهمية لما عقد حوله من دراسات وما قيل فيه من آراء . وكذلك بحيث تكون الأهمية للمسرحيات التى لم يسبق ترجمتها إلى العربية (١) باستثناء مسرحيته « بعد السقوط » التى سنتناولها بكثير من التفصيل :

● الرجل الذى أوتى الحظ كله The Man who had all the Luck

كانت هذه المسرحية أولى مسرحيات ميللر ، رغم أنه لم يضمها الى الطبعة الكاملة لمسرحياته . وهى مسرحية لم تعمل بعنوانها فقد سحبت من برودواى بعد أربعة عروض فقط ، وكان ذلك فى نوفمبر ١٩٤٤ لكن ميللر لم يبخل عليها بالحديث فى تقديمه للطبعة الكاملة لمسرحياته التى ظهرت فى نيويورك عام ١٩٥٧ . فقد كتب يقول انها قصة شاب « يقتنع شيئا فشيئا بأنه ما ان يشبع رغباته حتى يلجأ الى تطويق رأسه بكومة - غير ظاهرة لكنها محسوسة تقريبا - من القصاص ومجازاة النفس ان صح التعبير . وقانون الحياة ، كما يلاحظ هو من خلال حياته هو أن الناس دائما يخيبون بشكل يستحق الاهتمام . وهو يتصور أنه يجب أن يكون كذلك . والمسرحية مبنية

(١) ظهرت « كلهم أبنائى » فى ثلاث ترجمات ، و « وفاة بائع متجول » فى ثلاث أيضـا ، أما « البوتقة » و « مشـهد من الجسر » و « ذكرى يومى اثنين » فقد ظهرت ترجمة واحـدة لكل منها . كذلك كانت هـذه الترجمة لمسرحيـة « بعد السـقوط » الاولى من حيث الظهـور ، فقد نشرت لاول مرة مسلسلة بجريدة المساء فى الفترة من ٢٥ مارس الى ١٣ مايو ١٩٦٤ ، وتلتها ترجمة أخرى باللهجة الشعبية نشرتها مجلة المسرح فى ١٠ يوليـو ١٩٦٤ ثم قدمها البرنامج الثانى بالاذاعة فى ترجمة ثالثة فى أغسطس ١٩٦٥ .

على اعتقاده بالكارثة التى تتوعده وتوشك أن تحدق به ، لكن الكارثة لاتحل على الاطلاق ، حتى حين يحاول بطريقة عملية أن يجلبها كى يتخطاها ويعيش بعدها فى سلام » . وهذه الفكرة كما يقول دنيس ويللاند تستمد جذورها من الثلاثينات وتنتمى لعصر الازمة وانعدام الطمأنينة والأمان الاقتصادى ، حين تبدو الثروة نتاجا للحظ لا للكفاءة وحين يكون الذنب هو الاستجابة الدقيقة لمالك المال ذى العقل الراجح الشريف .

وبطل هذه المسرحية يدعى دافيد يقيم فى مدينة صغيرة بالغرب الاوسط . وله شقيق يصغره يدعى أموس ، دلله أبوه وأراد أن يجعل منه بطلا فى الباسبول لكنه لا يصل الى هدفه ، بينما دافيد الذى أهمله الاب يكافح ويحاول شق طريقه فى الحياة معتمدا على نفسه . ويتوسط له اصدقاؤه فيلحقونه بأحد الجاراجات ليعمل ميكانيكيا ، ثم يهبط عليه الحظ فجأة فيربح من صفقة خمور حين تحدث موجة برد قصيرة تأتى على كل الخمور التى سبق أن ابتاعها وخزنها . وعندئذ تزول العقبة الماثلة أمامه ويتوالى عليه الحظ ، فيموت والد الفتاة التى أحبها ومن ثمت يتزوجها ، ويتوالى الحظ فيغدو دافيد ثريا صاحب مشروعات ناجحة . لكنه يكتشف شيئا فشيئا أن حظه لا يمكن أن يدوم نتيجة لما يراه يحدث لاصدقائه من فشل وسقوط ولهذا يعزم على عدم الانجاب ، ويتسلل اليه التشاؤم والتطير فيتنبأ بأن طفله سيموت بعد ولادته ، لكن الطفل يولد ويكبر ويصبح « فى صحة العجل الصغير وعافيته » وتحاول زوجته عبثا أن تثنيه عن وساوسه ، لكنه يتمادى ويتحدى الحظ بالمهارة فتكون النتيجة هى الفشل والتمادى فى التماس الخرافات لاعادة الامور الى نصابها .

لقد أصبح دافيد مجنونا بنسبة كل شىء الى الحظ . وحين تتحطم حياته فى

النهاية نجده فى المشهد الاخير من المسرحية قد فهم أن الحظ مجرد كلمة يستخدمها أناس أقل منه جدا واجتهادا فى تفسير نجاحه . وتصيح فيه زوجته : « أنت الذى صنعت كل هذا بنفسك » ويقبل عليه مساعده الالمانى المهاجر فيبسط قضية المسرحية حين يقول ان الانسان يجب أن يؤمن « بأنه سيد حياة نفسه على هذه الارض » وليس الأوراق التى توضع فى فناجين الشـــاى ، ولا النجوم . ويضيف الى هذا قوله : « اننى أرى فى أوربا ملايين من أمثال دافيد ، يروحون ويجيئون ، ملايين ، لكنهم لم يعودوا يعرفون أنهم سادة حياتهم . لم يعودوا يعرفون أنهم يستحقون هذا العالم » .

وقد عيب على ميللر فى هذه المسرحية أنه جعل الشخصيات الرئيسية دمى فى يده يحركها حسب أفكاره ، وأنه حشد المسرح بخلق كثيرين ومواقف غير مسرحية كاظهاره والد زوجته الذى صرعته سيارة على المسرح بلا مبرر ، واظهاره السيارة التى صرعت حماه وجلبت له الحظ والمال ، وكذلك وضعه للمشهد الأول داخل محل بقالة ظهر على المسرح بدوره فازدحمت الخشبة بأكثر من طاقتها . ولقد فهم ميللر هذا كله ، ويبدو أنه اقتنع بآراء النقاد ، فقد ذكر فى تقديمه السابق لمجموعة مسرحياته أن « هذه المسرحية كانت تجربة ضرورية لما تلاها من مسرحيات ، بغض النظر عن كونها تافهة وفاشلة » ولعله اقتنع أيضا بأن المسرحيات التى تكتب للتمرين ثم ينتهى بها المطاف الى درج المكتب لاتستحق أن تبعث الى الحياة الا اذا كتبت مرة أخرى ، ولهذا لم يخرج من درج مكتبه حتى الآن زميلات هذه المسرحية التى رأت النور لبضعة أيام ثم احتواها ظلام المكتب .

● كلهم ابنائى All my Sons

واذا كانت مسرحية « الرجل الذى أوتى الحظ كله » قد فشلت من

الناحية الدرامية وارتبك بناؤها وسيطر عليه السرد ، واذا كانت تبدو من صنع هاو ناشيء ، فان مسرحية « كلهم أبنائى » التى أخرجها ايليا كازان عام ١٩٤٧ قد دعمت مركز ميللر وشدت قامته . وفيها نلتقى بجو كلر الأب صاحب مصنع أجزاء الطائرات ، الذى يتهم بتوريد أجزاء طائرات فاسدة الى الجيش أثناء الحرب الأخيرة . وحين تبدأ المسرحية يكون شريكه فى المصنع قد دخل السجن بدلا منه . ولكلر ولدان ، أحدهما خطب ابنة الشريك السجين ثم قتل فى الحرب ، والآخر يعتزم الزواج من خطيبة شقيقه . والأخير مثالى متحمس لمبادئه الأخلاقية ، خجل من عدم اشتراكه فى الحرب . ويركز ميللر هنا على علاقتين متبادلتين : بين كريس الابن المثالى وفتاته خطيبة شقيقه ، ثم بين كريس وأبيه . وهما علاقتان تتأجج بهما أحداث المسرحية ، فجو كلر ليس شخصا مرذولا ولكنه صغير النفس قصير النظر ، عاجز عن تبين عواقب أفعاله ، وهو كذلك بسيط عادى ، مرح وعطوف ، بل انه صورة أخرى لدافيد بطل المسرحية السابقة ، فقد أوتى الحظ كله وربح من الغش ، لكن اذا كان دافيد قد لقى من أبيه اهمالا بحيث بدا الأب مذنبا — ضمنا — فى حق ابنه ، فان كلر مجرم فى حق ابنه بالمعنى القانونى للكلمة ، فقد تسبب فى قتله ببضاعته الفاسدة ، واذا كان كلر يبحث عن حل وسط كى يعيش فان ابنه كريس يفزعه ويقض مضجعه الاثم الذى ارتكبه أبوه ، فكيف يتزوج اذن من ابنة رجل سجن بسبب يمين كاذبة أقسمها أبوه ؟ عندئذ ، وحين تتطور احداث المسرحية حتى ينكشف الأب تماما ، يتدخل ميللر ويحل هذا المأزق الكلاسيكى على حد تعبير[1] كينيث تينان بضربة ميلودرامية ذكية ، وذلك بأن يتطور كلر فيقبل المسئولية بغير اقتناع ثم ينتحر برصاصة من مسدسه .

ولعله كان من الأوفق كما اقترح الناقد دانييل شنايدر أن يغير ميللر

عنوان المسرحية ازاء هذا الموقف الأخير فيجعله « كلهم آباؤنا » بدلا من « كلهم أبنائى » فلقد فزع الأب أشد الفزع حين تدرجت أمامه صورة الاثم الذى ارتكبه فى حق ابنه القتيل وزملائه من رجال الجيش الذين راحوا ضحية أسلحة فاسدة يعرف هو نفسه حقيقتها . وهذه المسرحية من نوع الدراما الاجتماعية لكنها ليست هجوما على أخلاقيات الرأسمالى ، وانما هى دراسة للرجل العادى الضائع الحائر الذى يدخل عالما معدوم القيم ، لاتوجد فيه مسئولية لدى الانسان ازاء غيره . غير أنها فى الواقع أقل مسرحيات ميللر التالية أصالة وبراعة من ناحية التكنيك المسرحى ، رغم أنها عرضت ٣٢٨ عرضا متصلا .

● وفاة بائع متجول Death of a salesman

تعتبر هذه المسرحية ، وما تلاها من مسرحيات ، سبب تدعيم شهرة ميللر الحقيقية ، فقد نجحت نجاحا منقطع النظير ، وظلت تعرض فى نيويورك ٧٤٢ ليلة متواصلة فى مطلع عام ١٩٤٩ ، كما اعتبرت احدى خمس من مسرحيات برودواى الطويلة ، وفازت بجائزتين : جائزة نقاد الدراما ، وجائزة بوليتزر . وقد كان عنوانها فى الأصل : « داخل رأسه » . أما هدفها فهو كما قال ميللر نفسه فى حديث اذاعى « أن تجلو ما يحدث حين لا تكون لدى الانسان سيطرة على القوى التى تحرك حياته ، وحين لايكون لديه احساس بالقيم التى تقوده الى هذا النوع من السيطرة » .

فى هذه المسرحية نلتقى بويللى لومان وولديه : هابى الحساس الذكى ، وبيف المصدود لسبب لايدريه ، والثلاثة قد حطمهم ايمانهم بالحلم الخاطىء كما يقول كينيث تينان ، حلم مهنة البائع ، ذلك الحلم الصوفى الغامض .

وويللى على خلاف معظم الأبطال الذين يقعون ضحية لظروف مجتمعهم ، فهو متشكك فى القيم التى تفسده ، وهو يثير الأسى والرثاء لأنه يبجل هذه القيم ويهابها . وتبدأ المسرحية ببيف الطالب السابق وقد عاد الى بيته فى بروكلين مفلسا ، حيث يجد أباه يكاد يجن من الفشل والسقوط والافلاس . وخلال الأربع والعشرين ساعة التالية تأخذ أحداث المسرحية فى الظهور حدثا فى أثر حدث وتتابع خلال سلسلة من العود للماضى Flash Backs أفكار ويللى وذكريات ماضيه ، ثم نعود معه الى لحظة الذروة فى الكارثة حين دخل عليه بيف فى غرفة فندق فوجده مع عاهرة فى نصف ملابسها .. هذا اللقاء والمواجهة ، بما تضمناه من فناء وتحطيم لقدسية الأب ، يربك بيف ويحيره ، بل يؤثر فى حياته ومستقبله ويخلف ويللى نفسه محملا بوزر عظيم . وشيئا فشيئا نجد الذاكرة تفجر شرنقة الأوهام التى يحتفظ فيها ويللى باحترامه لنفسه فينقاد فى النهاية الى الانتحار . وهو يمضى الى قدره المحتوم دون أن يعرف بالضبط السبب الذى أدى الى هذه النهاية . وهو رجل ضعيف ، سلبى ، يرفض عرض أصدقائه وظيفة عليه بعد أن فصل من عمله فى الشركة التى قضى فيها أربعين عاما من حياته . ولعل تأنيب زوجته لولديها على حملتهما عليه ستظل ترن فى أذنى كل من يرى هذه المسرحية أو يطالعها ففى هذا التأنيب مفتاح للكثير عن شخصية ويللى المسكين المطحون . تقول مسز لومان :

« ان ويللى لومان لم يحقق ثروة على الاطلاق . لم ينشر اسمه فى الصحف أبدا . انه ليس أروع شخصية وجدت . لكنه مخلوق آدمى ، يعانى من شىء فظيع يحدث له . لهذا يجب بذل الاهتمام . يجب ألا يسمح له بالسقوط فى قبره مثل كلب. الاهتمام، الاهتمام يجب فى النهاية أن يولى لشخص كهذا ».

أما جاره شارلى ، رجل الأعمال الناجح الذى يكاد أن يكون الشخص الوحيد الذى يفهم هذا البائع العاجز ، فانه يضع مفتاحا آخر رغم فهمه لويللى بطريقة جامدة تخلو من العاطفة ، يقول محدثا بيف : « .... ليس فى حياة البائع حجر أساس . ليس ثمة أحد يلوم هذا الرجل . ان البائع يجب أن يحلم يافتى ، فالحلم منطقة من مناطق نفوذه » .

ورغم اجماع الرأى على تفوق هذه المسرحية ونضوجها ، الا أنها أثارت كثيرا من الاختلاف بين النقاد والدارسين . فقد هاجمها الناقد المعروف اريك بنتلى بقسوة فى مقال نشره بمجلة « فنون المسرح » ، ولم يدع فيها شيئا دون نقد وهجوم ابتداء من الاضاءة الى اللغة .

فقد اعتبرها « مأساة الرجل الصغير حين يقع ضحية » ، وقال ان فكرتها تثير العطف لكنها لاتثير الخوف والفزع من المصير ، وأن الانسان فيها من الصغر والسلبية بحيث لايستطيع أن يلعب دور البطل التراجيدى ، وأن الصراع الموجود فيها إنما هو صراع بين المأساة (التراجيديا) وبين الدراما الاجتماعية . وأضاف بنتلى بأن ميللر قد أربكته الماركسية ولم يفهمها . أما الناقدة اليانور كلارك فقد رفضت تحليل بنتلى الأخير وعارضته بأن ميللر ماركسى أربكته المأساة ذلك لأن فى المسرحية آثارا لفكرة ضغط الرأسمالية على الانسان وطحنها له ولقيمه . كذلك عيب على ميللر خلو لغة المسرحية من الشاعرية وخلطه بين المأساة والدراما الاجتماعية ، ذلك لأن مفهوم المأساة يعنى أن تتضمن قيما ، وأن تتصارع هذه القيم ، لكن الحال مختلفة ازاء ويللى فهو رجل لا يملك من القيم مايفرض أى نوع من الصراع ، ان لم يكن منبت القيم تماما . ومن جهة أخرى نجد أن أحداث المسرحية تحدث فى ذهن ويللى ، فهى اذن ليست مسرحية واقعية بالمعنى الاصطلاحى للكلمة ، بل ان مهنة

ويللى كبائع لم تتحدد أو تتضح ، فماذا كان يبيع ؟ ان المسرحية لاتجيب على الاطلاق . ولهذا سئل ميللر نفسه أن يحدد اجابة للسؤال السابق فأجاب بأن ويللى لايملك سوى أن يقول بأنه كان يبيع « نفسه » . فالمسرحية اذن أقرب الى التعبيرية منها الى الواقعية ، ويتمثل هذا فى تعلقها بالعالم الخارجى كما يتصوره ذهن الرجل الحالم ، رغم أنها لاتجزىء ذلك التصور الى الأبعاد التى ارتبطت - فى العادة - بالتعبيرية . حقا ، انها تبدأ واقعية لكنها لاتلبث أن تتغير وتتحول الى أطر أخرى من التعبيرية . لكن ثمت جانبا آخر أثارته هذه المسرحية ، وهو جانب يتعلق بالمضمون لا بالشكل . ذلك لأن فيها احساسا ضمنيا بأنها تدور فى وسط يهودى . وقد أثارت الروائية الناقدة مارى ماكارثى هذه النقطة لكنها ردتها بقولها : « ان ويللى لايمكن أن يكون يهوديا لأن عليه أن يكون امريكيا » وبغض النظر عن هذا الرأى القائل بأن ويللى قد يكون يهوديا ، الا أن مأساته فى الواقع هى أنه يعيش داخل مجتمع خاص يفرض عليه قيما وسلوكا من نوع خاص كذلك ، وليست مأساته فى أنه يهودى فقط أو فى أنه بائع أو ممثل لأية جماعة أو طائفة أخرى .

وأيا كان الأمر فى هذا الاختلاف فى الرأى الذى أثارته المسرحية . الا أنها ثبتت قدمى ميللر على أرض الشهرة والمجد ككاتب مسرحى جاد يبحث عن خلاص للانسان الواقع تحت مختلف التأثيرات الاجتماعية والنفسية . واذا كان فى تفسيره شىء من الالتقاء مع الماركسية فهو التقاء غير مقصود فى الواقع بقدر ما هو افادة من كافة التحليلات الخاصة بدراسة المجتمع تاريخيا واقتصاديا واجتماعيا .

● **عدو الشعب An Enemy of the People**

ظهرت هذه المسرحية فى برودواى فى أواخر ديسمبر عام ١٩٥٠ ،

وهى منقولة بشىء من التصرف عن مسرحية ابسن المعروفة بهذا الاسم (١) والواقع أن ميللر يعتبر ابسن مناسبا للعصر ، بل هو فى رأيه كاتب مجنى عليه أساء اليه نقاد اليوم . ولهذا صاغ هذه المسرحية صياغة جديدة ، محتفظا بالكثير من روحها ، ولم يغير الا فى ثلاثة أشياء هى : اللغة ، البناء ، الأفكار . فقد كتبها فى ثلاثة فصول بدلا من خمسة ، وجعل لكل فصل مشهدين مقابل الأربعة فصول الأولى فى الأصل، كذلك اختصر المقابلات التى تمت بين هوفستاد وستوكمان فى الفصل الثانى لدى ابسن، ثم بين هوفستاد واسلاكسن وبيلنج فى الفصل الثالث . وزيدت سرعة الفصل الخامس . أما الفصل الرابع الذى يمثل فى الأصل اجتماعا عاما فقد عدله ميللر بعض الشىء . كما أحس ميللر بأن فى الأصل الابسنى شيئا من الفاشية لم يكن ابسن يقصدها ، وبالتالى ازالها ميللر تماما ، وجعل من ستوكمان نموذجا امريكيا . ولئن كان لميللر هنا فضل على ابسن فانما هو فضل فى الدراما وليس فى الأفكار، ذلك لأنه أضاف الى الأصل روح السخرية والفكاهة التى افتقدها. واذا كان ستوكمان فى الاصل حائرا مأزوما، يحس ان الناس خانوه ، فأنه لدى ميللر يحتفظ بنفس الازمة ، لكنها هنا أزمة الديمقراطى الذى يتعلم من بلده أن القاعدة العامة ليست منزهة أو على صواب . واذا كان قد قهره غباء العامة ، ذلك الغباء الذى هاجمه فى الأصل هجوما عنيفا بحيث بدا فاشيا الا أنه أصبح لدى ميللر أرق وأكثر انسانية .

---

(١) ترجمت الى العربية عام ١٩٣٢ وقد نقلها ابراهيم رمزى وراجعها خليل مطران وزكى المهندس وزكى طليمات ، وطبعتها وزارة المعارف العمومية فى ذلك العهد .

● البوتقة The Crucible

عرضت « البوتقة » فى مستهل عام ١٩٥٣ ، وأثارت ضجة سياسية وقعت آثارها على مؤلفها كما سبق أن رأينا حين عرضت فى بلجيكا ورفضت السلطات الامريكية السماح لميللر بالسفر لحضور حفلة افتتاحها . فقد قيل يومها ان ميللر يهاجم المكارثية فى المسرحية وانه يعنى بموضوعها موضوع التسلط البوليسى على الفكر وحرية الرأى . والواقع أن أحدا لايستطيع أن ينفى عنها دعوتها الى الالتزام بالمبادىء الى حد التضحية بالروح — فبطلها جون بروكتور فلاح عادى لكنه رجل شريف يحاول ان يفهم وأن يترجم الى الواقع مايمليه عليه ضميره ، وأن يفعل مايراه ويؤمن به لا مايحسه . ولهذا فهو يضحى بحياته مقابل هذا الالتزام . وفى المسرحية مجموعة من الهاربين من تهمة الاشتغال بالشعوذة والسحر يتجمعون فى غابة قريبة من مدينة تدعى « سالم » . ويتهمهم الناس بالعمالة للشيطان . ويعقدون محاكمة للنظر فى أمرهم تنتهى بتنفيذ حكم الاعدام شنقا على أكثرهم وفى هذه الاثناء يتم القبض على زوجة بروكتور بطل المسرحية ، ويحاول هو تبرئتها ، لكن محاولاته تؤدى الى اعتقاله ، وتبدأ عملية مساومة له بانه اذا اعترف وقدم قائمة بزملائه الذين نقلوا عدوى السحر فسيطلق سراحه ، أما اذا لم يعترف فالموت مصيره المحتوم . وحين يلتقى بروكتور بزوجته المقبوض عليها تروى له عن الطريقة التى مات بها أحد المحكوم عليهم ، فتقول :

« لقد وضعوا أحجارا ضخمة على صدره فلم يتفوه بكلمة نعم أو لا . ويقولون أنه لم يقل سوى كلمتين هما : « شددوا الثقل » ، ثم مات » .

هذه الرسالة التى يؤمن بها بروكتور فى التضحية لاتزيده الا اصرارا على التزامه وموقفه فتكون النتيجة هى الموت الذى وعد به .

وقد عولج موضوع المشتغلين بالسحر والشعوذة فى مدينة سالم هذه فى مسرحيتين قبل أن يفكر ميللر فى معالجته للمرة الثالثة ، وهو موضوع تاريخى حدثت تفاصيله عام ١٦٩٢ وظلت طى النسيان حتى بعثه الكتاب والشعراء وأضفوا عليه دلالات جديدة . ولقد رشحت ميللر لتناوله عدة عوامل تنحصر فى الحس الليبرالى الذى قواه لديه الكساد الاقتصادى ومخلفاته ، وكذلك فى ايمانه الوجدانى بالمسئولية الاجتماعية ، وحبه لتناول أفكار مثل الذنب والعقاب والجزاء .

غير أن المسرحية تشبه من بعض النواحى مسرحية « القديسة جون » لبرنارد شو ، وخاصة فى التضحية والالتزام بالقضايا الاجتماعية الى حد الموت فى سبيلها . واذا كان النقاد يعتبرون مسرحية « القديسة جون » أشعر مسرحيات شو،فان « البوتقة » تعتبر أيضا أشعر مسرحيات ميللر وهى فى عرف نقاده أكثر امتلاء بروح الدراما والمسرح من مسرحيته « وفاة بائع متجول » ، لكنها ليست أكثر منها واقعية ، وهذا أمر طبيعى ناشىء من موضوعها التاريخى . وقد نالت جائزتى : انطوانيت بيرى ، ودونالد صن.

● ذكرى يومى اثنين A Memory of two Mondays

عرضت هذه المسرحية مع مسرحية « مشهد من الجسر » فى برنامج واحد فى سبتمبر ١٩٥٥ لكنهما لم يصادفا نجاحا كبيرا ، والمسرحية من فصل واحد ، عالج فيها ميللر — على حد قوله — موضوع الايجار والجوع والحاجة الى شىء من الشعر فى الحياة ، لا موضوع تسلط الأفكار كما اعتقد نقادها الذين هاجموها بدعوى انها حادثة صحفية خبرية .

وهى تعرض لمجموعة من الموظفين والعمال فى محل كبير لبيع قطع

غبار السيارات من خلال علاقات بعضهم بالبعض الآخر . وتتجمع فيها كثرة من الشخصيات رغم قصرها ، وهى شخصيات تتراوح بين الرقة والخشونة ، بين الحلم والواقع ، بين التحلل من المسئولية والطموح ، بين المغامرة والتجربة . لكنها تتطور بين يومى اثنين ، فيصبح تومى الموظف الصغير السكير فى الجزء الأول مثلا عيوفا عن الخمر فى الجزء الثانى بمجهود جبار يبذله لبعث الارادة فى نفسه . بينما نجد كيني المثالى المحب للشعر فى الجزء الأول ينحط فى الجزء الثانى فيصبح سكيرا رغم ومضات الرقة والشرف التى تعاوده وتذكره بما كان له فى سابق أيامه . ومرور الزمن هو الحد الفاصل بين جزئى المسرحية ، بين يومى الاثنين ، اللذين يفصلهما زمن يقضيه بيرت ـ الشخصية المحورية فى المسرحية ـ فى كسب ما يكفى من مال للالتحاق بالجامعة . ومن خلال ذاكرة بيرت ذلك الفتى الطموح الذى يبلغ الثامنة عشرة نرى المحل وما يشغله من أحداث وشخصيات ، ولهذا فليس فى المسرحية ثمة تقسيم فى الشكل الى مشاهد . ذلك لأن استمرار التدفق فى الذاكرة يوحى بوحدة تجربة برت .

ولعل مفتاح المسرحية قد جاء على لسان تومى فى قوله « ان الارادة هى التى تحقق كل شىء » ومن ثمت فان من لايعزم لايحصل على مايرغب ، ومن لايريد لايجد شيئا . غير أن معالجتها لهذه العلاقات التى تربط بين أبطالها تسير بهدوء قريب من طريقة تشيكوف فى معالجته لمسرحياته . ويتضح هذا فى تكرار المواقف وتواتر الأحداث وبعض فقرات متماثلة من الحوار ، وكذلك فى تواتر سلبية بيرت نفسه ، بحيث يحس المتفرج برتابة واختلاف فيما بين بيرت وبقية الآخرين ، وهى رتابة مقصودة بالطبع لخلق جو من الغنائية والمناجاة ، أما الشكل العام للمسرحية فهو شكل المسرحية الطبيعية ذات الفصل الواحد .

● مشهد من الجسر A View from the Bridge

كانت هذه المسرحية جزءا من برنامج واحد شاركتها فيه المسرحية السابقة ، وكانت فى الأصل – مثلها – من فصل واحد . لكن ميللر قام بتعديلها حين عرضت فى لندن ، فجعلها من فصلين ، بل انه تخلى عن الشعر الذى كانت عليه لغتها فى الأصل . ولقد مكنه هذا التعديل من التقليل من حيوانية أدى كاربون وزيادة اتجاهها الى الواقعية .

ولعل هذه المسرحية تبدو للوهلة الأولى غير عادية بالنسبة لكاتب كميللر ، فقد تبدو انشغالا بالرغبات الحيوانية التى تقوم على عنصر غشيان المحارم أو الشذوذ الجنسى ، مما يقربها الى تنيسى وليامز ، لكنها فى الواقع تحمل معنى أبعد من هذا بكثير . فهى تعالج فكرة الذنب حين يقع فيه الانسان ثم يعانى منه مقابل اكتشافه لنفسه وتحديد علاقاته بالغير . لكن وقوع الانسان فى الذنب يورطه هنا حتى النهاية فيتخذ منه موقفا أو خطا يسير عليه ، بل ويتمادى فيه ، الى أن يفقد حياته مقابل الاعتداد بذنبه . هنا نجد أسرة مكونة من ايدى كاربون وزوجته وشقيقتها الصغرى كاترين . وهى أسرة هاجرت فى الأصل من ايطاليا الى أمريكا بحثا عن عمل . وجدير بالملاحظة أن موضوع المهاجرين يتردد أيضا فى المسرحية القصيرة السابقة ، اذ نجد بين شخصياتها ايرلنديين والمان هاجروا الى أمريكا وافتقدوا فيها تراثهم وشخصيتهم القومية . ويحدث أن ينزل على هذه الأسرة الصغيرة مهاجران جديدان بحثا عن عمل كذلك . وهما شقيقان : ماركو ورودلفو ، من أقارب زوجة ايدى ، لكنهما ينزلان خفية متسللين حتى تنقضى العدة القانونية اللازمة للحصول على الجنسية الأمريكية . وفى هذه الأثناء يلاحظ ايدى أن كاترين الصغيرة تحب رودلفو أصغر الشقيقين ، ويكون هو نفسه – أى ايدى – قد تورط

فى حب الفتاة ، بل انه بدأ يغار عليها ، ومن ثمت ينمو فى نفسه حقد على رودلفو ثم على شقيقه الأكبر ، وينتهى هذا الحقد المترتب على حبه الشاذ لشقيقة زوجته بأن يفشى سر المتسللين فيعتقلان ، وتنتهى حياته هو نفسه أثر عراك نشب بينه وبين ماركو بسبب خيانته وبسبب اعتداده بكرامته واسمه . وعندئذ يظهر ألفييرى المحامى الذى تولى مهمة الراوى ، فينهى المسرحية بقوله :
« نحن الآن غالباً ما نرتضى الحل الوسط ، وهذا ما أفضله . ولكن الحقيقة مقدسة . ومع أننى أعرف إلى أى حد كان ايدى على خطأ وكان موته غير مجد ، إلا أننى أرتجف إذ أعترف بأن شيئاً نقياً — رغم أنه كان ملتوياً — يهيب بى من ذكراه ... شيئاً ليس طيباً خالصاً ، ولكنه خالص نقى فى حد ذاته .. ذلك لأن ايدى ترك نفسه تتكشف عن آخرها ، ولهذا أحسبنى سأزداد حباً له ، أكثر من حبى لكل عملائى العقلاء ، ومع ذلك فمن الأفضل الرضا بالحل الوسط . هذا ما ليس منه بد ! .. وهكذا ، فإنى أعترف بأننى حزين عليه ، ولكن فى شىء من الجزع والابتئاس . »

حقاً ، لقد راح ايدى كاربون ضحية لأنه ضل السبيل إلى الرأى السليم وإلى الكرامة الحقة والعدالة . لماذا ؟ انه مخطىء نحو كاترين ونحو ضيفيه اللذين وشى بهما بسبب غيرته على الصغيرة ، وهو فى قرارة نفسه قد يكون مطمئناً إلى أنه أذنب ، لكن القيم الاجتماعية ومطالبتها للانسان بأن يظهر موفور الكرامة هى التى جعلته يضحى بنفسه فى معركة خاسرة.

ورغم أن هذه المسرحية لم تنل أيه جائزة إلا أنها ظهرت فى سلسلة « أحسن مسرحيات ١٩٥٥ — ١٩٥٦ » . وقد قدمها ميللر بسبعة عشر صفحة تحت عنوان « حول المسرحيات الاجتماعية » . وفى هذه المقدمة كشف عن سر نجاح الدراما الاغريقية ، وعزاه إلى أن المواطن الاغريقى فى ذلك الوقت

كان لا يرى نفسه منتمياً إلى « أمة » أو « دولة » وإنما كان ينتمى إلى « مدينة » Polis . وكانت المدن وحدات صغيرة ، يعرف أفرادها بعضهم بعضاً معرفة شخصية لأنهم كانوا قليلى العدد نسبياً وكانوا يحتلون حيزاً صغيراً نسبياً . وأوضح ميللر الفارق بين التراجيديا القديمة والحديثة فقال أن الأولى تثير السؤال التالى : « كيف ينبغى أن نعيش ؟ » أما التراجيديا الحديثة فتسأل : « كيف ينبغى أن أعيش ؟ » أى أن الفارق الأساسى هو الفارق بين الضميرين : نحن وأنا .. « نحن » فى القديم ، و « أنا » فى الحديث ، أى « الجماعة » فى القديم و « الفرد » فى الحديث . وهذا الالحاح على مفهوم المدينة القديمة من جانب ميللر ظهر من قبل فى مسرحيته الأولى « الرجل الذى أوتى الحظ كله » ، فهى بدورها تعكس نظام الحياة فى مدينة صغيرة حاول ميللر أن يقدمها على المسرح من خلال علاقات أفرادها ومجتمعها ببطل المسرحية دافيد فرايبر .

وعلى هذا تكون « مشهد من الجسر » محاولة فى كتابة المأساة الاغريقية بأسلوب حديث ، وبالتالى تكون خيانة ادى للمهاجرين المتسللين تهديداً « للطريقة الصحيحة للحياة الجماعية » التى يعتبرها ميللر أبرز مظهر من مظاهر المدينة القديمة . لكن ادى هنا « يخلع » نفسه من المدينة وحياتها ، وبالتالى يدمر نفسه وينسحق أمام اعتداده بفرديته .

● بعد السقوط After the Fall

احتجب ميللر عن الكتابة للمسرح قرابة تسع سنوات ، أى قبل أن يطلق زوجته الأولى بقليل ثم عاش بعد ذلك فى زواجه الثانى بمارلين مونرو الذى انتهى بالطلاق ، ولكنه لم يعد إلى الكتابة الجادة التى عهدها قراؤه منه ،

إلا فى عام ١٩٦٤ ، رغم أنه كتب فى تلك الفترة عدداً من القصص وسيناريوهات الأفلام وهو عمل تجارى فى الغالب . لكن ما ان أهل عام ١٩٦٤ حتى كان قد انتهى من مطولته هذه « بعد السقوط » ، وكأنها إشارة إلى سقوطه هو خلال السنوات التسع العجاف !

وتتلخص المسرحية فى أن كونتين محام ناجح فى نيويورك ، يدهمه الشك فى نفسه ، فبعد زيجتين فاشلتين يتساءل : بأى حق أتحمل أعباء زيجة ثالثة ؟ ويتذكر كونتين — وهو يحاول أن يزن نفسه أمام صديق قديم له — كيف شب فى بيت دلله وجعله يعتقد أنه غير عادى . وفى طابور من الذكريات يصبح كونتين مشغولا بأسرته وأصدقائه والنساء اللواتى صادفهن فى حياته ، وبعض المشاكل السياسية التى واجهته . غير أن فشل زواجه الأول يرجع إلى ادعاء زوجته بأنه يعاملها كأنما لا وجود لها . ثم يأتى زواجه المكتوب عليه من ماجى المطربة المشهورة التى تخشى أن تفر شهرتها وأن تنهار بالسرعة التى تكونت بها . ومن ثمة تنقلب فى حمى وهستيريا عنيفة إلى نمرة تحطم نفسها بيديها . وأخيراً ينهى كونتين « أوديسة » اكتشافه لنفسه هذه بالعثور على حقيقته وما يؤمن به حق الايمان ، ومن ثمة يستعد للزواج مرة ثالثة .

لكن يحسن بنا أن نفصل هذا الملخص بعض الشىء قبل أن نناقش الجوانب المختلفة التى أثارتها المسرحية من جهة وأثارها النقاد من جهة أخرى :

إن كونتين يظهر على المسرح « مثقلا بحس تفاهته وتفاهة العالم » كما يقول ميللر فى مقدمته المركزة الذكية . ثم يتحدث إلى صديق وهمى لا وجود له على على المسرح ، ويشرع فى وصف عودته من حصار مستميت . فيحكى قصة غير محددة لينبعث أثناء حكايتها عديد من أحداث ماضيه وعلاقته ، أو هى سلسلة من العود للماضى الذى تعرفه السينما ، عششت فى الذهن كما تعشش

الصخور فى قاع البحار ، فالمسرحية كما يقول مؤلفها تحدث فى الذهن ، فى ذاكرة وتفكير كونتين الرجل العصرى الذى يجادل ضياعة وشكه المرتبك . ثم تظهر أمه على المسرح وهى تصب جام غضبها فى حالة من الهستيريا على زوجها الذى أفلس ، بينما كونتين الطفل – إذ يتذكر كونتين الرجل مواقف طفولته – يغلق على نفسه باب الحمام حتى يغرق الماء الجارى صوت أمه الغاضبة .

ويكبر كونتين ، ويصبح محامياً ، ويتزوج من لويز التى تجده عديم الاحساس بها ، وتشكوه لنفسه قائلة أنه لا يراها إلا حين يريد منها أن تتباحث معه فى مذكرة قانونية ! ويتذكر أنه كان ذات يوم شيوعياً ، لكنه يخجل عندئذ من غفلته ، فهو يخاصم صديقاً له كان يعد العدة لابلاغ السلطات بأسماء أعضاء الخلية قبيل انعقاد لجنة النشاط المعادى بالكونجرس ، وهى اللجنة التى أفسدت حياة كثيرين من أحرار الكتاب والفنانين ، ويتطوع كونتين للدفاع عن أحد ضحاياها من أصدقائه ، لكن الحظ ينقذه من ورطته حين ينتحر الرجل فى الوقت المناسب . ويحاسب كونتين نفسه حساباً عسيراً إزاء فرحته وراحته التى أبداها حين تلقى نبأ موت صديقه .

ويمضى المونولوج على هذا النحو وكونتين يعترف بفشله فى أن يكون إنساناً كبقية الناس فهو رجل تحكمه مبادىء سامية لا تأتيه على الاطلاق فى حالة الاحتياج العادى لها ، وتعاوده ذكرى معسكر من معسكرات الاعتقال – التى أعدها هتلر لليهود بصفة خاصة – كرمز يذكره بأنه رغم تمزقه وأزمته إزاء جرائم عصره الكبيرة قد تصرف فى حدود حياته الخاصة كشريك فى الجريمة .

وفى هذا التيه الذى يعيش فيه كونتين تظهر ماجى فجأة وهى مطربة

شعبية شقراء موهبتها الوحيدة أنها تتمتع بقيمة مذهلة كرمز للجنس . وهى تظهر له فى وقت كان فيه حزيناً مهموماً على فشل زواجه الأول وخوضه فى وحل أخلاقى يسود حياته الذهنية . ويخضع لسذاجتها وتبرجها المنطلق . فقد عاش على المجردات أما هى فتتمثل له كحقيقة من حقائق الطبيعة ، مثلها مثل الشجرة أو القطة . وينجذب إليها حين تبدو له بمثابة دعوة إلى الحياة الفورية فى اللحظة التى يتمزق فيها . و ذلك لأنها لم تكن « تدافع أو تناصر أو تتهم » .. لقد أعطته أول تجربة له مع ثناء المرأة على الرجل واحساسه بأنه يلعب فى حياتها دور « ولى النعمة » ، وتحكى له عن حياتها البائسة : عن أمها المجنونة التى حاولت أن تخنقها ذات مرة ، عن أبيها الذى هجر أمها حين كانت طفلة . وتطلب منه أن تصحبه إلى واشنطن حين يمثل أمام اللجنة المعادية للنشاط الشيوعى ، بدعوى أن التفكير فيها وهى تنتظره عارية بالفندق قد يمده بالشجاعة . وتتلخص حياتها كلها فى أنها صنعت من نفسها حباً إنسانياً يقوم على الجنس ، تعطيه لمن يحتاجه دون أن تتقاضى عليه أى ثمن . ومع هذا ففى اليوم الذى زفت فيه إليه تحكى له فى أسى أن السبب فى ترددها على محلل نفسانى للعلاج هو أنها تصدقت على رجلين بالجنس فى نفس اليوم الذى تم فيه الزفاف . وعندئذ تحذره وهى تنتصب واقفة فى ملابس الزفاف من أنه سيكون محلا لتندر الناس دائماً ، وأنها تخشى عليه من نفسها بل أنها تعطيه فرصة للتراجع .

غير أن كونتين لا يتراجع ، فهو يحس بمسئوليته إزاء انقاذها ، ويحاول تهدئتها واعادة الثقة إليها بقوله لها أنها شخصية غير عادية . وهى قد أمدته أيضاً باحساس بالقوة وهو يغيرها لكنه أخطأ إذ ظن هذا نوعاً من الحب ، فهى تدعوه بلقب « إله » لأنه لم يعاملها كما عاملها الآخرون الذين تتصدق عليهم .

وفى وسط هذا الاضطراب يتزوجها . « فالمهم أن يستجيب المرء لشخص ما فى النهاية ».ورغم أنه يحاول أن يعلمها كيف تسلك وتتصرف ، إلا أنها تظل عاجزة عن الإيمان بأن بوسع أى رجل أن يحبها لذاتها دون طمع فى جنس أو جمال ،ومن ثم تبدأ فى الانهيار.ومثلما فعلت زوجته الأولى معه تقوم ماجى بدورها باتهامه وتبكيته ، فتدعى انعدام قدرتها على الحب. وتأمره ذات مرة ، وهى فى حالة هستيريا نتيجة لاحساسها بالذعر ، بأن يفصل احدى مساعداتها فى الفرقة الغنائية لأسباب تافهة ، وتجره شيئاً فشيئاً خارج مجال عمله الخلاق كى يشرف على شئونها ونزاعاتها التافهة . فتلجأ إلى الخمر لتدفن فيها شهرتها وموهبتها . وتعود وهى مخمورة إلى أسلوب فتيات الطريق فتحاول إذلاله بتشكيكه فى رجولته .

ـــ لماذا ترتدى هذا البنطلون ؟ قلت لك أن الرقعاء يرتدون بنطلونات كهذه ــ وهكذا تتفنن فى تعذيبه ، وتلجأ إلى وسيلة مدمرة هى محاولتها الانتحار . اما كونتين الذى يعجز عن التفكير والعمل فقد مزقه تيار العطف عليها . لكنهه يستسلم فى النهاية إلى الهستيريا مثلها . بل انه يفقد أعصابه ذات مرة فيحاول أن يخمد أنفاسها على السرير ، وكأنها بهذا قد نجحت فى إغرائه بارتكاب جريمة تضاف إلى سجل جرائمه الذهنية . ويعرف عندئذ أنه يستطيع أن يقتل بدافع من جميع مظاهره الذهنية البريئة وهذا هو لب الرسالة التى يعلنها على الناس قبل نهاية المسرحية ، حين يصعد فى السلم ناحية هولجا الفتاة الأوروبية التى اعتزم الزواج بها للمرة الثالثة . ان كونتين يقول أنه رأى صورة حياته مرتسمة على وجهه ، فاكتشف أنه إذا استطاع الانسان مواجهة هذا القبح ومحاصرته لاستطاع أيضاً أن يمتلك الشجاعة التى تجعله يستيقظ فى الصباح مفعماً بالأمل ــ بل انه ينتزع من نفسه اعترافاً بأنه حين أصبحت الحياة مع ماجى لا تطاق أحس بموجة من الشكر تغمره وتطالبه بالاعتراف بأن محنته معها قد انتهت . وهو يخلص إلى أن الرغبة فى القتل

لم تقتل على الاطلاق ، وذلك بعد سياحة متصلة داخل نفسه يكتشف بعدها صلاحيته لهذا الزواج الثالث . « لكن قد نستطيع بفضل ما نملك من شجاعة أن نتبين هذه الرغبة فى أنفسنا حين تظهر ، وبضربة واحدة يمليها الحب نعفو عن هذه الرغبة كما تعفو عن أبله فى بيتك ، تفعل هذا مرة تلو المرة .. إلى أبد الدهر . »

لكن من حقنا أن نتساءل الآن : أين السقوط إذن هنا ؟ وما فكرته ؟ وماذا بعده ؟ إن كلمة Fall الانجليزية لها أكثر من معنى ، فهى تعنى السقوط بالمعنى العادى أى الوقوع ، وهى فى اللسان الأمريكى تعنى الخريف ، وهى بلغة الكتاب المقدس تعنى « الخطيئة الأصلية » لآدم وحواء أو السقطة . فى سفر التكوين أن الرب أخذ آدم ووضعه فى جنة عدن التى غرسها شرقاً ووضع فيها شجرتين هما شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر ، وخلق له حواء ، وحذره من الأكل من شجرة المعرفة هذه « لأنك يوم تأكل منها تموت موتاً » (١) لكن الحية أغوت حواء بالأكل من الشجرة فأكلت منها « وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل بناء على نصيحة الحية » (٢) .. أكلا منها وأصبحا عارفين للخير والشر ، فطردا من الجنة ، وسقطا .

وقد جاءت كلمة السقوط فى نهاية المسرحية على لسان كونتين بعد استعراضه لحياته وتجاربه ، وجاءت فى الأصل بالحروف الكبيرة السابقة مما يؤكد دلالتها الانجيلية ، لا دلالتها الشائعة فى اللسان الأمريكى كما حسب البعض .. يقول كونتين :

« هل المعرفة هى كل شىء ؟ أن نعرف ، ونحن سعداء ، أننا نلتقى دون بركة لا فى حديقة من حدائق الفاكهة الشمعية والأشجار المرسومة ، أكذوبة

---

(١) ، (٢) العبارتان من النسخة العربية للعهد القديم .

جنة عدن تلك ، ولكننا نلتقى بعد السقوط ، بعد كثير ، كثير من الوان الموت . فهل المعرفة هى كل شىء ؟ » .

وكأن الانسان إذن محكوم عليه بالموت منذ سقوط آدم فى الخطيئة واتباعه نصيحة حواء واغراء الحية . وكأن الانسان بعد هذا السقوط يجب عليه أن يكون مسئولا عن تصرفاته بعد أن انعدمت البراءة . وكيف يواجه السقوط ؟ .. بالشجاعة كما يقول ميللر .. أما البراءة وهى الفكرة الثابتة فى المسرحية التى يحصلها الانسان بعد سقوطه ، فقد شرحها ميللر فى حديث له مع الصحفى الانجليزى هنرى براندون بقوله : « أعنى بالبراءة أن يعمى الانسان عن الدوافع التى تحركه والأفعال التى يأتيها . فمن الخطر أن يحس الانسان بأنه برىء ، لأن هذا يمكن أن يؤدى إلى جميع الكوارث ، ذلك لأن ماجى تؤمن بالبراءة بسبب كلمات كونتين : « قولى الحق ولو على نفسك » . والحياة لديها عديمة الثبات ، فكل ما يمكن أن يفعله الانسان فى ظنها هو أن يكون شجاعاً — لا غير — إزاء الحياة . »

ويستطرد ميللر قائلا :

« ونحن غالباً ما نضمن من خلال البراءة وجود انفصال بين أفعالنا الخاصة وبين ذواتنا مما يجعل العنف ممكن الاستمرار . وكونتين ، الرجل الذى تدور حوله الأمور ، لا يحس بالبراءة فهو يناضل من أجل أن يفعل الصواب لكن دون أن يصيب كثيراً من النجاح فيما عدا أنه يبدو فى النهاية قد تعلم أن يستجمع الشجاعة كى يحتضن العالم بذراعيه » .

لكن هناك إشارات كثيرة فى المسرحية إلى الأخلاق والفضيلة ، فما تبريرها ؟ ان ميللر لا ينكر هذا ، ولكنه يوضحه بقوله فى حديثه السابق مع هنرى براندون : « حين تتدرج المسرحية فانها تنمى عدداً من الآراء عن

الأخلاق والفضيلة وعدداً من سبل مواجهة الحق . وأنا — أساساً — أقول بأن الحق لا يمكن قبوله وأنه يسبب العذاب . فبوسعه أن يستخدم فى الغالب كسلاح للقتل. وماجى فى تقديرها الخاص راوية حق ، ونحن نرى فى قضيتها مدى التخريب والفناء الذى يمكن أن يسببه الحق ، وليس ثمة مفر سهل منه . كذلك فأنا أحاول أن أعرض إلى أين يقود طلب القوة ، وأن الحب ليس القوة ولكن الاثنين عدوان لدودان .. »

* * *

ولعل النقاد فى أمريكا أو فى انجلترا لم يختصموا حول ميللر مثلما اختصموا حوله هذه المرة فى « بعد السقوط » . وقد حاولت أن أجمع عدداً من الآراء البارزة فى هذا الموضوع فخرجت بحصيلة لا بأس بها ، ولا بأس أيضاً من عرضها هنا.فقد زار الصحفى الناقد الانجليزى هنرى براندون أرثر ميللر فى نيويورك وشاهد تجارب المسرحية قبل أن تعرض ، ثم عاد إلى بلاده وكتب مقالا بصحيفته « ذى صنداى تايمز » فى ١٩ يناير ١٩٦٤ ، تحت عنوان « لماذا كان يجب أن تكون ماجى صورة لمارلين ؟ » . وفى هذا المقال يقول براندون « ان المسرحية لا تقدم أى حل . والدواء الوحيد الذى يوصى به ميللر هو الشجاعة ، التى أعطتها لكونتين زوجته الثالثة ، فجعلته يفهم أن المسألة مسألة عمل لا مسألة خوف ، مسألة تنفيذ لا مسألة تردد » . ثم يتعرض إلى قضية الحياة الشخصية للكتاب وعلاقتها بهذه المسرحية فينقل نفى ميللر لهذا الاحساس الذى أحس به الجمهور فيما بعد . فميللر يفسر هذا بقوله أنه حين يحاول أن يكسب مسرحياته قيمة باقية فإنه يلجأ إلى الخصوصيات ، لأن العموميات هى أول الأشياء التى تتقلص وتتداعى فى رأيه . ويضيف إلى ذلك أن مسرحيته « البوتقة » حين ظهرت ربطها الناس بلجنة مكارثى لكنهم يفهمون الآن أن مغزاها أكثر عمقاً .

ويعلق براندون بقوله :

« لقد تساءلت : ألم يكن بامكان ميللر أن يتفادى نبش قبر مارلين واظهارها بكثير من تفاصيل حياتها ودقائقها ؟ . لكن ميللر أجاب بأنه حاول أن يفعل دون جدوى . فمارلين تمثل بشكل عام تشخيصاً لبعض الصفات والنقائص الشائعة فى هوليود . أما ميكى وعلاقته بايليا كازان الذى كان صديقاً لميللر ثم تخاصما عدة سنوات ، ففيه من الواقع الكثير ،وقد دافع ميللر عن كازان حين قال على لسان ميكى : « لن يسمح لى ضميرى أن أستغل اسم شخص لأسبب له المتاعب » . ويبقى كونتين الذى يشبه ميللر نفسه وهو فى نظر براندون بطل يفتقد مجال البطولة ، فليست هناك محاولة من جانب ميللر لتمجيد نفسه أو للوم أحد رغم أنه يتهم الكثيرين .«وكونتين يفضل أن يناضل فى الحياة على أن يصرخ مستدراً العطف . بل أنه أساساً ليس بضحية . »

وكتب الناقد الانجليزى ارفنج كريستول بصحيفة « ذى أوبزرفر » فى ٢٦ يناير ١٩٦٤ تحت عنوان « التقدم الذى أحرزه ميللر » ، فأشار إلى ترحيب النقاد الامريكيين للمسرحية بشكل عام فيما عدا والتركيز ناقد صحيفة « ذى هيرالد تريبيون » الذى أظهر استياءه لها .

ويلخص كريستول قيمة المسرحية بقوله أنها ليست مسرحية على الاطلاق ، ولكنها تندرج تحت ما يسمى بأدب الاعتراف ، أو الدراما النفسية التى تعالج سيرة ذاتية . لكنه امتدح أسلوب ميللر الممتاز فى السرد التحليلى الذاتى للأحداث ، رغم بلاغته الوجودية .

أما فى أمريكا فقد اختلفت الحال . ذلك لأن ميللر رفض أن يكتب أحد عن المسرحية قبل عرضها . وما إن بدأ العرض فى أول فبراير ١٩٦٤ حتى تهافتت الصحف والمجلات للكتابة عن المسرحية . ونشرت مجلة نيوزويك تحقيقاً

مسهباً فى ٣ فبراير تحت عنوان : « بعد السقوط . عودة آرثر ميللر » ، فأشارت إلى ما كتبه النقاد الأمريكيون عنها ، ومنهم السير تيرون جثرى الذى قال أنها « أعظم حدث فى تاريخ المسرح الأمريكى » ، ولكنها أشارت أيضاً إلى أن المسرحية من الناحية الدرامية جاءت مخيبة للآمال . فى حين أن هوارد توبمان ناقد « ذى نيويورك تايمز » المشهور قال عنها أنها « أنضج مسرحيات ميللر » .

وأشارت المجلة فى تحقيقها أيضاً إلى حقيقة واجهت الجمهور . ذلك لأنه ما إن كانت الأضواء تظلم على المسرح فى النهاية حتى يخرج الناس وهم يتمتمون : « ولما يبرد جسدها بعد ! » إشارة إلى مارلين مونرو التى مثلت دورها بنجاح مذهل الممثلة الناشئة بربارة لودن . ثم طابقت المجلة بين أحداث المسرحية وبين حياة ميللر نفسه فوجدت تشابها بالغاً . ذلك لأن ميللر ولد فى أسرة أصابتها الضائقة الاقتصادية بضربتها قبيل الحرب الثانية . وأمه تشبه الأم فى المسرحية . وهو أيضاً تزوج ثلاث مرات ، وله علاقة بلجنة مكارثى حين رفض الادلاء بأسماء أصدقائه من الشيوعيين السابقين فوضعوا اسمه فى القائمة السوداء ، ومنع عرض مسرحيته « البوتقة » فى بلاده حينذاك . وهو كذلك تحول إلى فتاة نمساوية هى المصورة انج موراث أم ابنته الطفلة ربيكا التى تزوجها حين زارته ذات يوم مع بعض المصورين وكان يعيش بمفرده بمنزله الريفى . وفى ٢٤ فبراير نشرت مجلة « لايف » تحقيقاً مصوراً ومقالا للناقد توم بريدو حول المسرحية بعنوان « بحث مستميت لبطل مأزوم » ، استهله بقوله « إن المسرحية عبارة عن مناجاة شخصية مدتها ثلاث ساعات » ، وأن الزمان والمكان لا وجود لهما فيها . فالميت يبعث ويموت مرة أخرى ، والجروح القديمة تجرح من جديد لأنه لا وجود للقواعد المنظمة لحركة المرور داخل الذاكرة .

ويمضى بريدو فى تحليل المسرحية ، ويبدأ بالفصل الأول فيقول أن كونتين فى هذا الفصل يقوم بأداء نوع من استعراضات العرى الأخلاقى ، فيعترف بأن أمه دللته ، وأنه يحب أن تثنى عليه النساء وأن يعبدنه ، وأنه يحس بانفصال عن بقية البشر طالما جعله بعيداً عن الحب والبكاء ، بل عن الحزن . ويعتر حين يذكر زيارته لمعسكر الاعتقال حيث ذبح آلاف اليهود ، بأنه شريك الجريمة والمذبحة . كما يعترف بأنه أحس بالراحة حين انتحر صديق له تحت عجلات قطار المترو كان يستعد للدفاع عنه ، وهو يسمى نفسه غشاشا ، ويقلق على خيانته للحقيقة ، وعلى موت الحب ، ويعلن : « ليس بوسعى أن أجد نفسى » وهى شكوى جادة حقيقية للرجل العصرى ، لكن كونتين يحتج أكثر من اللازم. أما فى الفصل الثانى فهو يعقد مقارنة بين أخطائه الجسيمة الحمقاء الشائعة بين البشر ، وبين أخطاء ماجى التافهة الطفولية . ويرى أن سر مأساتها يكمن فى طفولتها لكنه يبيعها فى النهاية .

ورغم كل ما يقال ، ورغم كل ما قاله ميللر إلا أن المسرحية فى رأى بريدو تدعو بل تصر فى الحقيقة على التشابه بين ماجى ومارلين . فقد عراها ميللر حتى فى وصفه للزيارة القصيرة المحزنة التى قامت بها للبحث عن أبيها ريف كاليفورنيا . ويعرج بريدو بعد هذا على فكرة المسرحية فيقول أنها فكرة كبيرة تدور حول خلاص الانسان ، وهى تخاطب جمهورها مباشرة وتدعوه إلى الجدل والمناقشة . ويختتم بريدو مقاله بقوله : إن ميللر قال الحق كما رآه ولو كان على نفسه .

★ ★ ★

ويبدو أن مشكلة السيرة الذاتية هذه قد أثارت ميللر نفسه ، فعقب عليها بمقال قوى فى ذات العدد من لايف تحت عنوان : « باحترام لعذابها — بل

بحب » ، شرح فيه علاقة شخصية ماجى بمارلين مونرو ، وكذلك علاقة الحياة الخاصة للكاتب بانتاجه ، واستهله بقوله :

« لست من السذاجة بحيث أتصور أن « بعد السقوط » يمكن أن تستقبل كأى مسرحية أخرى وان تقدر كأى مسرحية أخرى ، انه مثير هذا التسلط الذى طغى على بعض الناس ، أو بالأحرى المثقفين ، فجعلهم يتحولون عن الحقيقة ويسمحون لأنفسهم بالاعتقاد بأن عناصر حياة المؤلف جزء من المسرحية التى يكتبها ..

« ان شخصية ماجى ، التى تبدو من زاوية كبيرة مجسمة للضجة ، ليست فى الحقيقة مارلين مونرو . ذلك لأن ماجى شخصية فى مسرحية تدور حول مافى الانسان الحيوان من عدم رغبة أو عجز عن أن يكتشف فى نفسه بذور فنائه . وماجى موجودة فى هذه المسرحية لأنها تمثل — فى كثير — نموذج افناء المرء لذاته الذى يحل فى النهاية حين يرى الانسان نفسه ضحية خالصة للآباء ، وللقانون الجنسى المتزمت ، ولاستغلاله كمطرب . ومن الواضح تماما أن شخصية ماجى لم يعالج عذابها باحترام فحسب ، بل عولج بحب . فهل من المتصور أن ينتحر الناس دون دوافع هائلة من الفناء الذاتى المفكوكة داخل نفوسهم ؟ .. والواقع أن النفاق الذى جعلها تحس بالضياع وأثار حفيظتها فى نهاية حياتها يبدو أنه يتتبعها فى مماتها » .

وينتقل ميللر الى مناقشة قضية حياة المؤلف الشخصية فيقول :

« لا أشك أن لعبة « فتش عن المؤلف » واحدة من أكثر لعب الحياة الأدبية تسلية ، رغم أنها قليلة الأهمية . فتولستوى يختفى خلف بيير فى الحرب والسلام ، وفيتز جيرالد خلف ديك ديفر ، وهيمنجواى خلف جميع

أبطاله ، وجوته خلف دكتور فاوست،وهذا معناه تجريد العمل الفنى من أية قيمة جمالية ... فاكتشاف شخصية الفنان عملية مسلية أحيانا كالدردشة ، ولكن لاعلاقة لها على الاطلاق بقيمة العمل – التى تعتمد ، أو يجب أن تعتمد ، على تطابقها العام مع ذوات الآخرين خلاف ذات المؤلف .

ان الفن شهادة نفى أو اثبات والا بدأ فى الانحطاط الى الصنعة والمتعة الوقتية الرخيصة ، ولعبة اكتشاف الشخصية هذه فى رأيى يلعبها دائما هؤلاءالذين لايلتحمون أولا يستطيعون الالتحام–بالمعنى الموضوعى للكلمة–بالعمل الذى بين أيديهم . وهى أسلوب ينحط بالكتاب أو المسرحية الى المستوى ألوان الدعاية والاعلان .

وحين أتحدث عن الفن كشهادة، فسبب هذا ببساطة أن أعيد للفن وظيفته الأصلية كرؤية وبصيرة للحياة أكثر من كونه راحة ومتعة زائفة . وأعتقد أن « بعد السقوط » بيان درامى لعملية مخبوءة تخفى بين طياتها روح التدمير التى تتدلى على جبين هذا العصر .

وسيأتى وقت تصحح فيه هذه الأوضاع الخاطئة التى تجعل من عناصر حياتى حكما عاما للقراء والنقاد على أعمالى الفنية ... وهذه المسرحية رغم مظهرها ليست أكثر ذاتية من « كلهم أبنائى » أو « وفاة بائع متجول » أو « البوتقة » أو « مشهد من الجسر » .

وينتقل ميللر الى التعقيب على ما أثاره البعض من أن المسرحية اعتذار للغير أو هى اتهام لهذا الغير فيقول :

« ان المسرحية ليست اعتذارا ، وليست اتهاما للغير . وببساطة تامة وبصراحة ووضوح أقول إنها بيان من بيانات الالتزام ازاء تصرفات الانسان الخاصة .... »

أما فكرة البراءة فى المسرحية فيعلق عليها بقوله :

« لكن ماهو أكثر الأماكن براءة فى بلدى؟ أليس هو مصحة الأمراض العقلية ؟ فهناك يغرق الناس فى الحياة ببراءة تامة ، عاجزين تماما عن أن يروا ما بداخل نفوسهم ؟ والواقع أن كمال البراءة هو الجنون . والشىء الذى يحاول كونتين مستميتا أن يفعله فى هذه المسرحية هو أن يفتح عينى ماجى على اشتراكها فى جريمة تدمير نفسها . انه تصرف من تصرفات الحب ، لأنه يتطلب أن يفتح مغاليق نفسه أمام اشتراكه هو فى الجريمة ... »

ويختتم مقاله قائلا :

« ومن ثمة ، ليس الأمر أن هذه المسرحية مسرحية شخصية تهاجم بعض الناس، ولكنه فى رأيى يمكن فى أن الألم الذى تخلفه ليس ألما أدبيا ، بل هو ألم فعلى للغاية ، وهو ليس ألما عاطفيا كما ينبغى أن يكون ولهذا فكل هؤلاء الذين يضحكون فى الحياة الواقعية من نماذج ماجى الموجودة فى العالم ، والذين يسخرون من آمالهم ويجدون ميزة فى جهلهم وفى تعرضهم للانتقاد والهجوم ، وفى وحدتهم وحاجتهم الرهيبتين ، كل هؤلاء لايستطيعون ، بدمعة أو اثنتين ، أن « يحترموا » ضحايا نفاقهم« بطريقة شريفة » والمسرحية تقف لحسن الحظ دون هذا كله » .

ولئن كان ميللر قد حسم المشكلة برده البليغ هذا ، الا أن كثيرين لن يكفوا عن اثارتها فى كل مرة يقرأون أو يشاهدون فيها هذه المسرحية الجديدة شكلا وموضوعا .

لكن من الغريب حقا أن ينصرف النقاد الى مناقشة قضايا فرعية لاتمت للعمل الفنى بصلة نافعة ، فقد حصروا أنفسهم كما رأينا فى بحث انطباق المسرحية على حياة ميللر ، وخاصة فيما يتعلق بحياته مع مارلين مونرو ،

وتلك كلها أمور قد تنفع المؤرخ أو قارىء السير ،لكنها لاتنفع المسرحية كدراما جديدة ذات جذور بدت فى انتاج ميللر السابق ، وخاصة فى « وفاة بائع متجول » التى كان قد أطلق عليها كما رأينا فى الأصل اسم « داخل رأسه » وهو عنوان يكاد ينطبق من ناحية الشكل على « بعد السقوط » . فهى سياحة داخل رأس بطلها كونتين الذى يموج بشتى التجارب والذكريات وتتلاطم فيه أحداث الماضى مع حقائق الحاضر وتباشير المستقبل .

ولعلنا لو أردنا أن نستخلص الافكار الفلسفية التى تقوم عليها هذه المسرحية لوجدناها فى أن خلاص الانسان من أزماته لا يكون الا بمواجهة نفسه وتصرفاته بصدق ، وأن الانسان لا يستطيع أن يقدم على عمل جديد مالم يحمل على ظهره مجموعة أعماله السابقة ، أى أن المستقبل مرهون فى النهاية برؤية الماضى من خلال الحاضر . ولعل الفكرة الوجودية التى ألح عليها سارتر من قبل حين قال بأن الانسان مسئول امام نفسه وأمام الآخرين لها انعكاس قوى فى هذه المسرحية . فكونتين مسئول عن عمله أمام نفسه وأمام الغير ، وهو يلزم نفسه بهذه المسئولية مثلما فعل سارتر ومن نحا نحوه من الوجوديين الملتزمين ، بل ان هذا الالتزام يتعدى نطاق الذات هنا فيصبح التزاما بقضايا الغير .. ان الانسان كما انتهى إلى ذلك ميللر — وكما انتهى اليه من قبل كثير من الوجوديين — محكوم عليه بأن يواجه مصيره وأن يختار ، لكن مواجهة المصير والاختيار عند ميللر يستلزمان الشجاعة ، فالانسان يجب أن يواجه مصيره بشجاعة لأنه مسئول عن نفسه أولا ، ثم عن تصرفاته وأفعاله ثانيا .

★ ★ ★

يبقى بعد هذا أن نقول كلمة عن اخراج «بعد السقوط» وقد تولاه المخرج الموهوب ايليا كازان صاحب التجارب النموذجية فى السينما والمسرح وقد سبق له أن أخرج لميللر مسرحيتيه : « كلهم أبنائى » و « وفاة بائع متجول »

ومن المعروف أن المسرح الامريكى قد أصبح عقب الحرب الثانية أكثر مسارح العالم الغربى - وربما العالم كله - الحاحا على التجديد فى مجال الاخراج وتنفيذ النص المسرحى بصفة خاصة ، ويرجع هذا إلى التقدم الكبير الذى أحرزته الوسائل التكنيكية فى تصميم المناظر واستخدام الصوت والضوء والحركة .

ومن المعروف كذلك كما قدمنا أن المسرح الامريكى لا يزال فى أساسه مسرحا تجاريا يسيطر عليه رجال الأعمال والمنتجون والمخرجون ، ولهم سلطان يماثل سلطان زملائهم فى السينما لدينا وقت أن كان يسيطر عليها التجاريون قبل تدخل الدولة وظهور القطاع العام . ولم يسلم من سطوة هؤلاء المخرجين الموهوبون أمثال ويليامز وميللر . فقد غير الأول مثلا نهاية مسرحيته «قطة على سطح صفيح ساخن» بناء على طلب المخرج والمنتج ، وبالتالى تغيرت صورة بطلتها ماجى (سمية بطلة بعد السقوط) بعد أن خفف المؤلف كثيرا من سوقيتها وماديتها . وللشاعر المعروف أرشيبالد ما كليش تجربة فى هذا الصدد أيضا فقد تدخل اليا كازان عام ١٩٥٨ فغير نص مسرحية له وعندئذ نجح عرضها ، وعندئذ أيضا كتب ماكليش يقول «ان المؤلف هو آخر من تسمع كلمته» عند اخراج مسرحيته .

غير أنه مما يخفف هذا العبء على ميللر - وكذلك وليامز - أنه يلجأ إلى تفصيل ارشادات الحركة عند كتابته للمسرحية ، كما أنه يظل بجانب المخرج حتى تقدم إلى الجمهور ، ومما يخففه أيضا أنه صديق لكازان وأن العمل بينهما يتم بعد تفاهم وتعاون تامين . ولعلنا نلاحظ فى هذه المسرحية الحاحه فى المقدمة والارشادات على تفصيل حركة الممثلين وتصميم المسرح ذاته .

وقد جرت العادة فى برودواى الا تستغرق تجارب المسرحية العادية أكثر من أربعة أسابيع ، لكنها فى هذه المسرحية بالذات استغرقت ثلاثة شهور ، رغم أن المسرح الذى عرضت عليه مسرح جديد يسع ١١٠٠ متفرج وهو مسرح « لنكولن سنتر » الذى عين له ناقد معروف متفرغ هو هارولد كلبرمان ، وهو تقليد مفيد حبذا لو انتفعنا به فى مسارحنا .

وقد اعتمد كازان على نص المسرحية وارشاداتها اعتمادا كبيرا ، فشغل المسرح بمصابيح الانارة القوية التى لم تكف عن الحركة طوال العرض بحيث تسلط على احدى الشخصيات فجأة ، ثم تختفى لتسلط فى مكان آخر على شخصية أخرى ، وهكذا . ومن الواضح أن عبئا كبيرا فى الاخراج هنا يقع على الدقة فى تصميم حركة الممثلين ، وهو عبء شهد النقاد بنجاح كازان فى حمله .

كذلك جعل كازان المسرحية تسير على المسرح كما يسير الضباب ، فليس ثمة اطار لخشبة المسرح ، أو ستار ، أو مشاهد .. حتى بدا المسرح مظلما قاتما الا من بقع الضوء التى تسلط وتختفى من لحظة لأخرى .

فكونتين يظهر وقد وضع أصبعيه فى أذنيه حتى لا يسمع الهمهمات التى تدور خلفه فى الظلام . أما البرج الذى جعله ميللر يتحكم فى المسرح كما جاء فى مقدمته ، فقد لجأ كازان إلى لوح يمثل جدار أحد معسكرات الاعتقال ، وغطاه بطبقة مشعثة من الاسلاك الشائكة ، وثبته بسلسلة فى السقف بحيث يتمايل على المسرح دون ثبات . كذلك لجأ كازان إلى طاقم من الممثلين توسم فيهم الموهبة رغم أنهم مغمورون تماما وخاصة برباره لوذن التى ذكرت الجمهور فور ظهورها — بفضل اتقان دورها — بمارلين مونرو ، وكذلك جاسون روباردز (ولد عام ١٩١٥) الذى أدى دور كونتين بتركيز واتقان ، رغم أن بعض النقاد أخذوا عليه مظهر الحزن الذى ظهر به طوال

المسرحية ، ولهم حق بالطبع فهو لابد أن يوحى للمتفرج بحيويته حتى تكون شجاعته التى يجدها فى النهاية متناسبة مع دوره . ومن الغريب أنه ممثل كوميدى معروف بأدواره الساخرة !

والجدير بالذكر أن مخرج السينما الايطالى المعروف لوتشينو فيسكونتى الذى تولى اخراجها فى باريس على مسرح جيمناز لم يلجأ إلى القتامة والظلام الدامس الذى لجأ اليه كازان ، ولكنه أدار المسرحية فى جو مضىء تلعب فيه الحركة الدور الأول . ومع هذا لم يختلف معه ميللر حين شاهدها هناك بقدر ما أثنى عليه . وقد اختار فيسكونتى لدور كونتين ممثلا كوميديا عرف فى السينما والمسرح بأنه من أحسن ممثلى فرنسا وهو ميشيل أوكلير. والجدير بالذكر أيضا أن بعض النقاد الفرنسيين اعتبروا المسرحية « قصيدة » شعرية ، وأن مجلة « بارى تياتر » الخاصة بالمسرح وصفتها بأنها « كوميديا فاجعة » Comédie Dramatique

وفى ايطاليا قام المخرج المعروف فرانكو زفيريللى باخراجها على مسرح مانزونى بمدينة ميلانو ، وقد امتدحها النقاد وأقبل عليها الجمهور اقبالا منقطع النظير مما جعلها تحقق أرباحا « خيالية » على حد تعبير الصحف الايطالية ! .. وقد لجأ زفيريللى إلى أسلوب آخر فى الإخراج ، وجعل المسرحية تدور داخل دهليز طويل يواجه النظارة ، ويشبه منفاخ آلة التصوير من الداخل ، فهو يضيق شيئا فشيئا حتى يصل من بعيد إلى مايشبه البؤرة الحادة للعدسة ، مع الاحتفاظ بالظلام والاضاءة .

٤ ــ المضمون يتفاعل مع الشكل ثم يفرضه

لاشك أن الكاتب المسرحى العظيم هو الذى تشغله فكرة أو موضوع ما يظل مخلصا له ، ان لم يعش من أجله بكل كيانه . وغالبا ما يكون هذا الموضوع عاماً أو مطلقا كموضوع التغير الذى يطرأ على النفس الانسانية فى صراعها مع

الوجود المباشر لدى شكسبير ، أو موضوع الصراع بين الصدق والزيف لدى برخت بدلا من الصراع التقليدى بين الخير والشر ، أو موضوع مسئولية الانسان ازاء نفسه وازاء الغير لدى سارتر ، أو موضوع عبث الوجود المطلق والمباشر على السواء ، ولا معقوليتهما لدى يونيسكو وبيكيت .

وليس معنى هذا ، بالطبع ، أن نعدم العثور على أفكار أخرى بجوار كل من هذه الموضوعات والافكار على حدة ، ولكننا نشير إلى أن كلا منها يتصدر باقى أفكار الكاتب ويفوز عنده بنصيب الأسد ، ويصبح بالتالى فكرة سائدة تحكم غيرها من الأفكار ،أو هو أشبه بما يسميه علماء النفس — عند تحليلهم للعواطف — بالعاطفة السائدة ، أى التى تتميز بذاتها وتنفرد فتسود غيرها من العواطف وتحركه لخدمتها ، ان خيرا وان شرا .

لكن ، قد تكون هذه الفكرة أو تلك مشاعا سائدا لدى بعض أو كثير من الكتاب ، كما تكون عاطفة البخل أو الحب مشاعا سائدا لدى بعض أو كثير من الناس .

ومن ثمة فالذى يميز فكرة من أخرى أو موضوعا من موضوع هو مدى أصالة الكاتب ، أى مدى تفرده بطريقة خاصة فى تناول الموضوع أو الفكرة وعلاجها والنظر اليها ، بحيث نستطيع نحن المتذوقين أو الدارسين أن نكشف فى النهاية — وبقليل من العناء — شخصية صاحبها ، وإن خفيت علينا سهوا أوعمدا .

ونخلص من هذا إلى أن الكاتب العظيم هو الذى يتسلح بنظرة متكاملة خاصة إلى الحياة والناس ، هى خلاصة أفكاره التى تتحد بدورها فى انتاجه وتصب فيه كما تصب الروافد فى النهر فتكسبه الجريان والتدفق . فاذا بحثنا فى انتاج كاتب مسرحى كميللر لوجدنا صدق الحكم الذى خلصنا اليه الآن .

لكن : ماالذى يشغل ميللر من أفكار ؟ وماالذى يريد أن يقوله لجمهوره

من خلال مسرحياته ، وكيف يتم توصيل هذا الذى يريد قوله ، أى ما الشكل الذى تتخذه أفكاره ومضامينه ؟

يقول أرثر ميللر ان رسالة الدراما هى «أن تقربنا من أنفسنا» ويقول عن نفسه كذلك : «اننى لا أدعو إلى ايديولوجية جديدة ... فأنا ببساطة أبحث عن مسرح يمكن للانسان البالغ الذى يريد أن يعيش أن يجد فيه مسرحيات ترفع مستوى ادراكه وتصوره لعصرنا . وحسبى اننى أضيق بمسرح الاثارة ، وأضيق اذا رأيت انسانا يشبه حزمة من الأعصاب » ...

وهو فى تقديمه لمسرحيته « مشهد من الجسر » يعرف المسرح على الطريقة اليونانية بأنه تقويم درامى للأسلوب الذى يجب أن يحيا به الناس ولعلنا بهذه الايضاحات نصل إلى تأكيد ما سبق أن أشرنا اليه من أن ميللر كاتب جاد ، فميدانه الرئيسى هو الانسان كمخلوق اجتماعى ينتمى لأسرة صغيرة العدد هى أسرته ، ثم لأسرة كبيرة العدد هى مجتمعه أو وطنه ، وهو بهذا الانتماء انما يحدد مسئوليته ، تلك المسئولية التى لا يستطيع التحرر منها الا بالموت أو بالجنون .

ولو شئنا أن نلخص الفكرة العامة التى يلح عليها ميللر منذ ظهوره ككاتب - قصصى ثم مسرحى - لقلنا دون تردد انها فكرة أن الانسان مخلوق اجتماعى يبحث عن نفسه من خلال العمل والواجب والمسئولية .. ان الانسان فى مسرح ميللر يذنب ثم يتطهر ، يكفر ثم يؤمن ، يضيع ثم يبحث عن كيانه ، يظلم ثم يعدل ، يقتل غيره ثم يقتل نفسه ، يجبن ثم يتشجع ، يكذب ثم يبحث عن الصدق ، يفعل هذا كله من خلال العلاقات والأنظمة الاجتماعية التى تحوطه .. حقا ، قد تكون هذه الفكرة عامة أو مطلقة لكنها تتشكل وتتشخص على يدى ميللر فتكتسب أبعادا عميقة تضفى عليها أصالة

وجدة . ومن ثمة ليس من الغرابة أن نجد فى انتاجه كثيرا من الأفكار أو الروافد التى تغذى هذه الفكرة العامة الرئيسية وهى روافد كثيرة لكننا نجملها اجمالا فيما يلى :

أولا : الحياة هى «أثمن هدية وهبنا الله اياها ، وليس ثمة مبدأ مهما كان مجيدا يبرر سلبها منا » على حد قول بطل مسرحية « البوتقة » . ولقد علق جون هاوستون على فيلم «الخارجون على المجتمع» بقوله انه « يتعلق بالناس الذين يبيعون عماهم لكنهم لا يبيعون حياتهم » وفى هذا القول ما يمكن أن يلخص أحد المحاور الاساسية التى تدور حولها كل أعمال ميللر تقريبا .

بل ان الفكرة الرئيسية كما يقول دنيس ويللاند بحق هى الصدق مع النفس . . صدق الفرد مع نفسه ومع غيره ، لكن ثمن هذا الصدق كان بالنسبة لمعظم شخصيات ميللر هو الحياة نفسها ، ومن هنا تستمد الحياة روعتها وقيمتها . وما أكثر ورود عبارة الصدق مع النفس هذه فى الواقع على لسان معظم شخصيات ميللر ، وما أكثر ما تنال من تقديس وسعى للحصول عليها .

ثانيا : الاسرة باعتبارها الخلية الاولى فى المجتمع لابد أن تتماسك والا تعرضت للانهيار . وغالبا ما تضم الاسرة عددا غير قليل من الافراد غير المتماثلين فى الظروف أو حظوظ الحياة . وحين تقع قضية أو حادثة يكون لها وقع على الضمير الفردى الخاص ثم ينتقل وقعها وصداها إلى حلقة الأسرة بأكملها.لكن غالبا ما تضم الاسرة أيضا ولدين شقيقين يمثلان مشكلة الأخوين القديمة التى ظهرت منذ قابيل وهابيل . فلدى ميللر فى الغالب أخ ناجح وآخر فاشل مضطهد ، أو أخ ايجابى ممتاز متميز ، وآخر سلبى متخلف ، وهكذا . مثال ذلك دافيد وأموس فى« الرجل الذى أوتى الحظ كله » ،لارى وكريس فى « كلهم أبنائى » ، هابى وبيف فى« وفاة بائع متجول » ،ماركو ورودلفو فى

«مشهد من الجسر» ، كونتين ودان فى «بعد السقوط» . لكن ميللر لايقف من مشكلة الاخوين هذه موقفا سلبيا ، فهو ينتصر للأخ الأصغر (ميللر نفسه هو الابن الثانى لأبيه) ويتعاطف مع الأكبر لكنه يحمل أباه وأسرته مسئولية افساده . واذا كان دافيد وهابى وكريس وكونتين يشكلون مجموعة واحدة وشخصية واحدة متنوعة الأبعاد تظهر من خلالها أهمية شخصية الأب ، فان آموس وبيف ولارى ودان يشكلون من جهة أخرى مجموعة واحدة وشخصية واحدة ايضا تتمثل فيها جناية الأب على ابنه حين يمثل معه قصة «الدب الذى قتل صاحبه» .

ثالثا : القانون باعتباره رمز الحق والعدالة والنظام ، ضرورة لحفظ كيان المجتمع ، ورمزه فى كل المسرحيات تقريبا هو المحامى الذى يظهر راوية للمسرحية أو بطلا من أبطالها . فجورج فى «كلهم أبنائى» وبرنارد فى «وفاة بائع متجول» والفييرى فى «مشهد من الجسر» وكونتين فى «بعد السقوط» هؤلاء جميعا محامون ، يقدمهم ميللر رمزا للخير ، ودورهم ليس كدور المحامى الواقعى المحترف ، ولكنهم يقفون فى صف العدالة الاخلاقية والنظام رغم أنهم غالبا مالا يستطيعون منع وقوع الكوارث التى تجلبها الشخصيات المتعاملة معهم على نفسها ، كما حدث مع ادى فى «مشهد من الجسر» أو ماجى فى «بعد السقوط» .

واذا كان القانون هو رمز الحق والخير ، واذا كان المحامى لا يؤدى دورا واقعيا محترفا ، فان شخصيات ميللر لا تستعين بالشرطة ، لأن ما يحدث لها ليس واقعيا ، وهى تعاقب نفسها بنفسها طاعة منها للقانون والنظام على خلاف المجرمين العاديين .

رابعاً : الاسم بالنسبة للانسان رمز لكيانه المعنوى والمادى ، والانسان يظل يبحث عن اسمه هذا من أجل المحافظة على كيانه . فإدى يصرخ فى

«مشهد من الجسر»قائلا : « أريد اسمي » وجون بروكتور فى « البوتقة » يقول : «لقد أعطيتكم روحى ، فاتركوا لى اسمى ! » بل انه يضحى بحياته مقابل هذا الاسم الذى يمثل له صدقه مع نفسه لا مجرد سمعته بين الغير تلك السمعة التى تعتبر فى الوقت نفسه مظهرا هاما من مظاهر هذا الصدق مع النفس . وابيجيل فى هذه المسرحية أيضا يقول: «اسمى نظيف فى القرية! لن أدعهم يقولون ان اسمى قد تلطخ» . وكذلك نجد مورتن كيبل فى «عدو الشعب» متلهفا قلقا على نظافة اسمه . أما ويللى لومان فى «وفاة بائع متجول» فهو يفرق بين أن يحبه الناس حبا عاديا وبين أن يحبوه حبا حقيقيا . وهذا كونتين فى «بعد السقوط» يصرخ فى ضميره بقوله : «باسم من تدير ظهرك دائما ... لكن أباسمك ؟ باسم كونتين ... دائما ، باسمك أنت الملطخ بالدم تدير ظهرك ؟» ولعل انشغال ميللر بالاسم كسمعة وكصدق مع النفس يومىء بسمة أخرى وهى أن يعرف الانسان نفسه تمام المعرفة ، أن يسعى إلى تحقيق هذه المعرفة . والبطل المأساوى كما يقول ميللر انما يناضل فى سبيل تحقيق شخصيته ، واذا كان هذا النضال يجب أن يكون نضالا كليا بلا تحفظ ، فانه يكشف بشكل آلى عن ارادة الانسان غير المدمرة لتحقيق انسانيته ، مثلما حاول إدى وماجى أن يحققا انسانيتهما ، وأن يحققا احترام الغير لهما .

خامسا : الضمير محكمة عادلة للنظر فى قضايا الانسان وانعكاس الفعل الانسانى على نفسه ، والانسان نفسه مسئول أمام ضميره . فميللر فى مسرحياته جميعا تقريبا يصر اصرارا ذا صبغة تسامى واضحة على واجب الفرد ازاء ضميره ، وهذا ما ظهر بشكل جلى فى «بعد السقوط» . وجدير بالذكر هنا أن البؤرة» ذلك العنوان الذى ظهر على أولى أعماله القصصية ، نجدها تظهر وتتردد كثيرا فى انتاجه كمكان لتجميع تجارب الانسان وآرائه بغية تمحيصها فى سبيل الحكم أو الابقاء عليها أو تغييرها .

سادساً : الأنسان مطالب بالنضال من أجل الافضل والأحسن ، حتى ولو لم يحقق النجاح الذى ينشده .

ويتضح من هذا أن الانسان مطالب — بالتالى — بالعمل والبذل والا تكالبت عليه عوامل الفناء ، فبالعمل وحده تتحدد قيمة الانسان وعلاقاته ووجوده فى المجتمع .

سابعاً : القوةوالشجاعة والعنف والبراعة والحب والجنس كلها مطالب أساسية للانسان،لكن يجب عليه أن يناضل فى سبيل تحديد أشكالها ونسبها الخاصة به ، ويهمنا أن نشير هنا إلى أن للجنس لدى ميللر مظاهر ضد الاسرة وضد المجتمع وأنه فى النهاية عاطفة غير منظمة .

ثامناً : الحق كفيل بتخليص الانسان من أزماته ، رغم انه نسبى وعسير القبول ، ورغم أنه يسبب العذاب والفناء فى كثير من الاحيان كما حدث لبروكتور وكيلر وماجى .

تاسعاً : حين يشى الانسان بغيره ، كما حدث فى «البوتقة» و «كلهم أبنائى» و «مشهد من الجسر» و« بعد السقوط» أو حين يغشى المحارم فى «كلهم أبنائى» و «مشهد من الجسر» و« بعد السقوط» ، أو حين يفعل أى فعل يسىء اليه كانسان ، فانه لا محالة يتعذب وعليه أن يواجه نفسه وضميره بشجاعة والا هلك .

عاشراً : الرغبة فى القتل كما ظهر فى «بعد السقوط» أو فى سابقاتها لم تقتل (بضم التاء الأولى)أو تنته أبدا ، وهى تبقى ظلا من ظلال مجموعة الغرائز البدائية التى لا تزال تتحكم فينا مثل العنف والانتقام رغم أن ميللر يميل إلى فكرة الانجيل : «من قتل يقتل» ، وخاصة فى شخصيتى كيلر فى «كلهم أبنائى» وايدى فى «مشهد من الجسر» .

وهكذا نجد أن كل هذه الافكار والموضوعات تلتقى فى النهاية بالفكرة العامة السابقة عن طريق ما يمكن أن نسميه الحس الثلاثى : حس التساؤل ، وحس البيت والوطن ، وحس التضامن الأساسى للروابط الانسانية بين البشر جميعا . وكان الانسان اذن كمخلوق اجتماعى محكوم بكل هذه الافكار والموضوعات العشرة كما هو محكوم بغيرها عند غيره .

لكن ، كيف صب ميللر هذه المضامين والافكار فى قالب درامى ؟ وما هو الشكل الذى البسه لها ؟ .. الاجابة بالطبع هى أنه يكتب دراما مسرحية ، وهذه لها تراث يمتد إلى الاغريق ، غير أن هذا التراث ليس نموذجا ثابتا يحتذى بكل نسبه وتفاصيله ، وانما هو حصيلة انسانية قابلة للاضافة والزيادة ، ولقد حدث لها هذا كله عبر العصور الماضية حتى كتابة هذه السطور .

حقا ، وضع كتاب المسرح فى اليونان القديمة أسس كتابة المسرحية وشكلها وقاموسها الخاص ، لكن البناء المسرحى لم يلبث أن تجدد وتطور بعد ذلك على أيدى شكسبير وتشيكوف وابسن وستر ندبرج وشو وبرخت وبيكيت ويونيسكو وغيرهم . بل ان المسرح كفن أدبى أصبح منذ نشأته حقلا مستمراً للتجارب وانعكاسا لقيم العصر وأنظمته .

وبديهى أن المضمون فى العمل الفنى سابق على الشكل ، وأن الأخير يتفاعل معه ثم ينقاد له فى النهاية ، فيصبحان وحدة عضوية لا انفصام فيها ...

فى المسرحية كما نعرف يتركب الشكل من عدة عناصر يقف على رأسها : الحوار (أى اللغة) والحركة والصراع والبناء الدرامى ، وكلها عناصر تتفاعل ثم تلتحم بالمضمون لتشكل الوحدة العضوية المطلوبة. والمتتبع لتطور ميللر المسرحى يلحظ أنه مال دائما نحو المزيد من البساطة ــ لا التبسيط ــ فى الشكل . لكن

الشكل كان يختلف من مسرحية إلى أخرى ، لا رغبة فى التجديد لذاته ، وانما تبعا لما تمليه على المؤلف طبيعة مضمون كل مسرحية . وكذلك أصبحت اللغة أكثر ثراء وتنوعا رغم استيحائها للغة الحديث اليومى . حقا ، ان الحوار ليس عنده – ولا يمكن أن يكون – أسئلة وأجوبة ، وانما هو ينبع بشكل أساسى من شخصية صاحبه ، بحيث يصبح لكل شخصية قاموسها اللغوى الخاص ونظام قواعدها الخاص أيضا . وقد كان ميللر يرى أن النثر هو لغة الحياة الخاصة ، أى لغة الأسرة ، وأن الشعر لغة الحياة العامة ، أى لغة المجتمع .

وعلى هذا النحو أفاد من الشعر فى مسرحياته الأولى وخاصة فى «مشهد من الجسر» و «ذكرى يومى اثنين» بحيث جعلهما فى الاصل يعتمدان على الشعر ، واتخذ الشعر سبيله فى الاولى على لسان الراوى ثم كان فى الثانية مرفأ تلجأ اليه الشخصيات وتتعامل به فى كثير من اللحظات . لكن ميللر لم يلبث أن تحول إلى النثر تماما دون أن يفقد شاعريته الاصيلة التى تتبدى فى الكثير من مواقف انتاجه كله .

والآن .. ما صلة هذا كله بمسرحيته «بعد السقوط» هذه ؟ أى ، **ماذا** فيها من خصائص الشكل ؟

لقد توقف ميللر قرابة تسع سنوات كما قلنا ، لكن حركة الحياة وحركة المسرح لم تتوقفا ، ففى الفترة من توقفه إلى عودته استجد فى الحياة المسرحية الكثير من مظاهر التجديد فى الشكل والموضوع على السواء . فقد استقر الشكل الملحمى الذى كرس برخت نفسه له ، وهز سارتر وكامى الفكر الأوربى بموضوعاتهما وتناولهما الجرىء العميق لمشاكل الانسان المعاصر وقضاياه ،– وظهرت فى انجلترا حركة الساخطين من شباب الكتاب ، وتلتها

فى فرنسا الحركة المناوئة للمسرح التى عرفناها باسم اللامعقول ، وبالجملة استجد الكثير على صفحة العالم الموضوعى والمسرحى على السواء . ولعل أجرأ حركة بالنسبة للشكل فى المسرح هى حركة اللامعقول التى قوضت دعائم الدراما التقليدية ، واختطت لنفسها أسلوبا ينبع بصفة أساسية من فلسفتها فى العبث وخواء العالم الموضوعى ، ويسقط من حسابه كل القواعد والتقاليد ، ولا يحفل الا بالحركة والصراع اللذين استمدهما من الواقع العالمى المعاصر نفسه.

واذا كان ميللر يكاد أن يكون محافظا إلى حد كبير على التقاليد والقواعد فانه كما أشرنا يرجع هذا إلى إيمانه بأن أى موضوع كفيل بفرض شكله الخاص به . ومن ثم فلو اننا أرجعنا «بعد السقوط» إلى هذا المفهوم لوجدنا أنها تسير على هديه رغم تحطيمها لقواعد أرسطو ووحداته ، واقترابها الشديد من الاشكال الحديثة للغاية لدى الساخطين واللامعقوليين . فالموضوع فيها كما قلنا هو الخلاص ، ومسرحه هو الذهن ، وزمنه ومكانه غير محدودين ، ومن هنا كان التفاعل الذى انتج هذا الشكل . غير اننا لا نستطيع فى الحقيقة الا أن نسلم بأن الشكل ينتمى لميللر دون شريك ، وانه رغم جدته أصيل غاية الأصالة . ولئن كان قد ركز على أسلوب العود للماضى **Flash Back** الذى تتبعه السينما الا أنه حاوله قبل هذا ، ولئن بدت فى الشكل أحيانا بعض تأثيرات برخت أو السينما أو اللامعقولين إلا أنها تأثيرات حية فرضها الموضوع ذاته وانصرفت إلى ميللر دون سواه .

والحوار فى «بعد السقوط» ذكى ممتاز مركز ، ولغتها انجليزية فصحى ، لكنها ليست متقعرة فى فصاحتها بقدر ما تستعين بالمتداول من التعبيرات والتراكيب الشعبية ، بل والاختصارات الاصطلاحية (١) . وفيها كذلك

---

(١) التى جرى عليها العرف فى المعاملات وخاصة فى التجارة كما سنجد .

مستويان ظاهران للحوار : مستوى كونتين الفصيح ، ومستوى ماجى المغترف ببراعة وذكاء من اللهجة الشعبية ، بالاضافة إلى مستوى كل شخصية أخرى . وقدحاولت بقدر الامكان المحافظة على هذه المستويات فى لغة الترجمة ، ولجأت كما لجأ هو إلى اللهجة الشعبية ، فاستعنت ببعض ألفاظها وتراكيبها ذات الاصل الفصيح غير المعروف أو المتداول مثل : شوف ، بص ، صحيح ، فاهم ، خل ، لا مؤاخذة ، وغيرها مما ينتمى للفصحى أصلا .

وفى هذه المسرحية أيضا دليل واضح على ما نراه فى فنون أوربا وأمريكا المعاصرة من امتزاج وتفاعل ، وعلى الأخص بين الموسيقى والسينما والمسرح والقصة السيكلوجية أو الواقعية والفنون التشكيلية ، وفى هذا الامتزاج تكمن حيوية الأشكال الفنية الحديثة التى تفد الينا من حين لآخر .

٥ ــ خاتمة

ولا شك أن أرثر ميللر ، بعد الذى قدمناه ، كاتب مسرحى جاد يستحق كل ما أولاه به الجمهور والنقاد من ثناء وتقدير .

لقد جاءت « بعد السقوط » بعد احتجاب دام نحو تسع سنوات كما قدمنا ، لكنها أثبتت أن « العود أحمد » . فقد أعقبها بعد ستة أشهر بمسرحية أخرى جديدة هى « حادثة فى فيشى » Incident at Vichy التى تستحق بدورها دراسة قائمة بذاتها ، لما أثاره فيها من قضايا فنية وفكرية جديرة بالمناقشة .

حقاً .. لقد أفاد المسرح العالمى من ميللر ، ولايزال يرجو على يديه الكثير .

على شلش

قائمة بأهم أعمال آرثر ميللر

فى المسرح :

الرجل الذى أوتى الحظ كله **The Man who had all the Luck**	ـ عرضت لأول مرة فى نيويورك فى ٢٣ نوفمبر ١٩٤٤ ، وأخرجها جوزيف فيلدز .
كلهم ابنائى **All my Sons**	ـ عرضت لأول مرة فى نيويورك فى ٢٩ يناير ١٩٤٧ ، وأخرجها إيليا كازان . نالت جائزة نقاد الدراما .
وفاة بائع متجول **Death of a Salesman**	ـ عرضت لأول مرة فى نيويورك فى ١٠ فبراير ١٩٤٩ ، وأخرجها إيليا كازان . نالت جائزة نقاد الدراما وجائزة بوليتزر .

* لميللر عدا انتاجه المسرحى والروائى التالى ـ مما هو معروف ـ عدد اخر من القصص القصيرة والمقالات عن فن المسرح بشكل عام وتجربته فى هذا الفن بشكل خاص . وقد وقفنا فى هذه القائمة عند مسرحية « بعد السقوط » .

عدو الشعب — عرضت لأول مرة فى نيويورك فى ٢٨ ديسمبر ١٩٥٠ ، وأخرجها روبرت لويس .
An Enemy of the People

البوتقة — عرضت لأول مرة فى بروكسل ثم فى نيويورك فى ٢٢ يناير ١٩٥٣ وأخرجها جدهاريس. نالت جائزة أنطوانيت بيرى وجائزة دونالدصن
The Crucible

ذكرى يومى اثنين
A Memory of two Mondays
مشهد من الجسر
A View from the Bridge
— عرضتا لأول مرة فى برنامج واحد بنيويورك فى ٢٩ سبتمبر ١٩٥٥ وأخرجهما مارتن ريت .

بعد السقوط — عرضت لأول مرة فى نيويورك فى الأسبوع الأخير من يناير ١٩٦٤ ، وأخرجها إيليا كازان .
After the Fall

فى القصة والرواية :

الموقف عادى — رواية ظهرت فى نيويورك عام ١٩٤٤ عن دار رينال
Situation Normal

البؤرة — رواية ظهرت فى نيويورك عام ١٩٤٥ عن دار رينال وطبعت
Focus

عدة مرات آخرها فى لندن عام ١٩٦٠ .

الخارجون على المجتمع — قصة قصيرة فى الأصل ظهرت مع السيناريو الكامل للفيلم المأخوذ عنها بهذا الاسم فى نيويورك عام ١٩٦١ عن دار دل .

The Misfits

مراجع المقدمة

رجعت عند كتابة المقدمة السابقة إلى عدد المؤلفات والأبحاث والفصول والمقالات أثبتها فيما يلي حسب ترتيب ورودها :

Books :

The Golden Ages Of The Theater. By : Kenneth Macgowan & William Melnitz. New Jersy, 1959.

Arthur Miller. By : Dennis Welland. Oliver & Boyd. London, 1961.

Collected Plays. By : Arthur Miller. Viking. New York, 1958.

Tynan On Theatre. By : Kenneth Tynan. Pelican Books. London, 1964.

A View from the Bridge. By: Arthur Miller. (Revised Edition) Cresset. London, 1957.

Reviews & Papers :

Post. The Saturday Evening Post. February 1, 1964.

The Sunday Times. January 3, 1964.

The Observer : Weekend Review. January 26, 1964.

News week. February 3, 1964.

Paris Théatre. No. 216, 1965.

The Sunday Times. Weekly Review, November 21, 1965.

هذه المسرحية بقلم المؤلف

هذه المسرحية لا تدور «حول» شيء ما بقدر ما أرجو أن تكون شيئا ما . وهي — أساسا — طريقة للنظر إلى الانسان وطبيعته باعتبارهما المصدر الوحيد للعنف الذي أخذ يقترب شيئا فشيئا من افناء الجنس البشري . وهذا الرأي لا ينظر إلى الأفكار الاجتماعية أو السياسية باعتبارها مصدرا للعنف ، وانما يتفحص طبيعة الكائن البشري نفسه . وينبغي أن يكون واضحا الآن أنه ليس لشعب أو لنظام سياسي احتكار للعنف . ومن الواضح كذلك أن العامل المشترك الأعظم في كل التصرفات العنيفة هو الكائن البشري .

ان أول قصة واقعية في الانجيل هي مقتل هابيل . ولم يكن ثمة شيء قبل هذه الدراما سوى فردوس عديم الملامح . غير أن السلام كان يسود عدن تلك ، لأن الانسان لم يكن لديه أي وعي بنفسه ، ولم يكن يدري شيئا عن الجنس يميزه عن النباتات أو الحيوانات الأخرى . وفي هذا المجال يقال لنا ان الكائن البشري يشعر بنفسه عندما يتجمع لديه الشعور بالخطيئة . فهويته عبارة عن ذلك الشيء الذي يخجل منه . وفضلا عن هذا ، فان المخالفة التي ارتكبتها حواء هي أنها أماطت اللثام عن معرفة الخير والشر ، فواجهت آدم بحرية الاختيار . ومن ثمة فمن حيث يبدأ الاختيار ينتهي الفردوس وتنتهي البراءة ، فما الفردوس الا غياب الحاجة لاختيار هذا الشيء أو ذاك . ومن

جنة عدن نحصل على بديلين : أولهما يتمثل فى قابيل — أو ان شئت فى أوزوالد (١) — وهو عبارة عن اطلاق العنان أمام حرية التعبير الكامنة بداخل الانسان دون قيد أو شرط ، بحيث يدفعه هذا إلى أن يقتل وأن يتمسح بالبراءة باعتبارها فضيلة ونوعا من الدفاع عن النفس . أما البديل الثانى فهو البديل الذى يظهر بعنف من خلال باقى صفحات الانجيل ومن خلال التاريخ بأسره — أى نضال الجنس البشرى طوال آلاف السنين من أجل تهدئة الحوافز التخريبية فى الانسان وتسكينها ، والتعبير عن مطامحه فى العظمة ، فى الثروة فى بلوغ الهدف ، فى الحب ، لكن دون أن ينقلب القانون والسلام إلى فوضى .

ان السؤال الذى يتكشف فى النهاية ، فى هذه المسرحية ، هو : كيف الوصول إلى هذه التهدئة ؟ ان كونتين ، الشخصية الرئيسية ، يظهر على المسرح مثقلا بتفاهته وتفاهة العالم . ولقد كان نجاحه كمحام ينسحق فى يده اذ لا يرى فيه سوى الأنانية ، دون أن يكون له ثمة هدف أوسع خارج نفسه . فهو قد عاش فى زيجتين فاشلتين ، وقنوطه جاد للغاية ، مهلك بدرجة لا تسمح له بأن يلوم الآخرين عليه — وهو يبحث بشكل مستميت عن نظرة صريحة واضحة لمسئوليته ازاء حياته ، نظرا لأنه وجد مؤخرا امرأة يحس بأنه يستطيع أن يحبها وأن تحبه هى من جانبها ، وهو لا يستطيع أن يباشر حياة أخرى تحاصره وتقض مضجعه — كما هو محاصر — بسبب شكه فى نفسه . وهو باختصار يواجه بما جلبته حواء لآدم — أى حقيقة الاختيار الرهيبة . ان الانسان فى وسعه أن يعرف نفسه ما لم تكن لديه القدرة على مواجهة الرغبة فى

(١) قاتل كنيدى المزعوم (المترجم) .

القتل ، تلك الرغبة التى تكمن فى داخله ، وكذلك على مواجهة التواطؤ الخبيث المؤبد مع قوى الشر والتدمير .

ان التفاحة لا يمكن أن تعود إلى مكانها فى شجرة المعرفة . فبمجرد الاحساس بأننا نرى يكتب علينا ، بل يلقى علينا ، عبء البحث عن مزيد من القوة يمكننا من مزيد من الرؤية ، وليس أقل . وعندما سئل قابيل وقف مشدوها وتساءل : «أحارس أنا لأخى» (١) وكذلك كانت أولى كلمات نطق بها أوزوالد عند القبض عليه هى : «لم أفعل شيئا» . وما من بلد من البلاد تورط فى الحرب الا وسارع إلى القول بأنه هو المظلوم وليس البلد الذى اعتدى عليه . فالقتل والعنف يتطلبان براءة ، سواء كانت هذه البراءة حقيقية أو مزعومة . ومصيبة كونتين فى هذه المسرحية أنه يتعرض باستمرار لأغراء البراءة ، ذلك الشعور الذى يعاوده على الدوام ، وتلك الرغبة العميقة فى العودة إلى الحال التى يبدو أن حياته كانت خالية فيها من أى مطعن ، والى تلك اللحظة التى لا نستطيع امساكها والتى تخيم فى أذهاننا جميعا ، حين كان كل شيء — بطريقة أو بأخرى — جزءا منا وكنا نحن كذلك جد مغتبطين ، وكان كل شيء «يحدث» لنا ببساطة . لكنه كلما توغل فى فحص تلك السنوات التى تبدو موحدة اتضح له أن فردوسه . لا يفتأ يفر ويفر ، ذلك لأن درايته كانت موجودة على الدوام ، وكذلك الاختيار والصراع بين حاجاته ورغباته والعراقيل التى وضعها الآخرون فى طريقه . وكان المنظر العام للكائنات البشرية لا يفتأ منذ البداية يثير فى نفسه وفى الآخرين اغراء الحل الأخير للمشكلة التى تتمثل فى شعور الانسان

---

(١) العبارة من النسخة العربية للانجيل وهى تقابل النص الانجليزى . (المترجم)

بذاته ـ الحل الذى يقضى على كل ما يعرض طريقه ، ويقضى أيضا على الأشياء التى يحبها .

وهذه المسرحية ، اذن ، محاكمة ، محاكمة رجل أمام ضميره وقيمه وأفعاله ، أما « المستمع » ـ الذى سيرى فيه البعض محللا نفسانيا ، وهو الله فى رأى البعض الآخر ـ فهو كونتين نفسه وقد استدار عند حافة الهاوية ، كى يتفحص تجربته ، وطبيعته ، وعصره وذلك لكى يكشف اللثام ويمسك بالزمام ويحتمى إلى الأبد بعد أن زايله الشعور بالبراءة ، يحتمى من تواطئه فى الجريمة مع قابيل ومع العالم .

غير أن العمل الأدبى شأنه شأن الحوادث التى يشهدها الناس فى الشارع ، لا محالة يثير تفسيرات كثيرة مختلفة . فسوف يسمى البعض المسرحية مسرحية عن «المذهب التطهرى» (١) أو عن «اقتراف المحارم» أو عن تحول الشعور بالذنب إلى شعور بالمسئولية ، أو ما إلى ذلك. أما بالنسبة لى فهى حقيقة تكشفت حديثا كأنها جسر جديد . وفى قولى هذا لا أعدو أن أكون معبرا عما يحاول الكثير من الكتاب الأمريكيين تحقيقه والوصول اليه ـ أى اليوم الذى سوف تعالج فيه رواياتنا ومسرحياتنا وأفلامنا وأشعارنا شئون العصر ، والفرار الجنونى الطائش من مواجهة تجاربنا الحاضرة ، هذا الفرار الذى يؤدى إلى خواء الروح .

ان أحداث هذه المسرحية تحدث فى ذهن كونتين وتفكيره وذاكرته : وليس ثمة أثاث بالمعنى المتعارف عليه خلا مقعد واحد ، وليس ثمة جدران أو حدود ملموسة .

---

(١) احد مذاهب الكنيسة البروتستانتية ، ويتميز بالتشدد والرغبة فى التطهر . (المترجم)

وتتألف خشبة المسرح من ثلاثة مستويات تأخذ فى الارتفاع حتى تصل إلى أعلى مستوى فى المؤخرة ، وتتقاطع على هيئة قوس من جانب إلى آخر فى المسرح . ويربط بينها سلم فى الوسط ويعلوها جميعا البرج الحجرى المحاط بالأسلاك الشائكة والألغام لأحد معسكرات الاعتقال الألمانية . وهو برج يتحكم فى المسرح ، ونوافذه الواسعة المضيئة تشبه العيون التى تبدو عندئذ عمياء ومعتمة ، وتبرز منه قضبان مقوسة للتقوية أشبه بالزوائد المقطوعة .

وعلى المستويين الأقل انخفاضا مساحات منحوتة ، فالواقع أن الأثر الكلى المراد خلقه هو الرجوع إلى العصر الحجرى وجغرافيته المرنة التى تشبه حمم البراكين ، وفيها حفر وتجاويف . وليس للذهن لون لكن ذكرياته مشرقة ذكية رغم عتمته واسوداد تصوره وحين يجلس الناس (شخصيات المسرحية) فانهم يفعلون ذلك مستخدمين الأجزاء الناتئة المتقاطعة أو الأطراف البارزة . ومن الجائز أن يبدأ أحد المشاهد فى مساحة محصورة ، ثم ينتشر أو يشيع على المسرح بأسره ، متجاوزا أية مساحة أخرى .

ويظهر الناس ويختفون بطريقة فجائية كما فى الذهن ، لكن ليس من الضرورى أن يغادروا المسرح . ويوضح الحوار من يظهر على سطح الحياة فى أية لحظة ومن يختفى . وبالتالى يكون الأثر المطلوب هو تلك الحركة الذهنية الدافقة الجياشة ، حركة ذهن يستطلع ما يطفو على سطحه وما يترسب فى أعماقه .

بعد السقوط

تـــأليف :

آرثـــر مـيـــلر

ترجمة وتقـديم :

على شــلش

شخصيات المسرحية

كونتين	QUENTIN	محام
لويز	LOUISE	زوجته الأولى
ماجى	MAGGIE	زوجته الثانية
أياك	IKE	أبوه
روز	ROSE	أمه
دان	DAN	أخوه
هولجا	HOLGA	من علماء الآثار
لو	LOU	أستاذ فى القانون
إلزى	ELSIE	زوجته
ميكى	MICKEY	محام
فيليس	FELICE	صديقة لكونتين
كا ى	CARRIE	خادم

الفصـــل الأول

المسرح يسوده الظلام . ثمة احساس بان شخصا ما قد تحرك فى أقصى المسرح . يتناهى الى الأسـماع وقع قدم يعقبه وقع اقدام أخـرى . حين يأخذ الضـوء فى الازدياد تدريجيا يتحرك أشـخاص المسرحية دون ترتيب الى أعلى قادمين من أسفل المنصة المرتفعة فىمؤخرة المسرح . يتهامسون يجلس البعض فى الحال . ويتقدم البعض الآخر الى مقدمة المسرح . يبدو كل منهم كأنه يتعرف عـلى الآخر . يظـل آخرون يتحركون وحدهم فى انفصـال تام ، وباختصـار فى حركات غير مرتبة على طريقة ثعبان السمك ، وذات ايقاع بطىء لكنه ليس حالما . أحدهم ، وهو كونتين ، رجـل فى الحلقة الخامسة يتحرك تاركا هذا الجمع متجها الى قاع المسرح ناحية المقعد الذى يواجه الجمهور وحينئذ يسلط عليه ضوء قوى فيعزله عن الآخرين . تتوقف الحركة تماما يمد كونتين يده الى الأمام فوق ظهر المقعـد كى يصـافح « المستمع » الذى يجلس ـ فيما لو كان من الممكن رؤيته ـ عند حافة المسرح .

كونتين : هاللو ! يا إلهى ، يسرنى أن أراك مرة أخرى ! حالى على ما يرام . أعرف أن وقتك ضيق ، لهذا أرجو ألا يكون حضورك إلى هنا قد كلفك فوق طاقتك . بديع ، انما كنت أريد فى الواقع أن أحييك ، هاللو ، شكرا .

(يجلس ملبيا دعوة بالجلوس)

كيف حالك ؟ تبدو وقد لفحتك الشمس . أوه ، أنا لم أزر جنوب أمريكا على الإطلاق . هل استمتعت بزيارتك لها ؟ بديع .. أتراني أستمتع بمثل هذه الزيارة ؟

(صمت طفيف)

اتصلت بك أكثر من مرة هذا العام ، وكذلك فى العام الماضى .. طيب ، لقد فقدت هذا الحافز .. لم أكن واثقا مما أردت أن أقوله ، فنى سنى هذه يفت فى عزمى أن أضطر إلى معاناة التشتت فى الذهن. والحقيقة أننى اتصلت بك هذا الصباح عفو الخاطر ، فأمامى قرار لابد أن أتخذه . لعلك تعلم أنك اذا شغلت بالك بشىء ما طوال شهور ، ثم اذا بذلك الشىء يحدث فجأة ، عندئذ يختلط عليك الأمر ، وتعجز عن التصرف . هل فى مقدورك أن تعطينى من وقتك ساعتين ؟ لعل الامر لا يستغرق هذه المدة لكنى أعتقد أنه ينطوى على الكثير ، ويحسن بى الا أتعجل .. بديع . (يعد نفسه ليبدأ ، ويسرح ببصره إلى بعيد) آه .. (تحدث مقاطعة وعندئذ يستدير مرة أخرى إلى «المستمع» مندهشا) لقد تركت مكتب المحاماة (١) ، ألم أكتب لك عن ذلك ؟ عجبا ! كنت واثقا من أننى كتبت .. آه ، منذ نحو أربعة عشر شهرا مضت ، كان هذا بعد وفاة ماجى ببضعة أسابيع ، كلا كلا ، لقد نفضت يدى تماما ، صحيح

(١) فى الأصل Firm ومعناها شركة أو مؤسسة صغيرة ، لكننى فضلت كلمة مكتب هنا لأنها تتصل بالمحاماة فى لغتنا أما فى أمريكا فمن المعروف أن المحامين يتجمعون فى أحيان كثيرة فى مكتب واحد للمحاماة ــ أشبه بالشركة ــ يديرونه لحسابهم . (المترجم)

أننى لازلت أحتفظ بنسبة فى الربح أيا كانت ، لكنى نفضت يدى من العملية ، حتى لقد بلغت بى الحال أننى لم أعد أستطيع التركيز على قضية بعد هذا على خلاف عادتى . كنت أحس بأننى أعمل لكى أحقق نجاحا لنفسى فقط ، لم يكن لذلك كله معنى مع أننى لازلت أتساءل أحيانا : هل أنا لا أعمل إلا على تحطيم نفسى ... حسن ، لقد هجرت الآن ما يسمى بالمستقبل المهم ، أنا خائف بعض الشىء ، لازلت أعيش فى الفندق وألتقى ببعض الناس ، وأقرأ كثيرا ...

(يبتسم)

وأسرح ببصرى عبر النافذة ، لست أدرى علام أبتسم . لعلى أحس أن كل شىء قد انتهى الآن ، وأننى سأرتبط بعمل ما مرة أخرى . ورغم أن هذا الاحساس قد أنتابنى من قبل ولم أعالجه ، ألا أننى ...

(يقاطع مرة أخرى ، فتبدو عليه الدهشة)

يا الهى ، ألم أكتب لك عن هذا؟ ربما أختلق ذهنى هذه الخطابات .. ماتت أمى ، أوه ، منذ أربعة شهور ، أو خمسة ، أجل ، فجأة تماما ، كنت فى ألمانيا وقتها .. وهو أحد الأمور التى أردت أن أحدثك عنها ، فأنا ألتقيت بأمرأة هناك ...

(تنبسط أساريره)

لم يخطر ببالى أبدا أن يحدث ذلك مرة أخرى ، ولكن العلاقة توثقت بيننا تماما ، بل أنها ستصل الليلة لحضور مؤتمر فى جامعة كولومبيا .. فهى من علماء الآثار ... لست واثقا كما ترى من

أنني أريدها ، ولكن من السخف آن آفكر فى توريط نفسى مرة أخرى .. طيب ، أجل ، لكن أنظر إلى حياتى . . انها برهان رغم كل شيء ، ولدى فى خزانتى ورقتا طلاق .

(يقف ، يتحرك ، يفكر)

أصارحك بأنني خائف بعض الشيء ، مما سأسببه لها . أعتقدت أنني لو أستطعت أن أقول بصوت مرتفع ما يدور فى رأسى حين أكون بمفردى .. طيب ، اليك هذا مثلا ...

(يجلس مرة ثانية ... يميل بجسمه إلى الامام)

هل تعلم أنني كثيرا ما كنت أفكر على مدى سنين طوال وأنظر إلى الحياة وكأنها قضية أمام المحاكم أو مجموعة من الحيثيات ؟ فأنت فى شبابك تبرهن على مقدار شجاعتك أو فطنتك ، ثم تبرهن على مقدار مهارتك فى مطاردة النساء ، ثم على مدى صلاحيتك كأب ، وأخيرا تبرهن على مقدار حكمتك أو جاهلك أو غير ذلك حسب الأحوال ، لكنى أرى الآن أنه كان يكمن وراء هذا كله افتراض معين . أفترضت أنني فى طريق صاعد ... فيه نجاح ورفعة .. حيث ، والله يعلم – أبرأ أو أدان ... أن يصدر على حكم من الأحكام .. فكارثتى كما أراها الآن بدأت فى الواقع حين تطلعت ذات يوم فاذا منصة القضاء خالية ، لم يكن هناك قاض ولم يتبق سوى الجدل اللامتناهى مع النفس ، هذه الدعوى التى لا معنى لها ، دعوى أن تقف أمام منصة خالية ، وطبيعى أن هذه طريقة أخرى للتعبير عن اليأس ... وطبيعى أيضا أنه يمكن لليأس أن يكون اسلوبا من أساليب الحياة ، ولكن

يجب أن تؤمن به ، أن تكتسبه ، أن تضمه إلى القلب وتسير به إلى الأمام من جديد ، أما أنا فبدلا من ذلك أبدو مقبوضا على ، تؤجل قضيتى فى انتظار علامة ما يقبلها العقل . إن الايام والشهور والسنين تمر بنا الآن وتمضى ...

(صمت طفيف)

منذ أسبوعين أدركت فجأة حقيقة غريبة . فرغم كل هذا الظلام إلا أن الحقيقة هى أننى حين أستيقظ كل صباح أجد نفسى مفعما بالأمل ! رغم كل ما أعرفه أفتح عينى فاذا بى غلام صغير . مثلا ، هناك فى الجو شىء .. وعد لم يتشكل بعد .. فأنا أقفز من السرير ، وأحلق ذقنى ، ولا أستطيع الانتظار حتى أفرغ من الافطار .. وعندئذ تتسلل إلى حجرتى حياتى وتفاهتها ...

وخطرت لى فكرة ... لو أننى أستطعت أن أحاصر ذلك الأمل واكتشف مكوناته لوقعت فى أحد أمرين : اما أن أعده أكذوبة فأقتله ، وأما أن أجعله من نصيبى فعلا ...

(تكون فيليس قد ظهرت فى منطقة الضوء ، تجلس على الأرض مرتدية «سويتر وجيباً»)

فيليس : رأيتك حالا تتمشى هنا ، فقلت لم لا أتحدث اليك . لابد أنك تذكرنى ، أليس كذلك ؟

كونتين (مواجها المستمع وهو يرمق فيليس بنظره) : أوه ، كلا ، لا أكثر من أننى ألتقيت بها الشهر الماضى مصادفة فى الشارع ، كنت قد أنهيت اجراءات طلاقها منذ بضعة أعوام ، فتعرفت

على .. لم يحدث أن دعوت امرأة إلى بيتى منذ مدة طويلة والواضح أنها كانت تريد أن ..

فيليس : كلا .. كنت أريد أن أكون بالقرب منك لا أكثر . فأنا أحب وجهك . لك وجه حنون ــ أتذكر حين كان زوجى يرفض فى مكتبك أن يوقع أوراق الطلاق ؟ كنت أريد دائما أن أحكى لك هذا ...

كونتين (إلى المستمع) : كلما نظرت إلى شيء تمثل لى الموت فيه ...

فيليس : طيب ، أنظر ، لقد كان يأتى أعمالا صبيانية جدا حين نكون بمفردنا ، كأنه ولد صغير مشاكس . وحين تحدثت أنت اليه بدا لى أنه يريد أن يحس كأنه رجل وكأن لديه كرامة .. وأنا أيضا أحسست أننى أمرأة ناضجة ، أقسم أننا حين غادرنا مكتبك كدت أعشقه .. وحين نزلنا إلى الشارع طلب منى شيئا ، هل أقوله لك .. أم أنك تعرفه فعلا ...

كونتين : أخشى ألا يكون هناك جدوى من وراء هذا . لا أدرى لماذا فتحت هذا الموضوع ؟ ...

(يتوقف ، يظل موجها حديثه إلى المستمع)

طيب ، لمجرد أنه طلب منها أن تذهب معه إلى الفراش ، للمرة الأخيرة ...

فيليس : كيف عرفت هذا ؟

كونتين (تلفت نظره فجأة ــ تتغير لهجته) : لأنه من العسير جدا أن نرى موت الحب ثم نمضى فى سبيلنا ببساطة ..

(يستدير الآن فى مواجهتها)

فيليس : أتظن أنه كان يجب على أن أفعل هذا ؟

كونتين : حسن.، وما الضرر ؟

فيليس : هذا هو ما كان يثير تساؤلى ، ثم ألم يكن شيئا يدعو للسخرية ؟ فى نفس اليوم الذى تم فيه طلاقنا ؟ فاهم ؟ كنت أريد من ورائه شيئا ، أعنى الطلاق ...

كونتين : عزيزتى .. أنت لا تملكين أن تكرهى كل الذين وقعت فى حبهم .. الكراهية لا تمسح الحب ..

(تظهر لويز وهى تمشط شعرها ، تنهض ماجى من المنصة العلوية ، يتناهى إلى الأسماع صوت تنفسها ، ينشط هو ويغدو قلقا ، ثم يحدث المستمع)

...لماذا أصرح بمثل هذه التصريحات الغبية ، لست أعتقد ذلك، هؤلاء النساء الملعونات أذيننى . فهل ترانى لم أتعلم شيئا ؟ ..

(تظهر هوبلجا أسفل البرج ويداها مملوءتان بالزهور)

هوبلجا : أتحب أن تتفرج على سالزبورج ، أظنهم يعزفون الليلة «أوبرا الناى السحرى» ..

كونتين (يستدير فى مواجهتها. صمت. يستدير مرة أخرى إلى المستمع) : هذه هى الـ... لست أدرى ما الذى سأجلبه لهذه الفتاة ...

(تختفى هوبلجا وماجى ولويز)

لست أدرى ما الذى أومن به فى حياتى ... ماذا ؟

(يستدير إلى فيليس)

حسن ، الموت ، بمعنى أنها كانت تسعى أشد السعى كى تكون مفعمة بالأمل ، وأنا ...

فيليس : لا أنكر أنه كان يحبنى ، ولكن انحط كل شىء وأصبح اهتمامنا محصورا فى السؤال عن عدد الاميال التى تقطعها سيارة الفولكس فاجن ! ما كنت أرغب الا فى ان اضل الطريق ، أن نتوه ، أن يصرخ كل منا فى الآخر .. ثم نشرع فى الاتجاه إلى شىء ما ..

كونتين : طيب ، أنت الآن تائهة ، أليس كذلك ؟ تعيشين بمفردك ، تتركين فراشك دون ترتيب ، تتناولين ساندويتشا فى الثالثة صباحا ، تنامين مع من تهوين ، هل تحسين أنك متجهة إلى شىء ما؟ ...

فيليس : أظن هذا ، أحس الآن أننى ماهرة فى الرقص ، أو أكاد أحس أنى حرة حين أرقص ، لست حرة تماما ، ولكن ليس لدى أحيانا سوى أن أفكر بمستوى عال ، وأحلق إلى أعلى واستغرق فى تفكير طويل ، أحلق فوق الأرض وأحيانا أكاد أصبح ما أتخيله بالضبط ... وحين يحدث هذا ...

(تختفى عن الانظار وهى ترقص)

كونتين : هذا معناه الموت ، أنا واثق من أن أملها حقيقى بالنسبة لها . لكننى أجلس هناك وأرى اليوم الذى سوف تفقد فيه ساقاها القدرة على الحركة ، ولا يعود جسدها يلاحق تلك الافكار الوثابة العالية ، أجل ، لكن هناك أجلا للموت دائما ، فلماذا تسعى هى اليه ؟ بل أنها عادت مرة أخرى فى الليلة التالية ، وكادت أن تقتحم

غرفتي . وهزني هذا هزة بالغة ، كم هو ضعيف فى الحقيقة — إيمانى بالحياة !

(تظهر فيليس واقفة ، وقد ارتدت معطفا ، تبدو مشدودة القامة منتشية تقريبا)

فيليس : لقد انتهيت من تجميل أنفى ، هل أنت مشغول جدا ؟ لقد رفع الطبيب الضمادة ، لكننى أعدتها إلى مكانها ، أردت أن تكون أول من يراها ، هل يضيرك هذا ؟

كونتين : كلا ، لكن لماذا وقع اختيارك على ؟

فيليس : لأن ... أتذكر تلك الليلة التى حضرت فيها إلى هنا ؟ كنت أحاول أن أتخذ قرارا .. وأقول لنفسى : لماذا تترددين فى تجميل أنفك ؟ أعنى ، كان يمكن أن يتم هذا ، وهل شخصيتك تتحدد به ؟ هل فيه تحطيم لك ، أعنى ، أجيبى عن هذه التساؤلات ، لكن أظنك كنت تريد أن تنام معى فى تلك الليلة ، أليس كذلك ؟

كونتين : نعم ، كنت ...

فيليس : أدركت ذلك ، وكان له معنى فى نفسى . لأنك أصغيت إلى كل الأصغاء ... لم تحاول مجرد محاولة — أن تصرفنى . كنت أحس أن موضوع أنفى ونوعه لايهم ، لهذا فأنا — لعله لا ضرر من أن يكون أنفى أفطس ، هل تسمح لى بأن أريك اياه ؟

كونتين : يسعدنى جدا أن أراه .

فيليس : أغمض عينيك .

(يغمض عينيه ، ترفع الضمادة)

والآن انظر ..

(ينظر .. ترفع ذراعها وهي تدعو له) سأباركك دائما ... دائما ...

(يستدير ببطء إلى المستمع بينما هي تمضي خارج منطقة الضوء)

كونتين : لعل هذا هو الحق . فهي لم تكن تعني شيئا بالنسبة لي . كانت ضربة خاطفة ، ومع هذا ليس من المستحيل أن أقف في ذهنها مثل ناصية هامة اعتادت أن تنعطف اليها في حياتها . أحس كأنني مرآة ، كانت هي بطريقة ما ترى فيها نفسها عظيمة . بل أنني كنت في الحقيقة أحب أنفها بحالته الأولى أكثر من حبي له الآن .

(يظهر اثنان من حملة النعوش يحملان نعشا) .

كأني بها جنازة أمي . لازلت أسمع صوتها يناديني في الشارع أحيانا ، عاليا وحقيقيا ، أنها في بطن الأرض لكنها عندي لم تمت تماما . لقد كنت أتمثل هذا المدفن كله حقل مرايا مدفونة ، رأى الناس فيها أنفسهم ذات يوم . يبدو أنني لا أعرف كيف أحزن . أتراها مجرد شدة تضايقني ؟

(تظهر هوبلجا إلى أعلى والزهور في ذراعيها) .

إلهي ، لعله يجب أن أعيش وحيدا ، أو لعلي لا أومن بأن الحزن حزن ما لم يحطمني .

(يظهر دان . يتحدث إلى ممرضة . تختفي هوبلجا) .

دان : كم أنا سعيد بحضورك إلى هنا ، ماكنت لأرسل لك برقية ، لكن لست أدري ماذا أفعل ، هل استمتعت برحلة طيبة ؟

(يظهر أيك ، تغطيه بطانية وتسنده ممرضة) .

أبك : أهما ولداى هذان اللذان فى الصالة ؟ أين زوجتى ؟

كونتين (إلى دان) : لكن ماهو الحل ، أنها ميتة ، يجب أن يعرف .

أبك : لماذا لا يدخلان ؟ أين ابنتى ؟

دان (إلى كونتين) : لكنهم لم يجروا له العملية الجراحية سوى هذا الصباح . كيف نستطيع أن ندخل ونقول له : ماتت زوجتك ؟ كأننا بهذا نقطع ذراعه بمنشار ، افترض أننا أخبرناه أنها قادمة ، ثم أعطيناه مسكنا ، ما رأيك ؟

كونتين : لكن يادان ، أظنه صاحب الأمر ، أليس كذلك ؟ ألا تدينني بموته بعد خمسين عاما ؟

دان : يا بنى ، كانت هذه المرأة يده اليمنى ، وبدونها لم يكن ليتقدم مطلقا كما تعلم ... انه سيتحطم ..

كونتين : لا أستطيع أن أوافقك ، أعتقد أنه قادر على تحمل الصدمة ، لقد عانى الكثير ...

(دون توقف ، يخاطب المستمع) .

أيهما يشرح الصدر ؟ فهو الذى كان دائما يرى فى أبينا مثله الأعلى وكنت أنا أفهمه على حقيقته منذ البداية ، وها نحن فجأة نتبادل شخصيتينا كالأطفال فى اللعب ، لم أعد أعرف قدرى عند أحد...

دان (كما لوكان قد وصل إلى قرار) : ليكن . فلندخل إذن .

كونتين : أتريدنى أن أبلغه ؟

دان (غير راغب خائف لكنه يستجيب للتحدى) : سأبلغه أنا .

كونتين : أستطيع أن أفعل ذلك يادان .

دان (وقد تنفس الصعداء) : ليكن ، إذا لم يكن الأمر يضيرك .

(يستديران معا ناحية آيك الراقد فى الفراش ، لايراهما بعد ، يتحركان بثقل مايحملان من أنباء) .

كونتين : انه أمر يخصه يا دان قدرما يخصه زفافه .

(وهما على مقربة من فراش الأب) .

أو ترى انى بكل بساطة أشد منه قسوة ؟

(تلقى الممرضة نظرة عليهما ثم تصعد إلى مؤخرة المسرح ، لكنها تبقى هناك)

أيك : سبحان الله (١) ! من القادم ! حسبتك فى أوربا .

كونتين : عدت حالا .. كيف صحتك ؟

دان : تبدو رائعا يا أبى ...

أيك : ماذا تعنى بقولك : تبدو ؟ أنا رائع ! اعلم انى على استعداد لأن أجرى العملية مرة أخرى ...

(يضحكان معه فى زهو) .

أعنى ما أقول ، والطبيب يقلق على قلقا شديداً ، لقد قلت له فى النهاية : اسمع ... اذا شعرت من جراء ذلك بالهم الشديد ، فما عليك إلا أن تستلقى وأنا الذى سأجرى لك الجراحة ... انه رجل فاضل جداً . لقد ظننت أنك ستتغيب شهرين فوق ما تغيبت .

كونتين (متردداً) : قررت أن أعود و...

---

(١) فى الأصل : ! For Cryin'out loud وهو تعبير دارج يعنى For God's Sake اى بحق الله . (المترجم)

دان (مقاطعا ، يغدو صوته غريبا) : ستأتى سيلفيا حالا ، نزلت تشترى لك شيئا .

أيك : أوه ، بديع ، اعلما ياصديقى ، أن هذه البنية تزداد شبها بأمها .. لقد كانت تتردد على يوميا . أين أمكما ؟ لقد اتصلت بالبيت (شبه صمت) .

دان : ثانية واحدة يا أبى ، انما أريد أن ...
(يشرع فى النداء بجنون ، بلا هدف واضح ، ويتحرك إلى مؤخرة المسرح ناحية الممرضة ، يحملق كونتين فى والده) .
ياممرضة .. آه .. هل يمكنك الاتصال بمحل بيع الهدايا لتستعلمى عما إذا كانت شقيقتى ..

أيك : دان، أبلغها أن تحضر شيئا من الثلج. فحين تأتى أمكما سينال كل منكما كأسا .. لدى زجاجة خمر فى الدولاب ..
(إلى كونتين ، بينما دان يقترب)
أعلم يا بنى ، انى سأغدو شابا، لقد كنت أفكر طوال النهار منذ استيقظت.. أمكما على صواب، فأنا لاأريد أن أتصرف تصرفات رجل عجوز لمجرد انى تقدمت فى السن ، أعنى بوسعنا أن نذهب إلى فلوريدا ، بوسعنا ...

كونتين : أبى ..

أيك : ماذا ؟ أهذه حلة جديدة ؟

كونتين : كلا ! ليست جديدة .

أيك (متذكراً ، مخاطبا دان ، مشيراً إلى الممرضة) : أوه ، قل لها عن الكؤوس ، سنحتاج إلى كثير منها ...

(يحس دان أنه مضطر إلى أن يستدير . يشرع فى الخروج).

كونتين : أبى ...

(يتوقف دان ويستدير عائدا) .

أيلك (بجهل تام) : ماذا ؟

كونتين (يتناول يد أيلك) : أمى ماتت !

(يقبض أيلك على بطنه كما لوكان مطعونا ، وترتفع ذراعه اليمنى كشرطى يأمر بالوقوف . تند عنه شهقة رغما عنه).

أصابتها نوبة قلبية وهى فى طريقها إلى البيت ، ليلة الأمس ...

أيلك : أوه ، لا ، لا ، لا ، لا .

كونتين : (ممسكا يده مرة أخرى) : لم نرغب فى أن نخبرك ، لكن ..

أيلك : آه ، آه ، آه ، آه ، لا ، لا ، لا ، لا .

دان : لم يكن بوسع أحد أن يفعل شيئا يا أبى .

أيلك (يصفق) : أواه ! أواه !

كونتين (ممسكا يده مرة أخرى) : اسمع يا أبى ، ستصبح فى خير حال ، ســ ...

أيلك (يحاول أن يتنفس فوق فراشه وأن ينهض ، لاتكف رأسه عن الدوران كما لو كان يبحث عن زوجته) :

أواه يا للحسرة(١) ، أواه ، ياللحسرة، لا ، لا .

دان : اسمع الآن يا أبى ، انت قوى الاحتمال ، أبى ، اصغ ...

---

(١) فى الأصل : Oh, boy ! وهو تعبير دارج يعنى المصيبة . (المترجم)

أيلك : اللعنة ! ليس بوسعى أن أرعى نفسى ،كنت أعرف أنها كانت تشقى جدا .

كونتين : أبتاه ، ليست غلطتك ، يا أبى ، ماحدث يمكن أن يحدث لأى مخلوق .

أيلك : لكنها كانت تجلس هنا ، كانت .... كانت هنا .

(يجهش الآن بالبكاء معتمداً رأسه بيديه فاقداً سيطرته على نفسه ، يحوطه كونتين بذراع متعبة) .

كونتين : أبى ، أبى . . .

(يمسكه كونتين الآن بكلتا ذراعيه ، يتحرك دان مقتربا كمالوكان يشاركه ، يضع يدا على كتف أيلك) .

أيلك : أواه ... ياأولاد .. كانت يدى اليمنى !

(يرفع قبعته ويبدو أنه على وشك أن يفقد سيطرته على نفسه مرة أخرى) .

دان : ستتكفل بك يا أبى ، لا أريدك أن تقلق على ...

أيلك : لا ، لا ، أنها ... سوف يتحسن حالى ، يا إلهى ! أنا الآن أحسن حالا ! الآن ، أنا أحسن حالا الآن !...

(يسود الصمت بينهم ، بينما هولايفتأ يهز رأسه) .

فأين هى إذن ؟

كونتين : فى بهو المدفن .

أيلك (وهو يهز رأسه ، ينفخ فجأة) : أف ف ف ف ف ف !

كونتين : لم نكن نريد أن نخبرك لكننا قدرنا أنه من الأفضل أن تعلم .

أيك : نعم .

(يربت على يد كونتين) .

شكراً ، شكراً ، سوف ...

(يتطلع إلى كونتين) .

انما يجب أن أتذرع أكثر بالصبر !

كونتين : فعلا ، يا أبي .

أيك (إلى لا أحد) : هذا .. سوف يقوى من عزيمتى .

(يكاد يجهش بالبكاء . ويضغط فكيه ، ويهز رأسه ويعين موضعا معينا)

كانت هنا تماما .

(تختفى الأضواء المسلطة عليه وعلى دان ، يقبل كونتين ببطء ناحية المستمع) .

كونتين : أجل ، أنا فخور لأننى لم أخدعه لكن هذا يضايقنى ، لاأدرى ، ربما لأنه سلم بالأمر على هذا النحو . لقد أحسست أنا أيضاً بالضياع ... هذا ؟ ما فكرت فى هذا باعتباره حزنا . أرجو أن يكون الأمر كذلك .

(يبدأ البرج فى الإضاءة شيئا فشيئا) .

ومع هذا فبعد شهرين من وفاتها اهتم بأن يسجل اسمه فى جدول الناخبين . وأن يدلى بصوته ، حسن ، أعنى ، أن هذا لم يقتله أيضاً ، رغم كل الدموع التى ذرفها ، لست أدرى بحق الجحيم ما أهدف اليه ! .. لا أجد الصلة بين هذا وذاك الآن ، ولكنه...

(يفاجئه البرج الساطع) .

... كنت أزور أحد معسكرات الاعتقال فى ألمانيا ...

(يكون قد اتجه ناحية البرج حين تظهر فيليس وهى ترفع ذراعيها تباركه) .

فيليس : أغمض عينيك ، هه ؟

كونتين (وقد اضطرته إلى أن يستدير) : لست أفهم السبب فى أن هذه الفتاة لاتغرب عن ذهنى ! أجل !

(يتحرك الآن ناحيتها) .

لقد فعلت ، ومنحتنى بعض ... الحب ، على ما أظن ، ولو لم أرده ، أولو لم يغيرنى بطريقة ما لكان أشبه بهدية لم تطلبها ثم أصبحت مدينا بها .

فيليس : إنى أدعو لك دائما !

(تغيب فى الظلام وذراعها مرفوعة).

كونتين : حين تركتنى ، تصرفت تصرفا غبيا . لست أفهمه ، كان على جدار غرفتى بالفندق مصباحان بارزان ...

(مغالبا اشمئزازه) .

لاحظت للمرة الأولى أنهما منفصلان ... تفصل بينهما مسافة غريبة ، وفجأة أدركت أنك إذا وقفت بينهما ...

(يفتح ذراعيه) .

لكان بوسعك أن تمد يدك اليهما وأن تضع ...

(لا يكاد يفتح ذراعيه تماما حتى تنهض ماجى ويتناهى صوت

أنفاسها ، يخفض ذراعيه ، ولايكمل الصورة ، ويغيب الظلام ماجى) .

ربما استطعت أن أحكى عن هذا فيما بعد ، لاأستطيع الآن ...

(تظهر هوبلجا عندئذ وهى تنحنى لتقرأ الشرح المكتوب على جدار إحدى غرف التعذيب) .

أجل ، مع هذه المرأة .. هوبلجا ، لقد صحبتنى إلى هناك ...

هوبلجا (تستدير اليه) : انه وصف عام . كلا لايضيرنى ، سأترجمه ... (تعود إلى الشرح ، يتقدم ببطء خلفها) .

« فى هذا المعسكر تم إعدام مالايقل عن مائتى ألف هولندى وبلجيكى وروسى وبولندى وفرنسى ودانماركى من أسرى الحرب ، زد على ذلك أربعة آلاف ومائتان وسبعة من لاجئى الجيش الجمهورى الأسبانى . والباب الذى على اليسار يؤدى إلى الغرفة ، التى كانت أسنانهم تخلع فيها بحثا عن الذهب. أما البالوعة التى فى الأرض فكانت مهمتها تصريف الدماء. وكانوا أحيانا يخنقون فرداً فرداً بدل الرمى بالرصاص. وكانت الثكنات التى على اليمين بمثابة الماخور ، حيث كانت النسوة الأسيرات يرغمن على..

كونتين (وهو يلمس كتفها) : أظن هذا يكفيك ، ياهوبلجا .

هوبلجا : كلا ، إذا أردت أن ترى البقية ...

(تنفجر باكية ، لكن فى صمت ، وتتحول بسرعة إلى ناحية أخرى .

تعال ، لا يضيرنى هذا .

كونتين (وهو يتأبط ذراعها) : لنمش ، يا عزيزتى ، الريف يبدو بديعا فى الخارج ...

(يسيران ، يتغير الضوء إلى نهار) .

ههنا يبدو العشب جافا ، فلنجلس .

(يجلسان ، صمت) .

كنت أعتقد دائما أن مياه نهر الدانوب زرقاء .

هوبلجا : فى لحن الفالس فقط ، رغم أنها تتغير بالفعل بالقرب من فيينا ، احتراما لشتراوس فيما أظن .

كونتين : لست أدرى لماذا يؤثر هذا فى على هذا النحو ، فقد انتابنى فجأة صداع حاد ...

هوبلجا : آسفة .

(يشرعان فى النهوض . تستشعر جفاء)

عندى بعض الاسبيرين فى السيارة .

كونتين (يلمسها لمسا طفيفا) : سنذهب عما قليل ... انما أريد أن ... أجلس دقيقة .

هوبلجا (كى ترفع معنوياته) : أما زلت تريد أن تتفرج على سالزبورج؟

كونتين : أوه ، بالتأكيد .

هوبلجا : أحب أن أريك بيت موزار . المقاهى هناك فاخرة .

كونتين (يستدير عندئذ اليها) : أهناك أحد كنت تعرفينه ومات هنا ؟

هوبلجا : أوه ، كلا ، أحس أنه لابد للناس أن يتفرجوا عليها ، هذا كل ماهناك ،

لم يعد أحد يأتى إلى هنا ، لقد أحضرت زملاء أجانب مرة أو مرتين .

كونتين : لكن لماذا تعودين ؟ يبدو أن هذا يمزقك تمزيقا .

هوبلجا : أظن ذلك فالإنسان لايريد أن يفقد ماضيه ، حتى ولوكان مروعا : أنت الشخص الوحيد الذى التقيت به خلال وقت طويل ويريد أن يتحدث فى هذا الموضوع .

كونتين : أجل ، لكننى أمريكى.

هوبلجا : أوه ، الأمريكيون أيضاً ، الواقع أننى حين زرت أمريكا للمرة الأولى بعد الحرب ، قضيت ثلاثة أيام فى استجواب قبل أن يسمحوا لى بالدخول . كان من المستحيل أن أشرح لهم الموضوع . فكيف يتسنى لأحد أن يقضى سنتين فى معسكر عمل اجبارى دون أن يتهم بالشيوعية ؟ أويقال عنه أنه على الأقل يهودى . كنت على استعداد للعودة من حيث جئت فقد كنت جد مذعورة . والواقع أنهم لم يطمئنوا إلى إلا حين أخبرتهم بأن لى أقارب تربطنى بهم رابطة الدم فى عدة وزارات نازية ، فاهم ؟ هنا لايتحدث أحد عن الموضوع وفى الخارج لايفهمه أحد ، كأنما تتبدد خمسة عشر عاما من حياة الإنسان ببساطة وبشكل جنونى ، لهذا سعدت جداً لأنك أهتممت بالموضوع اهتماما كبيراً .

كونتين : (متطلعا إلى البرج) : أعتقد أنه كان خليقا بى أن أكون حانقا أو ساخطا ، لكن الأمر يشبه التهام قطعة من أديم الأرض ، انه غريب .

(يشرع فى أن يغطى عينيه وتضغط هى عليه كى يرقد ، وتقول بمرح ...) .

هوبلجا : هيا ، تمدد هنا برهة ، فربما ...

كونتين : كلا ، أنا ...

(وقد أبعد يدها) .

آسف يا عزيزتى ، لم أقصد أن أدفع يدك بعيداً .

هوبلجا (مصدومة ومحرجة) : أرى زهورا برية على ذلك التل ، سأقطف منها شيئا للسيارة.

(تنهض بسرعة) .

كونتين : هوبلجا ؟

(تواصل مسيرها إلى الخارج ويهرع اليها ، ثم يديرها) .

هوبلجا ...

(لايدرى ماذا يقول).

هوبلجا : ربما تكررت مرات لقائنا ، بوسعى أن أستأجر سيارة أخرى فى فى مدينة لينز ، ولعلنا نستطيع أن نلتقى فى فيينا ذات يوم .

كونتين : لا أريد أن أفقدك يا هوبلجا.

هوبلجا : أفهم أنك سترحل عما قليل ، لم أكن أتوقع قط أى ...

كونتين : لكنك تتوقعين بالفعل شيئا ما ، كل الناس يتوقعون ، لست امرأة تذهب إلى الفراش استجابة لعلاقة خاطفة .

هوبلجا : بلى ، لست كذلك ، لكننى قررت منذ عدة سنوات أن أعيش

لعملى ، لست عاجزة بمفردى ، المسألة ببساطة هى أننى أحسست منذ اللحظة التى حدثتنى فيها أننا متآلفان بشكل ما ، وهو أمرلم يحدث من قبل ، ليس الموضوع أن أتزوج فأنا من هذه الناحية لا أتحشم ، لكن أليس من الواجب أن أحصل على شىء ؟

كونتين : ألا أعطيك أى شىء ؟ قولى لى ، فقد وجه لى ذلك السؤال من قبل ، لكنه لم يوجه إلى بمثل هذا الهدوء .

هوبلجا : أنت تعطينى الشىء الكثير ، عسير على أن أتحدث هكذا ، فلست امرأة يجب تهدئة بالها كل دقيقة ، وأمثال هؤلاء غبيات فى نظرى.

كونتين : اننا صديقان حميمان ، ياهوبلجا ، قولى لى ذلك .

هوبلجا : ليس لديك ماتقوله ، لكن ربما كان هذا هوكل ما تريد ، أستطيع أن أفهم ذلك على ضوء ماكنت تعانيه .

كونتين : ليس الأمر كذلك يا هوبلجا ، فليس هناك ماهو ممل كالمغامرة ... لقد كان عندى كل مايمكننى استخدامه .

هوبلجا : لكن ، لعل المغامرة هى كل شىء لديك .

كونتين (يدير وجهها اليه) : هوبلجا ، أتبكين .. من أجلى ؟

هوبلجا : أجل .

كونتين (مأخوذا) : لاتذهبى ، لم يحن الوقت بعد ، هلا بقيت ؟

هوبلجا : اسمع جناحيك يرفرفان (١) ياكونتين.

كونتين : الموضوع هو أننى لاأريد أن أسىء إلى احساسك نحوى ، أتفهمين؟

---

(١) هكذا فى الأصل وتقصد أنها تخشى ان يفر منها . (المترجم)

أقول هذا لأنى أثق بك — أقسم أنى لا أعرف ما إذا كنت سأعيش بصدق أم لا ، فالشك يعقد لسانى حين أفكر فى أن أعد بأى شىء مرة أخرى .

هوبلجا : لكن كيف يستطيع الإنسان أن يتأكد ، أصلا من صدق انسان آخر ؟

كونتين (مندهشا) : يا إلهى ، شىء رائع أن اسمعك تقولين هذا ! ان كل النساء اللواتى عرفتهن كن واثقات كل الثقة !

هوبلجا : لكن كيف يستطيع الإنسان أصلا أن يكون واثقاً ؟

كونتين (يقبلها بامتنان) : لماذا تتمسكين بالعودة إلى هذا المكان؟

هوبلجا (صمت ، انها مضطربة مترددة متحيرة) : أنا ... لست أدرى ، ربما لأننى لم أمت هنا .

كونتين (يستدير بسرعة إلى المستمع) : ماذا ؟

هوبلجا : رغم أن ذلك لا معنى له فى الواقع ، لا أدرى بالضبط !

كونتين (يذهب إلى المقعد) : هؤلاء الناس ... ماذا ؟ أيرغبون فى الموت من أجل الموتى ؟ كلا ، كلا ، أستطيع أن أفهم الأمر فمن الصعب احتمال البقاء على قيد الحياة ، لكننى ، لا أظن أننى أحس هذا الإحساس ...

(تظهر ماجى مرة أخرى فى الفراش على المستوى العلوى للمسرح ، وتشرع فى التقاط أنفاسها ، يظل وجهها غير مميز يشيح بوجهه عنها بينما يسمع من جانب مواجه للمسرح صوت بيانو ، وامرأة هى أمه ، فى منتصف أغنية « المرء على انفراد »)

رغم أنى أفكر الآن بالفعل فى أمى ، وقد ماتت ، أجل !

(يستدير إلى هوبجا).

وربما يزعجها الموتى بالفعل .

هوبجا : كان ذلك فى منتصف الحرب ، كنت قد خرجت لتوى من أحد الفصول ، فإذا بى أجد منشورات ملقاة على جانب الطريق ، عبارة عن صورة معسكر اعتقال وأناس نحاف ، ألقت بها المخابرات البريطانية ، وكنا نميل إلى تصديق الإنجليز ... لم تكن لدى فكرة ، لم تعد لدى فكرة ، حقا ، ربما أكثر مما يعرفه الأمريكيون عن حياة الزنوج ، فليس من اليسير أن تعادى بلدك وخاصة فى الحرب ، هل يعادى الأمريكيون أمريكا بسبب هيروشيما ؟ لكل شىء سبب دائما ، ثم حملت المنشور إلى اشبينى ، كان لايزال يرأس مخابراتنا وسألته عما إذا كان ما به صوابا فقال : « طبعا ، لماذا يثيرك ؟ » قلت : « أنت خنزير وأنتم جميعا خنازير » ثم قذفته بحقيبة كتبى ففتحها ووضع فيها بضع أوراق وطلب منى أن أسلمها إلى عنوان معين ، وأصبحت ساعى بريد للضباط الذين كانوا يضعون خطة لاغتيال هتلر ، وقد شنقوا جميعا ...

كونتين : لماذا لم تشنقى ؟

هوبجا : لم يفشوا سرى .

كونتين : إذن ، لماذا تقولين أن الثقة بالناس ليست مضمونة العواقب؟

هوبجا (صمت) : كانت بلدى ... ربما لم تكن بمثل هذا الاتساع ، لكنى لم أكن أدرى ... والآن لست أدرى كيف لم يكن بوسعى

أن أدرى . لست أتصور الآن ألا أدرى ...

كونتين : هوبلجا، إنى أبارك حيرتك ، ربما يكون هذا هو السبب فى أنك تليقين كل اللياقة لأن تختارى ، لأن تختارى وتتحيزى ، لا يبدو أنك تسعين وراء شيء من النصر الأخلاقى الملعون ، سامحينى ، لم أقصد أن تكون بيننا مسافة تفصلنى عنك ... أنا ...

(يتطلع إلى البرج) .

أعتقد أن هذا المكان يبث الخوف فى نفسى ! كيف يكون ذلك ؟ ان كل شيء فارغ لاقيمة له !

هوبلجا : سآتى بالزهور ، وربما يكون بوسعنا أن نشترى شيئا من الجبن ونتناول طعامنا أثناء القيادة !

(تهم بالخروج) .

كونتين : وهل تغفرين لى ؟

هوبلجا (تستدير ثم تقول بحب بالغ) : أجل ! سأعود حالا ! وسنمضى بعيداً .

(تهرع بعيداً) .

كونتين (يقف جامداً لحظة ، يثير ظهور البرج الضيق فى نفسه ، يتغير لون البرج ، يتطلع اليه عندئذ ، ثم يخاطب المستمع) : لكنه خاو الآن ! حقا ، المنظر من هنا يذكرنا بجو الريف ، الجدران الحجرية دافئة فى الشمس وساكنة على ما أظن ... ربما تصورته أكثر وحشية أو غريبا ... لقد عملت منذ سنوات مساعد لأحد البنائين قبل التحاقى بالجامعة ... وأنا خبير بمشكلة بناء جدران

عالية كهذه فى تربة رملية ... كيف يجرؤ أحد على التفكير فى هذا ؟
أنا أفكر فى الأساسات ! لابد أن تغور عشرة أقدام ، عشرة على الأقل ! أنا خبير بالأساسات ، لكننى لم أكن أظن مطلقا أن الحجارة يمكن أن تكون عادية المظهر هكذا !

(يتجه إلى الخارج) .

لماذا أعرف شيئا هنا ؟ حتى وهو مجرف وفارغ الآن .. إن له وجها يطل على ويسألنى سؤالا معينا : بماذا تؤمن .. أبمثل هذا الصدق ؟ أجل ، لقد شيد المؤمنون هذا ، لعل ذلك هو وجه الفزع — وأنا المجرد من الإيمان أقف هنا منزوع السلاح ، أستطيع أن أرى قوافل اللورى وهى تدك هذا التل ، وأنا أقف بالداخل ، لايعرف أحد أسمى ومع ذلك سوف يفتتون رأسى على أرض من الأسمنت المسلح ، ليس هناك احساس ... نعم ، لهذا لاأرى فى نهاية الأمر شيئا من الخلاص الرحيم ... فتارة يكون الخلاص بالاشتراكية ، وتارة أخرى يكون بالحب ، وهكذا تبدد الأمل الأخير الذى يدخر دائما للنهاية .

(تظهر الأم ، وفى الوقت نفسه يظهر نعشها بمؤخرة المسرح) .

الأم : لا تكثر من أكل الكعك يا حبيبى ، ستكون هناك كمية وفيرة من الطعام فى حفل الزفاف .

(تنادى بمؤخرة المسرح) .

فانى ؟ اقطعى له قطعة صغيرة ... ليست بهذا الصغر .

كونتين : أمى ! ذلك أمر غريب ، جريمة قتل ، أم لعل عزاءها هوالذى يجعلها تتبدى لى فى هذا المكان ؟

الأم : فانى ؟ لاتزيدى حرارة المكواة وأنت تكوين قميص زوجى.

(تستدير فجأة إلى صبى غير مرئى) .

سترتدى أربطة الساق الليلة ياكونتين ، لاتجادلنى ، إنه زفاف أخى ويجب ألا تتدلى جواربك خارج حذائك .

كونتين (يكون قد هم بالضحك لكنه ينثنى) : لماذا لاأستطيع أن أبكيها؟ وقد بكت هوبلجا هنا ، لماذا لاأستطيع أن أبكى ؟ لماذا أحس بالتعاطف مع هذا المجزر ؟

(تظهر فيليس عندئذ ، رافعة ذراعيها) .

لست أفهم ما المفروض على أن أكونه بالنسبة لأى مخلوق ؟ .

لست أدرى . أيوجد زفاف فى الأسرة ؟ لست أفهم مايدور.

الأم (تتحول ضحكتها إلى ضحكة مريرة) : أخوتى ! لماذا يجب أن يكون كل زفاف فى الأسرة كارثة ؟ لأن الفتاة حامل ، يا حبيبى ، ليس لديها مال ، انها بلهاء ، واعلم أن هذا الجنين سيكون له شارب فى النهاية . خمسة رجال بهيو الطلعة على ذلك النحووواحد وراء الآخر ... لست أدرى أين يجدون نساء كهؤلاء .

كونتين (يراقبها ، جالسا) : بحق الجحيم ماعلاقة هذا بمعسكر الاعتقال؟

الأم : وتريد فستانا ضيقا .كأنما هى تستغفل بعضهم . لهذا أرجو ياحبيبى أن تتعلم حين تكبر كيف تخيب أمل الناس . وخاصة النساء ، لاتنسى ذلك أبداً يا عزيزى ، أنت رجل ، والرجل لديه كل ألوان الاختيار ...هلا كففت عن اللعب بعيدان الكبريت ؟

(تصفع يد صبى غير مرئية) .

ستبول على السرير . لماذا لاتجرب موهبتك كخطاط ، بدلا من تلك الخربشة ؟ أنت تكتب كما يكتب القرد يا حبيبى .

كونتين (يهز رأسه ، متطلعا إلى البرج) : لست أفهم مايدور .

الأم (يظهر الأب فجأة ، على أذنه سماعة تليفون ، وفى الحال ينهض كونتين واقفا) : وأين أبوك ؟ لوأنه ذهب لينام فى حمام تركى مرة أخرى فانى سأ ...

(يتحرك كونتين ناحية الأب كأنه يريد أن يسمع مايقوله فى التليفون ويضع أصبعه على فمه مشيراً لها بالصمت)

فيم تتحدث ؟ ألم أكتف عن الاتصال بكل الحمامات التركية ليلة زواج أخى هربرت ؟ لقد نسى كل شىء ولم يعد هناك ما يضايقه .

(تضحك بحرارة . يكون كونتين قد بلغ مكان أبيه ، يحملق فى الصورة الجانبية لوجه أبيه) .

الأب : هرمان ؟ أرسل برقية إلى هامبورج .

الأم : كما حدث ليلة مباراة الملاكمة بين دمسى وتونى (١)

كونتين : هس .

(يستدير إلى الخلف ، متلهفا على سماع ما يقوله الأب)

الأم : باب دورة مياه الرجال يستعصى على الفتح ، والى أن يستطيع

---

(١) دمسى وتونى ملاكمان مشهوران فى أمريكا ابان الثلاثينات . (المترجم)

الخروج سيجد أمامه بطلا جديدا . لقد كلفه الدخول إلى دورة مياه الرجال مائة دولار . (٢) .

الأب : كلا ، ستون ألف طن ، ستون ، ميناء فيراكروز ، الباخرة بسمارك على وشك الوصول ...

الأم : لكن يجب ألا تضحك عليه ، فهو رجل عظيم ، كل ما فى الأمر أنه فى بعض الأحيان يخرجك عن صوابك .

الأب : ثم ارسل برقية إلى ميناء سوثهامبتون ، وأعدها إلى فنلندا يوم الاثنين ، من الباب للباب ...

الأم : حفل زفاف ؟ أوه ، كلا يا عزيزى ، زفاف ... الذى كانت فيه سعادة .

(يستدير كونتين اليها) .

حسن ، أنظر إلى أبيك ، انه ، إلى اليوم ، ما إن يدخل غرفة حتى ترغب فى الانحناء له . أنا لست مثل شقيقاتى ، فكل واحدة تعدو إلى المنزل أثر الاخرى قائلة : «ماماه ، أنا أحب» ماذا تحبين ؟ من تحبين ؟ لم يكن مسموحا لى أن أرى والدك الا بعد موافقة أبى وجدى .. لأننى كنت قد قررت تماما ألا أحطم قلب أمى . فيم تتحدث ؟ طبعا كنت أحبه .

(بحرارة)

أعتاد أن يصحبنى إلى أحد المطاعم — فما أن يلمحه الجرسونات

---

(٢) تشير الى مباراة الملاكمة أيضا حين طلب الأول دخول دورة الميـاه وكانت النتيجة انه هزم . (المترجم)

حتى يشرعون فى تحريك الموائد ، فاذا رأى كوبة ماء من صنف رخيص انصرف خارجا ، واذا كان هناك طابور طويل أمام أحد مسارح برودواى مضى مباشرة إلى شباك التذاكر فيعطونه تذكرتين . لأن الناس يا عزيزى — يعرفون أن هذا رجل بحق ، حتى دكتور شتراوس أقبل على ليلة زفافى قائلا : «يا روز ، بوسعى أن أرى الناس ينظرون اليه اعجابا ، لقد نلت رجلا عظيما» . وكان يحبنى دائما ، شتراوس ، أوه ، بالتأكيد لكنه لم يكن سوى طالب يدرس الطب وقتها ولم يكن يملك قرشا (٣) ولم يكن أبى يسمح له بالدخول إلى البيت ، من كان يدرى أنه سيذهب ضحية مرض الحصوة فى الكلى ؟ ذلك الولد المسكين — اعتاد أن يحضر لى روايات كى أقرأها ، وشعرا وفلسفة ، وغيره وغيره ، بل أننا تسللنا إلى الخارج ذات مرة كى نسمع موسيقى رحما نينوف معا ...

(تضحك فى أسى وقد تولتها الحيرة أكثر من أن تكون مرارة)

(ولهذا السبب ، هل تدرى أنه بعد أسبوعين من زواجنا جلسنا لتناول العشاء وقدم لى بابا قائمة الطعام ، وطلب منى أن أقرأها عليه ؟ كان أميا لا يقرأ ودب فى قلبى ذعر فظيع كاد يجعلنى أفر . لماذا ؟ لأن جدتك لأبيك امرأة جد فاضلة ، غير أنانية فما أن قضى أبى شهرين بالمدرسة حتى الحقوه بالمحل ، هكذا بعض النساء يا عزيزى .. أما الآن فهو يشترى لها كل عام سيارة باكار جديدة وسيارتين أخريين لشقيقيه ، الغبى الملعون ،

---

(٣) فى الأصل Cent أى جزء من مائة من الدولار . (المترجم)

بوسعى أن أقتله . فما الذى يدعونا لأن ندفع أجرا لسائق ، أنا لا أستطيع بأية حال أن أجد سائقا يعمل نصف اليوم ، لأنه اذا جاءوا بسائقين فسآتى أنا بسائق — فالمال مالنا على أية حال .

(بخوف غريب عميق)

أرجوك ، يا حبيبى . أريدك أن ترسم الحروف ، فتلك « الخربشة » قبيحة يا عزيزى . وهيئتك وحديثك يمكن أن يكونا جميعا جميلين . سل مس فيشر . فقد كانوا يعلقون نماذج من خطى على لوحة الشرف طوال سنوات ، يا الهى ، لن أنسى ذلك قط ، لقد كنت الأولى على الفصل ، وخرجت من المدرسة وفى يدى منحة للدراسة بكلية هنتر ... (١)

(تجرى فى روحها عتمة واسوداد)

وحين عدت إلى البيت ، قال جدك : « أعدى نفسك للزواج » كنت أشبه بطائر ذى جناحين صغيرين ، على أهبة الاستعداد للطيران ، وكنت أنام طوال العام ودليل الكلية تحت وسادتى ... كان فى نيتى أن أتعلم ، أن أتعلم كل شىء ، أوه ، يا حبيبى : إن الأمر كله لغز .

(يدخل الأب منطقة الضوء ، متحدثا إلى كونتين الصغير الخفى)

أبك : كونتين ، هلا طلبت لى المكتب على التليفون ؟
(إلى الأم وهو يقبلها بخفة على وجنتها)
لماذا اتصلت بالحمام التركى ؟

---

(١) كلية جامعية معروفة فى نيويورك ، مخصصة للبنات . (المترجم)

الأم : ظننت أنك نسيت أن حفل الزفاف موعده الليلة ؟

أيك : ليتني نسيت ، لكنني أدفع الثمن .

الأم : سوف يرد لك الثمن .

أيك : أعتقد هذا ، فأنا لا أريد أن أظل معلقا من شعرى فترة طويلة (٢)

هذا كل ما فى الأمر .

(يستدير ، متجها إلى تليفون خفى ، ويقف) .

هرمان ؟ لا تقفل السكة .

الأم (وهى تصعد فى السلم) : لا أريد أن أتأخر الآن .

أيك : انها لن تلد اذا تأخرنا نصف ساعة .

الأم : لا تكن قاسيا هكذا ! انه يحب .. أفى ذلك ما يدعو إلى الفزع ؟

أيك : كلهم يحبون على حسابى ، أنا الوحيد الذى لا استطيع أن احب

ما لم أدفع الثمن . لقد تزوجت فى عش غرام .

(يستدير إلى كونتين الخفى وهو يبتسم بحرارة)

هل أصدروا قانونا يحرم على الصبى أن يحلق شعره ؟

(يضع يده فى جيبه ، ويقذف بقطعة نقود فى الهواء)

خذ ، لمع حذاءك على الأقل .

(إلى الأم)

سأصعد حالا ، يا عزيزتى — امضى ، وارتدى ملابسك .

---

(٢) مثل امريكى يعنى وجود الانسان فى موضع الخطر . (المترجم)

(فى التليفون)

هرمان؟ ألا يزال المحاسب موجودا؟ صلنى به .

كونتين (وهو يتذكر فجأة) : أوه ، أجل

روز : سأستعمل أزرار قميصك . يا الهى ، انه جد جميل حين يرتدى سترة سهرة .

(يبتعد عن منطقة الضوء لكنها تتوقف على السلم ، وتستدير ، تسترق السمع إلى حديث أيك)

أيك : بيللى؟ هل أنهيت المهمة؟ ما الحكاية ، ما موقفى؟

(يستدير كونتين الآن متجها ناحية الأم على السلم)

كونتين : أجل !

أيك : ألا تقرأ الصحف ؟ ما الذى سأفعله مع بنك ارفنج ترست — لا أستطيع أن اضحى بها . أى بنك؟ ماذا؟

(تنزل الأم درجة ، وهى مذعورة)

لقد قصدت بنوك نيويورك كلها ، ولا استطيع أن أسدد كمبيالة واحدة . كيف بحق الجحيم سيقرضوننى مالا ؟ كلا — كلا ، ليس فى لندن مال ، ولا فى هامبورج ، وليس هناك شحنة تتحرك فى العالم ، فالمحيط خاو ، يا بيللى ... صارحنى بالحقيقة الآن ... ما مركزى المالى؟

(صمت ... تنزل الأم درجة أخرى ، وكونتين إلى أسفل يراقبها . تنزل الأم عندئذ إلى منطقة الضوء . يقف الأب متصلبا تقريبا ، كأنه يتلقى عاصفة) .

روز : عم كان ذلك ؟ ما الذى تصفيه ؟

(يقف الأب محملقا ، ويتكلم بصوت غير مسموع ، لكنها تبدو قد سمعت حقيقة أخرى مثيرة ، وأخرى ، ثم أخرى)

عم تتحدث ؟ كيف بدأ هذا ؟

حسن ! ما الذى سيعود عليك من هذا ؟

هل فقدت صوابك ؟ لديك سندات قيمتها تزيد على أربعة آلاف دولار ، فبوسعك أن تبيع الـ..

هل بعت تلك السندات العظيمة ؟ متى ؟ لقد اشتريت بيانو ، جديدا فخما ، لماذا لم تقل شيئا ؟ وطقم مائدة فضيا لأخى ، ومع هذا لا تقول شيئا ؟

(تزداد انفعالا ، وتتحرك بضع خطوات مستغرقة فى التفكير)

حسن اذن ، يحسن بك أن تسترد تأمينك ، فلك ما قيمته على الأقل خمسة وسبعون ألف دولار نقدا ...

(تتوقف وهى تستدير فى فزع) ..

متى ؟

(يتهالك الأب ويفقد مهابته بالتدريج ، ويفك ربطة عنقه) :

ليكن ، اذن ، سوف نتخلص من سنداتنا ، بعها غدا .:

ماذا تعنى ؟

حسن ، استردها ، فلدى واحد وتسعون ألف دولار مستثمرة فى السندات التى كنت قد أعطيتنى اياها . هذه سنداتى ، لدى سندات ...

(تتوقف عن الكلام ، ويظهر الرعب على وجهها وتبدو عندئذ فى ازدراء متزايد)

أتعنى أنك رأيت كل شىء ينهار ثم تلقى بالعملة الجيدة بعد الرديئة ؟

هل أنت معتوه ؟

أيك : انك تنهزمين بسرعة امام اى موضوع ، ليس بوسعك الانسحاب من مشروع تجارى ، لقد جئت هذا البلد ببطاقة حول عنقى (١) كأننى ... حقيبة ملابس فى قاع السفينة .

الأم : كان يجب أن أفر يوم التقيت بك .

أيك (كأنه طعن) : روز !

(يجلس ، مغمضا عينيه ، وقد مال عنقه)

الأم : كان يجب أن أفعل ما فعلته شقيقاتى ، أن أقول لوالدى : اذهبا الى الجحيم ، وأن أفكر فى نفسى مرة فى العمر . كان يجب أن أنجو بحياتى ...

أيك : هس ، انى اسمع الأولاد ...

(يسلط عامود قوى من الضوء على بعد بضع ياردات وينظر ناحيته)

الأم : كان يجب أن أحصل على الطلاق .

أيك : روز ، إن فتيان الكلية لا يسعهم الباب فيقفزون من النوافذ ...

---

(١) يعنى أنه رجل عصامى بدأ من الصفر . (المترجم)

روز : لكن ما معنى أن تنفق آخر دولار فى جيبك ؟

(وهى تميل عليه وتقول فى وجهه)

أنت عبيط !

(يضطره قربها إلى الوقوف ، وينظر كل منهما إلى الآخر ، كغريبين) .

كونتين (يتطلع إلى البرج) : أجل .. بلا مبرر ، بل انهما لا يسألان عن اسمك .

أيك (ينظر ناحية عامود الضوء) : هل هناك من يبكى ؟ كونتين بالداخل . يحسن أن تتحدث اليه .

(تتجه ناحيته فى شىء من الارتجاف . ثم تتوقف قبل أن تدركه بقدم أو اشبه)

الأم : حبيبى ؟ يحسن أن ترتدى ملابسك . لا تبك ، يا عزيزى ، سيكون كل شىء على ما يرام . سيعود أكبر مما كان .

(لا تلبث أن يوقفها شىء قاله « كونتين » (١))

ماذا قلت ؟ لماذا ، ماذا أقول ؟ أمجنون أنت ؟ ما كنت لأقول شيئا كهذا أبدا ، كنت أظنك فى الطابق العلوى . حسن ، كنت غاضبة بعض الشىء ، لا أكثر ، لكننى لم أقل ذلك . فهو فى ظنى رجل عظيم .

(تضحك)...

كيف أستطيع أن أقول شيئا كهذا ؟ كونتين .

---

(١) كونتين هنا مجازى تستحضره الذاكرة ابان طفولته . (المترجم)

(يختفى الضوء بسرعة ، ويكاد يختفى فتمد ذراعيها ناحيته)
لكنى لم أقل شيئا .
(بصراخ ناحية شخص غير موجود)
حبيبى ، أنا لم أقل شيئا .
(تظهر هوبلجا فى الحال أسفل البرج ، والزهور فى ذراعيها ، تبحث عنه)

هوبلجا : كونتين ؟ كونتين ؟

(يظل محملقا فى الأم التى يتحول عنها ناحية هوبلجا . تراه هوبلجا عندئذ وتنزل اليه)

أنظر ، ستكون السيارة من الداخل فى منتهى الراحة .

كونتين (يتشمم الزهور فى ذهول وهو يحملق فيها) : أنت تحبيننى ، أليس كذلك ؟

هوبلجا : أجل ...

كونتين (يرمق البرج بنظرة) : أتحسين كلما جئت إلى هنا بشىء من التواطؤ الغريب ؟

هوبلجا : كونتين ... ما من أحد نجا من ايديهم يستطيع أن يكون بريئا من جديد .

كونتين (صمت طفيف) : اذن ، كيف تتكلمين بمثل هذا الاصرار يا هوبلجا ؟ أنت تجهدين نفسك للغاية فى العمل ، وتبدين مفعمة للغاية .. بالفرح والأمل.

هوبلجا : حدث بينما كنت آتى بالزهور حالا أن خطر لى أنه من واجبى أن

،قول لك شيئا . فى غارة جوية ذات مرة فقدت ذاكرتى ورحت
اجوب كل مكان مع الناس عبر الريف بحثا عن مكان آمن . وفى
كل يوم كان الواحد يشيح بوجهه عن الناس الذين يتساقطون
موتى على الطرقات. حتى حاولت ذات ليلة أن أقفز من على حاجز
أحد الكبارى فجذبنى جندى عجوز إلى الخلف وصفعنى على
وجهى ، وأرغمنى على أن أتبعه . وكان قد فقد احدى ساقيه
فى معركة ستالنجراد ... استشاط غضبا لأنى رغبت فى أن اقتل
نفسى . ومضيت اجوب المانيا خلف عكازيه باحثة عن علامة
تدلنى على شخصيتى السابقة . وفجأة ظهر باب عليه مقرعة
ضخمة من النحاس على هيئة وجه أسد ، فرحت أعدو ، ثم
قرعته ، فاذا بأمى تفتحه ، وعندئذ عادت إلى حياتى ، واستدرت
كى ادعو الجندى للدخول ، كى اشكره ، كى أطعمه ، كى
اعطيه كل ما كان لدى ، لكنه كان قد اختفى ، لقد قيل لى
انى كنت اتخيله ، لكنى لا زلت إلى الآن انعطف فى الطريق
أحيانا وكلما مررت بناصية الشارع أتوقع أن أراه .. ليت
بالامكان أن يحيى كل منا الآخر بايماءة من رأسه ... إنى أعرف
فظاعة أن يستدين المرء بما لا يستطيع سداده ابدا .. لقد ظللت ،
لفترة طويلة بعدها ، أحلم نفسى الحلم كل ليلة — أحلم أننى
أنجبت طفلا ، وحتى فى الحلم كنت أرى أن الطفل هو
حياتى ، وكان طفلا أبله .. وكنت أبكى ، وأفر مئات المرات ،
لكنى فى كل مرة أعود فيها كان يتمثل لى نفس الوجه الرهيب ..
حتى خطر لى أننى لو قبلته لأصبح كل شيء فيه ملكى

ولا سترحت ... وكنت أنحنى فوق وجهه الواهن ، كانت التجربة شنيعة ... لكننى كنت أقبله ...

كونتين : ألم يزل هذا الحلم يعاودك ؟

هوبلجا : أحيانا . لكنه الآن يتمتع على كل حال بميزة أنه ملكى . أعتقد يا كونتين أنه يجب على الانسان فى النهاية أن يحتضن حياته بذراعيه .

(تتناول يده)

هيا ، أظنهم يعزفون غدا أوبرا «الناى السحرى» — أتحب الناى السحرى ؟

كونتين (يقبلها) : هناك شيء بخصوصك ، هو أنك تحكين أطرف القصص .

هوبلجا (تضربه وتمط شفتيها ساخرة) : أنت تهزأ بى .

كونتين : فلنخرج من هذه المزبلة ، و ... إلى أين نمضى ؟

هوبلجا (ضاحكة) : إلى سالزيورج .

كونتين : سأدخل معك فى سباق إلى السيارة . فى آخر مرة لم يكن ثمة فائدة ، أم تراك تقولين لم يكن فائدة ثمة (١) ؟

هوبلجا : اتفقنا ، سأسابقك .

(تستعد)

---

(١) انه يتلاعب هنا بالألفاظ زيادة فى ازالة الجفوة واستمتاعا باللحظة .(المترجم)

كونتين : هيا .

(يشرعان فى العدو ، لكن بينما تغيب هي فى الظلام ، يرتد كونتين وينزل إلى المقعد)

كونتين : انى أفتقدها بشدة ، ومع هذا ، لا استطيع أن أوقع خطاباتى اليها بعبارة : «لك حبى» وانما أكتب : «المخلص» أو «الصديق إلى الأبد» ... شىء من قبيل هذا التملص البراق الذكى . أحسب انى قد فقدت الاحساس بالضرورة المطلقة ، وذلك بفعل حياة الوحدة ، فأنا أنزل إلى الشارع ، وأرى الملايين من نوافذ الشقق مضاءة – أقسم أنى لا أفهم كيف يعرف كل شخص الباب الذى يقصده ، أيمكنهم جميعا أن يكونوا فى حالة حب ؟ أذلك الذى يميز بينهم ؟ لا أعتقد هذا ... فهناك نوع من البراءة ... ايمان عميق بأن كل اتجاهاتهم واضحة ، أما انا فسواء فتحت كتابا او فكرت فى الزواج مرة اخرى ، يتضح لى وضوحا سافرا انى اختار ما افعل ، وهذا يقطع مابين يدى وبين السماء من خيوط ... ربما يبدو هذا نوعا من الغباء لكنى احس انى غير مبارك . وأعود بذاكرتى إلى الوقت الذى كانت توجد فيه خطة والتزام فى السماء ، كان لدى مائدة طعام ، وزوجة ، وطفل ، وكان العالم تهدده بشكل مذهل المظالم التى ولدت كى أصلحها ... ياللروعة ... هل تذكر ؟ متى كان هناك اناس صالحون واخرون طالحون ؟ كم كان من السهل ان أميز بينهم ... كنت أرحب بصداقة اسوأ ابن داعرة اذا احب اليهود وكره هتلر ، كأن هذا لون من الفردوس ان شئنا المقارنة...

(مدركا لظهور الزى – التى يتدلى من على كتفيها ثوب الشاطىء.. وذراعاها خارج الاكمام وظهرها للجمهور وهى تصفف شعرها أمام مرآة غير مرئية) :
إلى أن بدأت أفكر فى كل هذا ، الهى ، كلما فكرت فيما كنت اومن به تنتابنى الرغبة فى أن اختبىء ... (يرمق الزى بنظرة)
اجل ، لكننى لم اكن فى شرخ الشباب إلى هذا الحد ... لعلك تظن رجلا فى الثانية والثلاثين يعرف انه حين يجد ضيفة تخلع فى غرفة نومه ثوب الحمام المبتل ...
(تستدير الزى ناحيته وهو يدنو منها ، وثوبها ينسدل من على كتفيها)
ولا أكثر من انهـــا تقف هناك ووجنتاها عاريتـــان بارزتان إلى الأمام ...

الزى : اوه – هل فرغت من عملك ؟ لم لا تستحم الآن . الماء مناسب .

كونتين (يضحك بألم بالغ ، صارخا) : إعلم انى لم اعتقد انها كانت تدرك عريها . كأنى بها فى جنة عدن ... حسن لانها كانت متزوجة ! كيف تقدر على ذلك امرأة تستطيع أن تميز وتحكم حين تنشز فى العزف فرقة «رباعى بودابست الوترى »؟ امرأة ترفض ان ترتدى الجوارب الحريرية لأن اليابانيين يغزون منشوريا – امرأة ، زوجها ، صديقى ، وهو استاذ فاضل من أساتذة القانون ، يقوم بكتابة أول التماس لى إلى المحكمة العليا فوق العشب خارج هذه النافذة – والله لقد كان بوسعى ان أرى قمة رأسه عبر ثديها ... لا شك انى فهمت ، لكن المشكلة

تكمن فيما تسمح لنفسك بأن تعترف به — أن تعترف بما تراه يهدد المبادىء !

(تغادر الزى الحجرة .. تتجه إلى لويز .. يستدير كونتين اليهما . تتحدثان فى همس بالغ .. يدنو منهما عندئذ من الخلف ، يتوقف ، يستدير إلى المستمع)

أتعلم ؟ —حين تتهامس امرأتان وتتوقفان فجأة بمجرد ظهورك...

الزى ولويز (تستديران اليه بعد توقف مفاجىء لحديثهما) : أهلا ...

كونتين : فلا بد أن حديثهما كان عن الجنس ... ولو كانت احداهما زوجتك فلا بد انها كانت تتحدث عنك ...

الزى (كأنها تريده أن يمضى) : لو موجود وراء المنزل يطالع مذكرتك ... يقول انها رائعة ...

كونتين : أرجو هذا ، فقد كنت متوتر الاعصاب بعض الشىء حول رأيه فيها .

الزى : ليتك تقول له هذا يا كونتين : هلا فعلت ؟ لتعرف مقدار رأيه بالنسبة لك لا أكثر ... من الأهمية أن تقول له .

كونتين : يسرنى أن أفعل .

(ترمقه لويز من ورائها بنظرة وهى مرتبكة)

الجو لطيف هنا — اليس كذلك ؟

الزى : فتان ، ساحر ...

(وهى تعنى لويز)

لكم أحسد كما ...

(يظهر لو وهو رجل عطوف ، رقيق للغاية ، يرتدى بنطلونا قصيرا – يدخل وهو مستغرق فى مطالعة آخر صفحة فى مذكرة كونتين – تنهض الزى ... تخاطب لو)

(أريد أن أقوم بجولة اخرى على الشاطىء قبل ميعاد القطار يا عزيزى . هل مشطت شعرك اليوم ؟

لو (وهو يطوى المذكرة) : أظن هذا . كونتين ، كونتين ، هذه رائعة ، تكاد لا تشبه مذكرة على الاطلاق ، صياغتها رفيعة وعليها بهاء الشىء التليد .

(يقهقه – يشد كم كونتين – بينما تنصرف الزى)

أكاد أحس بأنك شرفتنى بمعرفتك .

كونتين : ما أبلغ سرورى يالو .

لو : هذه ستغير مجرى حياتك كلها .. هل لى أن اطلب معروفا ؟

كونتين : أوه ... لك كل ما تريد يالو .

لو : هلا اعطيتها لالزى لتطالعها ؟ أعرف أن الطلب يبدو غريبا .

كونتين : كلا – يسرنى هذا ...

لو : لقد هزتها التجربة هزا شنيعا ، تجربة استدعائى للشهادة أمام المحكمة ، وكل هذه العناوين الصحفية الملعونة – ومع هذا كله فهى تجربة تؤثر فى مجموع علاقات الانسان . ولهذا فأية لفتة احترام .. تصبح ذات اهمية بطريقة رهيبة ... مثلا ... لقد اعطيتها مخطوط المحاضرات الجديدة لتطالعه ، بل اننى عطلت

الطبع فترة حتى استنير بانتقاداتها – لعل هذا يرجع إلى طبيعة التحليل النفسى فيها – لكنها اصبحت قوية وفعالة بشكل ملحوظ ...

كونتين : لكنى ارجو الا تؤخرها طويلا يا لو – فنشرها الآن سيكون عملا مذهلا ، يكفى أن تفضح أولاد الحرام هؤلاء ...

لويز : ياه ! الطعام يحترق فى الفرن !

(تهرع إلى الخارج)

لو (وهو ينظر خلفه) : كنت افكر فى الاتصال بك بخصوص هذا ياكونتين . هى كما ترى عبارة عن كتاب مدرسى – والزى تحس انها لن تجدينى نفعا سوى أنها ستشن هجوما جديدا على.

كونتين : لكنهم قاموا باستجوابك – فأى ضرر آخر بوسعهم أن يلحقوه بك ؟

لو : من يدرى ؟ ربما أقصانى هجوم آخر عن الكلية – لم ينقذنى فى آخر مرة الا صوت ميكى .

كونتين : أحقا ما تقول ؟ لم أعرف هذا .

لو : أوه، أجل، لقد خطب خطبة رائعة فى اجتماع مجلس الكلية حين امتنعت عن اداء الشهادة .

كونتين : حسن ، اذن هو ميكى الذى فعل هذا .

لو : اجل – لكن الزى تحس .. أن النشر الان لا يعنى سوى أننى اجعل الشرر يتطاير مرة أخرى ، بل انها تحس من ناحيتى رغبة لا واعية فى تدمير نفسى بنفسى ، ومع هذا فلو اننى تغاضيت عن

نشر هذا الكتاب لكان فى ذلك نوع من الانتحار بالنسبة لى — لأن كل ما اعرفه موجود فى هذا الكتاب . ما رأيك ؟

كونتين : لو ، لك الحق فى نشره ، فليس الماضى المتطرف برصاً ، اننا لم نتحول إلى اليسار الا لأن الحق كان بجانبه ، يجب ألا تخجل .

لو (فى ألم) : اللعنة ، أجل .... اللهم الا انى لم اصرح لك بهذا أبد ، يا كونتين ...

كونتين (ينزل إلى المستمع) : ... ما وراء هذا الذى أشغل به نفسى ؟

(يصغى)

أجل ، قد يكون اليوم الذى ينتهى فيه العالم ولا يعود هناك برىء واحد مرة أخرى ، رغم اننا لم نكن ابرياء ابدا — ما الذى اسعى اليه ؟

لو : حين عدت من روسيا ونشرت دراستى عن القانون السوفييتى .. تغاضيت عن كثير مما شهدته ، كذبت ، كنت أحسب أن ذلك لمصلحة قضية عادلة ، لكن الكذب هو كل ما يبقى ويدوم ، الأمر جد غريب بالنسبة لى الآن ، فكثيراً ما منيت بالفشل لكنى لم أكن أبدا كذابا . لقد كذبت لمصلحة الحزب ، مرة بعد مرة ، عاما بعد عام ، ولهذا أريد الآن أن أكون بهذا الكتاب الذى ألفته صادقا أمام نفسى . أنا لا أخشى أى هجوم كما ترى ، لكن ما أخشاه هو أن أرغم على الدفاع عن أكاذيبى التى لا يصدقها عقل .

(تظهر الزى ، وهى تدنو ، وتصغى) .

الزى : لو ، أنا مندهشة تماما ، كنت أعتقد أننا فرغنا من هذا الحديث .

لو : أجل ، ياعزيزتى ، أردت أن أعرف شعور كونتين لاغير ...

الزى : قميصك يتدلى خارج البنطلون ، ياعزيزى .

(يدخله بسرعة فى بنطلونه القصير) .

(تخاطب كونتين ...).

أنت ترى بالتأكيد ضرورة عدم نشره...

كونتين : لكن لو أنه لم ينشره ...

الزى (بانزعاج بركانى مكتوم) : لكن يا عزيزى هذا هو الموقف ! لو ليس مثلك ياكونتين ، فانت وميكى تستطيعان أن تعملا فى معمعان العمل السرى ، أما لو فشخص أكاديمى خالص ، انه عاجز عن أن يخرج و ...

لو (تنبسط أساريره ويفتر ثغره بصعوبة) : حسن ، يا عزيزى — لست على هذا القدر من الرقة ، فأنا ...

الزى (بومضة ازدراء مفاجئة ، تخاطب لو) : ليس هذا الوقت مناسبا للأوهام .

(تظهر الأم إذ يركز عليها الضوء والأب متكوم فى مقعد إلى جوارها) .

الأم : أنت عبيط !

(يندهش كونتين — ويستدير بسرعة إلى أمه) .

سنداتى ؟

(تختفى مع الأب . وفجأة تظهر هوبلجا كما ظهرت من قبل أسفل البرج . والزهور فى يدها . تتلفت باحثه عنه) .

هوبلجا : كونتين ؟

(يدير رأسه ناحيتها بسرعة ، تختفى) .

كونتين (وحيدا) : كيف يتسنى لك أن تؤمن مرة أخرى ؟

(تظهر فيليس).

فيليس : سأباركك دائما !

(تستدير وتمضى فى الظلام — يظهر الحائط وعليه المصباحان البارزان) .

كونتين : فى احدى الليالى — حين انصرفت هذه الفتاة...

(يستدير إلى الحائط ، يضىء المصباحان ، لكنه يبتعد) .

سأحاول أن أفهم الموضوع ...

الزى : (الضوء مسلط عليها بينما غاب لوفى الظلام ، يلمع الضوء مرة أخرى عندئن بينما هى تقول إلى لو ...) : تعال ، يا عزيزى ، حتى السباحة لم تمارسها ، فلنستمتع بعطلة نهاية الأسبوع هذه ...

(تمضى مع لو ، وهى تقبل وجنته) .

كونتين : (وهو يراقب انصرافهما) : لماذا اذن يبدو الأمر وكأنه شىء يتداعى فى حين أنه لم يكن أبدا على حاله ؟

(تنهض لويز عندئذ واقفة ، تستدير ، تخاطب فضاء خاليا) :

لويز : كونتين ؟

(يدير عينيه إلى الأرض ، ثم يرفعهما تجاه المستمع) .

كونتين : ألم يكن هذا شيئا مفزعا ... هذا الذى قالته هوبلجا ؟

لويز : لقد قررت أن أشتغل بالتحليل النفسى .

كونتين . (ما يزال يخاطب المستمع) : كى تشغلى حياتك مثل طفل أبله ؟

لويز : أريد أن أتحدث معك فى بعض الشئون .

كونتين : لكن هل بوسع أحد أن يفعل هذا حقا ؟

(يستدير اليها عندئذ وهو يحس بالذنب) .

أن يودع حياته ؟

لويز ، (كأنه لم يجب ــ مخاطبة الفضاء الخالى) : كونتين ؟

(يلتفت إلى البقعة التى تركز عليها نظرتها . يتوتر وهو يصل إلى خط رؤيتها ، ثم يواجهها) .

لاداعى لإحضار بتى الآن ، انها تستمتع باللعب هناك .

(وهى تستر حياءها بصلابة) .

أنامضطرة لاتخاذ قرار.

كونتين : بخصوص ماذا ؟

لويز (فى خوف) : بخصوص كل شىء .

كونتين : ماذا تعنين ؟

لويز : (متحيرة للحظة) : اجلس ــ هلا جلست ؟

(تجلس وهى تستجمع أفكارها . يتردد كأنما هو متألم لكلتا

الذاكرتين . وكذلك لأنه تعذب وقت ان كان يعيش هذا الموقف .
ويخاطب المستمع ، وهو يدنو من مقعده) .

كونتين : كان الأمر يشبه اجتماعا ، لم يحدث أن اجتمعنا أبداً طيلة سبع سنوات ، أبدا ، أبداً لم يحدث مايمكن أن تسميه اجتماعا .

لويز : لايبدو علينا أننا ...

(صمت طويل بينما هي تحدق فى خاطر غير واضح المعالم) .

... متزوجين .

كونتين : نحن ؟

(انها مخلصة فيما تقول – لكن كان ينبغي عليها أن تدرس الكلمات ومن ثمة يكاد ألا تلمح فى طريقة كلامها صيغة متقنة) .

لويز : أنت لاتعيرنى أى اهتمام .

كونتين (متحيراً) : متى ؟

لويز : لم تفعل أبدا ، لكنى لم أتحقق من هذا الا .. مؤخراً .

كونتين (كى يعاونها) : هل تعنين مثل ليلة الجمعة ، حين لم أفتح لك باب السيارة ؟

لويز : حسن ، هذا شيء صغير لكنه جزء مما أعنيه ، أجل .

كونتين : لكننى صارحتك ، فأنت دائما كنت تفتحين باب السيارة لنفسك .

لويز : كنت دائما أفعل كل شيء لنفسى ، لكن هذا لايعنى أنه صواب . كل الناس يلحظونها ياكونتين.

كونتين : يلحظون ماذا ؟

لويز : معاملتك لى ، ليس لى ... وجود ، المفروض أن يكاشف الناس بعضهم بعضا ، وأنا لست تافهة كما تتصور ياكونتين ... ان كثيرين ، رجالا ونساء ، يرون أننى جذابة .

كونتين : حسن ... أنا ...

(يمسك عن الكلام فجأة) .

أنا ، لست أدرى ماتعنين ...

لويز : أعرف انك لاتدرى ، فليس لديك أية فكرة عن طبيعة المرأة ، انت تظنّى نوعا من ... لست أدرى مكانتى عندك .

كونتين : لكنى أهتم بك بالفعل – فبالأمس فقط قرأت عليك مذكرتى كاملة .

لويز : كونتين ، أتظن أن قراءة مذكرة على امرأة تعنى التحدث اليها ؟

كونتين : لكن هذا هو ما يشغل بالى .

لويز : لكن ، لوأن هذا هوكل ما يشغل بالك ففيم حاجتك إلى زوجة ؟

كونتين : والآن ، أهذا سؤال تسألينه ؟

لويز : أليس هذا هو السؤال ، ياكونتين ؟

كونتين (صمت طفيف – بخوف ودهشة) : ما السؤال ؟

لويز : ماذا أكون بالنسبة لك ؟ هل ... هل سبق أن سألتنى سؤالا يمس حياتى الخاصة ؟

كونتين (بانزعاج متزايد) : لكن يالويز ، ما المفروض أن أسألك عنه ؟. أنا أعرفك .

لويز : كلا .

(تقف معتزة بنفسها بشكل خطير) .

أنت لاتعرفني ...

(صمت ... تتقدم عندئذ فى حذر) .

... لست أنوى أن أخجل من نفسى بعد الآن ، كنت أرى الأمر طبيعيا ، بل انك لاتتصورنى لأننى لا أستحق التصور .لكنى أرى الآن انك فى الحقيقة لاتتصور أية امرأة ، باستثناء أملك من بعض النواحى ، فأنت تحس بمشاعرها . أنت تعرف متى تكون سعيدة أو قلقة ، أما أنا كلا ، ولا أية امرأة أخرى .

(تظهر الزى ، توشك أن تتعرى) .

كونتين : ومع ذلك ليس هذا صحيحاً ، أنا ...

لويز : الزى أيضاً لاحظت ذلك .

كونتين (وهو يغيب عن بصر الزى باحساس المذنب) : ماذا ؟

لويز : انها تعجب لحالك ؟

كونتين : لم ، ماذا قالت ؟

لويز : يبدو أنك لا تعترف بحقيقة وجود امرأة ما...

كونتين : أوه ...

(يبدو منزوع السلاح ــ متحيراً صامتا) .

لويز : وأنت تعرف مقدار اعجابها بك .

(يطأطيء كونتين رأسه جادا .. وفجأة يستدير إلى المستمع

وينفجر فى ضحكةمتألمة ساخرة ، ثم يقطعها فجأة ويعود إلى الصمت أمام لويز) .

كونتين ؟

(يقف فى صمت) .

(لا يجيب) .

الصمت لا يحل المسألة بعد الآن ، لاأستطيع أن أعيش على هذه الوتيرة .

كونتين ؟

كونتين (صمت ـ يستجمع شجاعته) : لعل سبب صمتى أننى فى المرة الوحيدة التى صارحتك فيها بمشاعرى لم تفيقى طوال ستة أشهر.

لويز (غاضبة) : لم تكن ستة أشهر ، بل بضعة أسابيع ، وقد هزنى ذلك، لكنه أمر مفهوم، فهل يجوز أن تعود من رحلة ثم تصارحنى بأنك التقيت بامرأة كنت تريد أن تنام معها ؟

كونتين : ما حكيت بهذه الطريقة .

لويز : هى الطريقة بالضبط ... ولم يكن مر على زواجنا أكثر من عام .

كونتين : ما حكيت بهذه الطريقة يا لويز ، كان من البلاهة أن أحكى لك ، لكنى لازلت أقول أننى كنت أعنى بها اطراءك .. فأنا لم أقربها لأننى كنت مدركا لقدرك عندى . وظللت أنت قرابة عام ملعون تنظرين إلى كما لو كنت وحشا لايمكن الثقة به مرة أخرى .

(يخاطب المستمع فى الحال) .

ولم لا أعتقد أنها على صواب ... هذه هي المشكلة ، وبعد ...
ألست بريئا ؟ لاأعتقد .. أليس كذلك ؟ الأبرياء دائما أفضل ،
أليس كذلك ؟ إذن ، لماذا لا أستطيع أن أكون بريئا ؟

(تظهر الزى وهى على وشك أن تتعرى من ثوبها) .

لم أقل لها ببساطة : يالويز ، إن صديقتك الحميمة خائنة ، ألاتجدى
كرامتك هذه التى استجدت عليك ؟كلا ، كلا ، ليس الموضوع
أن الزى كانت تغوينى فقط بل هو أسوأ، هب اننى رأيت خطيئة
فلماذا أكون جزءاً منها ؟

(تختفى الزى بينما يظهر البرج) .

حتى هذا المجزر ... هل كان بوسعى أن أقتل اليهود ؟ أن أصب
الماء المثلج على أسرى الحرب وادعهم يتجمدون حتى الموت ؟
ألم ينكس شيء ما فى نفسى رأسه كأنى شريك فى الجريمة فى هذا
المكان ؟ هه ؟ أرجوك . أجل ، ماذا رأيت ؟ انك تعلم...

(تظهر الأم . يستدير اليها).

... بأى معنى هى خائنة ؟

الأم : يا له من شعر كان يأتينى به ، كان ستراوس يفهمنى وبعد أسبوعين
من الزفاف يناولنى بابا قائمة الطعام كى أقرأ ...

كونتين : هه ... أجل ، ولد صغير .. يعرف كيف يقرأ ، قارئ ممتاز ذلك
الولد الصغير .

الأم : أريد أن يكون خطلك حسنا يا حبيبى ، أريدك أن تكون ...

كونتين : شريكا فى الجريمة ؟

الأم (وهى تتحول إلى الأب الذى يجلس مهموماً) : سنداتى ؟ بل لا تقول لى أى شىء أمعتوه أنت ؟

كونتين (يلاحظها وهى تغيب فى الظلام ثم يخاطب المستمع . يظل البرج موجودا) : أجل ، أجل .. انى أفهم ، لكن ... لماذا يكون العالم خائنا على هذا النحو؟ فاهم؟ أترانا نلقى بكل التبعة على الأمهات؟ فاهم ؟ ان المرض أكبر بكثير من جمجمتى ، ألاتوجد أمهات يضمرن سخطهن فى داخلهن حتى يمتن ولا يتسببن فى محو ثقة الأبناء فيهن حتى يدانون بما لم يقترفوه . ولسوف أتمادى فأقول... وهنا تتمثل أقصى درجات خيبة أملى .. هل من الخير كل الخير ألا تكون مذنبا فيما يقترفه سواك ؟

(يظهر ميكى مقبلا على كونتين ـــ الذى يستدير اليه) .

ميكى : المذكرة رائعة ـــ يا فتى ، أقسم أنها كادت تهزنى.

(مخاطبا لويز .. منبسط الأسارير ..) .

أفخور أنت به ؟

(تشرع فى الانصراف) .

لويز : أجل ... لو والزى موجودان هنا ...

ميكى : أوه ، لم أكن أعرف ، تبدين رائعة يا لويز ، يبدو عليك الابتهاج.

لويز : شكراً ، لطيف أن أسمع هذا ..

(تضحك باستحياء دون صوت ـــ وهى ترمق كونتين بنظرة ثم تنصرف) .

ميكى (صمت ، تتحول ابتسامته فى الحال ، إلى ضحكة كلها حياء) :
أواقع أنت فى مشاكل ؟
(يختفى البرج) .

كونتين (محرجا) : لا أظن هذا . انها ستشتغل بالتحليل النفسى .

ميكى : ألمت بك مشكلة إذن ...
(يضحك) .
لكنها ستكون أكثر فائدة . رغم أنه من المرجح أن تتحدث بعد فترة عن حقوقها ...

كونتين : أحقا ماتقول ؟ هذا هو بالضبط ما كانت تتحدث عنه ...

ميكى (يهز رأسه ضاحكا بفرح) : أنا أحب النساء ... أعتقد أنك ربما تزوجت فى سن مبكرة وأنا أيضاً ، ومع ذلك فأنت لاتعربد ، أليس كذلك ؟

كونتين : لا أعربد ، نعم ...

ميكى : إذن بحق الجحيم ، ما الذنب الذى اقترفته ؟

كونتين : لم أكن أعرف أننى أذنب إلى عهد قريب ...

ميكى : لعله كان يجب أن تذنب ، اسمع ، حين ... حدث لى هذا أول مرة كنت انتحى جانبا لمدة خمس دقائق يوميا ولا أفعل شيئا سوى أن أتخيل زوجتى كغريبة ، كأنى لم أعرفها بعد ، يجب عليك أن تحترم غموضهـــا بعض الشىء ، ابدأ بخمس دقائق ، بوسعى الآن أن أفعل هذا لمدة ساعة .

كونتين : رغم أن هذا يجعل الأمر يبدو كمباراة – أليس كذلك ؟

ميكى : حسن هو كذلك – أوليس كذلك ؟ بمجرد أن يجتمع شخصان لاتستطيع أن تكون مخلصا تماما ، أليس كذلك ؟ أعنى أنها ليست على شاكلتك .

كونتين : أظن هذا صوابا ، أجل ...

(صمت) .

ميكى : أين لو؟

كونتين : (مشيراً) : يسبحان ، أتريد أن تسبح ؟

ميكى : كلا ...

(يسير إلى نقطة معينة ، ينظر إلى أسفل كأنه فوق صخرة ..) .
ذلك الرجل العزيز .. انظر اليه .. انه لم يتعلم قط كيف يسبح .. فهو لايفتأ يغمس قدميه فى الماء كما يفعل الكلب...

كنت أحب هذا الرجل ولازلت أحبه .. أنا آسف لأنك لم تنزل إلى المدينة منذ أسبوعين حين اتصلت بك ..

كونتين : لماذا .. هل كان هناك ... ؟

ميكى : حسن ، اتصلت بك ياكونت ... اتصلت بك ثلاث مرات بقصد التحدث معك ...

(ينهض ، يقف ، يداه فى جيبيه ، وهو ينظر إلى الأرض) .
لقد استدعيت للشهادة .

كونتين (مصدوما) : أوه يا إلهى ؟ اللجنة ؟

ميكى : أجل ، رغبت فى أن تنزل إلى المدينة ، لم يعد للموضوع أهمية الآ ن .

كونتين : كان لدى إحساس بأن هناك شيئا من هذا القبيل .. أظن أنى ... لم أرغب فى أن أعرف مرة ثانية ... أنا آسف يا ميك ...

(إلى المستمع) .

أجل ، كى لاأتصور أننى برىء ...

(صمت طويل ... يصعب عليهما أن يتبادلا النظر ، يلتقط ميكى عصا ، وينبش فيها بظفر ابهامه) .

ميكى : كنت فى جحيم يا كونت ، شىء غريب أن تضطر إلى بحث ما تناصره وتؤيده لا من الناحية النظرية ، وإنما على أساس أنه مسألة حياة أوموت ، عندئذ ترى أمورا كثيرة غير متوافقة ...

كونتين : فى ظنى أن الشىء الأساسى هو ألا تكون خائفا ...

ميكى : أجـل ...

(صمت) .

لم أعـد أبدو خائفـا . فقـد كان ذلك منذ أسبوعين ، لقـد ارتجفت حين دخل المارشال المكتب وناولنى تلك الوريقة الوردية اللون ، ارتجفت حقا ، أخذت ركبتاى ترتجفان ...

(صمت ، يجلس الاثنان ، ينظران إلى أعلى ، وفى النهاية يستدير ميكى وينظر إلى كونتين الذى يواجهه عندئذ ... يحاول ميكى أن يبتسم) .

لعلك لن تكون صديقى بعد الآن ...

كونتين (يحاول أن يتغلب على الموقف بضحكة ، يزداد الفزع فى نفسه) : ولماذا ؟

ميكى : سأفضى اليك بالحقيقة ...

(صمت)

كونتين : ماذا تعنى ؟

ميكى : ساعترف ... سأدلى بالأسماء ...

كونتين (غير مصدق) : لماذا ؟

ميكى : لأنى أريد هذا ، لست أريد هذا التكتم بعد الآن ... فطوال خمسة عشر عاما وأينما حللت ومهما كان مدار حديثى ، لايفارقنى الإحساس بأننى أخدع الناس ، كأن تعيش فى بلد محتل ... يسود الظلام نصفه ...

كونتين : لكنك لم تنضم للحزب ، الا لبضعة شهور ، أليس كذلك ؟

ميكى : أجل – لكن الأمر كان توريطا ، ياكونت ، أنا آسف لأننا لم نتمكن أبدا من الحديث فى هذا الشأن ، فأنا فى الواقع لم أقتنع أبدا بهذا الصمت الذى تثيره المادة الخامسة من التعديل الملحق بالدستور (١) أعتقد أن هذا ليس من الإخلاص فى شىء ، فعلى الإنسان أن يتحمل مسئولية ماضيه .

---

(١) من أحكام هذه المادة انه لا يجوز أن يكره مواطن على الشهادة ضد نفسه ، وكذلك لا يجوز أن تستباح حياته أو حريته أو أملاكه دون محاكمة . (المترجم)

كونتين : لكن ، لم لايكون بوسعك أن تبلغ عن نفسك فحسب ؟

ميكى : لابد أن أفعل ، فهم يفرضون عليك أن تسير إلى نهاية الشوط يا بنى ، وهم يريدون الأسماء ويهدفون إلى القضاء على كل من...

كونتين : فى رأيى أنها غلطة – ياميك ، كل هذا سينقضى ، اعتقد أنك ستندم عليه على أية حال ، كيف يستطيعون القضاء عليك ؟

ميكى (صمت طفيف) : كونت ، سوف أفصل من الشركة لو امتنعت عن الشهادة .

كونتين : أوه كلا ، كان ماكس يستنكر دائما هذا الشيء ..

ميكى : سويت الأمر مع ماكس...

كونتين : لا أستطيع أن أصدق ، ماموقف ديفريز ؟

ميكى : كان ديفريز موجودا . وبرتون ومعظم الآخرين ،ليتك رأيت وجوههم حين صارحتهم ... هؤلاء الرجال الذين عملت معهم طوال ثلاثة عشر عاما ، أتعلم أننا كنا نلعب التنس وأننا كنا أصدقاء حميمين ؟ وبمجرد أن قلت : « لقد كنت » – حتى تجمدوا فى أماكنهم وأصبحوا كالحجارة .

(البرج يضىء) .

كونتين (إلى المستمع) : كل شيء وحدة واحدة لا تتجزأ ، أترى ؟ لست أدرى ما مكانة كل منا عند الآخر .. أو بالأحرى ما يجب أن نكون عليه ...

ميكى : كان بوسعى أن أحس بهم يولون ظهورهم فى وجهى ، كان الأمر رهيباكأنهم كانوا يتمنون موتى .

(تظهر ماجى فى سريرها وتتناهى إلى الأسماع أنفاسها) .

ماجى : كونتين ؟

(يكاد كونتين يرمقها بنظره ثم يستدير – وهو يذرع المكان جيئة وذهابا أمام المستمع وما أن يستطرد ميكى حتى تختفى ماجى وتختفى أنفاسها العميقة) .

ميكى : شيء واحد أعرفه ياكونت – أريد أن أعيش حياة واضحة – حياة واضحة مستقيمة ...

(يدخل لو مرتديا لباس استحمام ، وفى الحال يزداد فرحا لرؤية ميكى) .

لو : ميك ... ظننت أننى سمعت صوتك .

(يشد يده) .

كيف حالك ؟

(تظهر هوبلحا بالزهور ، ثم تختفى فى لحظة) .

كونتين : كيف تجرؤ على إعطاء وعود مرة أخرى ؟ لقد ظللت على قيد الحياة رغم كل الوعود التى عاصرتها .. فاهم ؟

ميكى : فرصة طيبة يالو . كنت أعتزم الاتصال بك غداً .

لو : صحيح ، كنت سأتصل بك – فى مشكلة صغيرة .

(مترددا) .

هل لى ... ؟

ميكى : بالتأكيد يالو .. تستطيع دائما أن تتصل بى ، لدى ضيوف فى

(يقبض على زند لو) .

بلغ الزى أطيب تحياتى .

لو (يتنفس الصعداء) : سأتصل بك غدا — أشكرك يا ميكى.

(يظهر أن الشكر يطعن ميكى — الذى يكون على بعد بضع ياردات ، ثم يستدير إلى الخلف ، ويزمع أن يستدير مرة أخرى) .

ميكى : ما ... المشكلة يالو ؟

لو (مستريحا — وهو يسرع اليه مثلما يفعل الجرو) : الأمر لايتعدى مسألة نشر كتابى الآن ... الزى تخشى أن يوقظ النشر كل الكلاب النائمة مرة أخرى ...

ميكى (صمت) : لكن، ألا يجب أن تنتهز هذه الفرصة ؟ فى رأيى أنه لابد أن يتحمل الإنسان مسئولية فعله يالو — ومسئولية وظيفته . أرى أن ماتخفيه يسممك وعلاوة على هذا فهو عملك .

لو : هذا ما أحسه بالضبط ...

(يشد ذراعيه) .

رائع يا ميك — لماذا لانتعاون كما اعتدنا ؟ أنا مشتاق لهذا الحديث الرائع ... لاشك أنى أعرف مقدار انشغالك الآن ... لكن...

ميكى : لو .

(صمت) .

لو : أجل — ياميك — سألتقى بك فى أى مكان تحدده.

ميكى : هل ستحضر الزى ؟

لو : أتريد أن تراها ؟ بوسعى أن أنزل اليها على الشاطىء .

(يشرع فى الذهاب . يوقفه ميكى) .

ميكى : لو ...

لو (وهو يستشعر شيئا غريبا) : أجل ياميك .

كونتين (مواجهها السماء) : يا إلهى العزيز...

ميكى : لقد استدعيت للشهادة .

لو : كلا .

(يطأطىء ميكى رأسه وينظر فى الأرض ويمسك لو ذراعه) .
آوه ، أنا فى أشد الأسف ياميك ــ كنت أخشى هذا حين اتصلوا بى لكن هل لى أن أقول شيئا ؟ لعله يريح ذهنك من عناء الهموم ، فــأنت ما أن تمثــل أمامهم مرة حــتى يغــدو كل شيء عاديا تماما .

كونتين : أوه يا إلهى العزيز ...

لو : فى الواقع ليس الأمر فظيعا كما يبدو لك الآن ، فكل شيء يزول عدا ... ذات الإنسان ... عدا حقيقة الإنسان ...

ميكى (صمت طفيف) : لقد مثلت أمامهم بالفعل – يالو.. منذ أسبوعين.

لو : أوه ، إذن ما الذى يريدونه منك مرة أخرى ؟...

ميكى (صمت . على وجهه ابتسامة ثابتة) : طلبت أن يسمعوا أقوالى مرة أخرى.

لو (متحيراً ، مفتوح العينين) : لماذا ؟

ميكى (يشكل أفكاره بعناية) : لأننى أريد أن أفضى بالحقيقة .

لو (باول دفعة خوف لاتصادق) : ب .... أى معنى ؟ ماذا تعنى ؟

ميكي : لو — حين غادرت غرفة التحقيق — لم أحس أننى قد تكلمت . شيء آخر تكلم ؛ شيء آلى لاانسانى. سألت نفسى : ما الذى أخشى عليه بامتناعى عن الإجابة ؟ لو ، يجب أن تدعنى أنهى كلامى — يجب ، أهو الحزب ؟ لكن هناك شيئا : شيئا يغص حلقى حين أفكر فى التصريح بأسماء ، فما الذى أدافع عنــه ، انه حلم التضامن — لكن ألم يمت ذلك منذ زمن طويل ؟ الحقيقة :ليس عندى شعور بالتضامن مع الناس الذين بوسعى أن أفشى أسماءهم باستثناء شعورى نحوك . ليس لأننا كنا شيوعيين معا وإنما لأننا كنا معا فى عهد الشباب ، لأننا ... حين كنا نتحدث كنا على الأرجح مثل ... رهبان يتحدثون ، مثل علاقة أخوة تقف فى وجه كل مافى العالم من ظلم ... أنت الذى جعلت حلقى يغص ، هو الحب الذى كان يبدو علينا كلما التقينا لاأكثر ، لكن ما الذى خلق ذلك الحب يا لو؟ أولم يكن احترام الحق وكراهية النفاق ؟ ولهذا ، فباسم ذلك الحب ، يجب على الآن أن أكون صادقا مع نفسى ، لعله من الأيسر بمعنى من المعانى أن تفعل مافعلته ، وأن تصر عليه ، أما أنا فأفضل الاحتفاظ بصداقتك ولايهمنى أن أفقد نفسى ... لأن الحقيقة يالو ... حقيقتى — هى أننى أرى الحزب مؤامرة ... دعنى أنهى كلامى ، أنا أرى أننا وقعنا ضحية النصب . فقد استغلوا شهوة الحق فينا واستخدموها لأغراض روسية . ولا أعتقد أننا نستطيع أن نستمر فى إدارة ظهورنا للحقيقة لالشيء إلا لأن الرجعيين يصرحون بها . وما اقترحه — هو أن نحاول فصل حب كل منا للآخر عن هذا المستنقع السياسى ،

فليس الحزب هو ما كنا نحبه وإنما هى حقيقة كل منا . وكل ماقلته الآن صرح به كل منا للآخر طوال السنوات الخمس الماضية .

لو : اذن ، ماذا ترى ؟

ميكى : أن نعود معا ، تعال معى .. وأجب عن الاسئلة .. كنت سأقول لك هذا غدا .

لو : ندلى ... بالأسماء ؟

ميكى : أجل ، لقد تحدثت مع كل الآخرين فى الخلية وقد وافقوا عدا وارد وهارى اللذان لعنانى ، لكنى كنت أتوقع هذا .

لو : (مذهولا) : دعنى أفهم — اتستأذننى فى أن تدلى باسمى ... ؟

(صمت)

ليس من حقك أن تذكر اسمى .

(يأخذ جسمه فى الاهتزاز)

واذا فعلتها — يا ميكى — فانك تبيعنى مقابل رفاهيتك أنت . اذا استغللت اسمى سوف أطرد ، سوف تحطمنى ، سوف تدمر مستقبلى ...

ميكى : لو ... أعتقد ان لى حقا فى أن اعرف بالضبط لماذا أنت ... ؟

لو : لأنه اذا ما خان الجميع الأمانة فلن تكون هناك حضارة ، هذا هو السبب فى أن هذه اللجنة تمثل وجه الانتهازية ، ومما يدهشنى أنك تستطيع أن تتحدث عن الحقيقة والعدالة بالاشارة إلى تلك العصابة المؤلفة من كلاب الدعاية الرخيصة — سوف لا يحصلون منى على حرف واحد . لن تنبس شفتاى بكلمة واحدة — كلا — ان

شقتك ذات الاحدى عشرة غرفة وسيارتك ومالك لا تستحق هذا ...

(يخطو متجها إلى حافة منطقة الضوء)

ميكى (فى تصلب) : هذه أكذوبة — ليس لك ان تهبط بمستوى هذا كله فتنسبه إلى المال يالو ، هذا زيف ...

لو (مهاجما) : هناك حقيقة واحدة هنا ... هى أنك مذعور ... لقد ابتاعوا روحك ...

(يهم بالانصراف مرة أخرى)

ميكى (غاضبا لكنه يكظم غيظه) : وروحك ؟ ... أهى كلها ملكك يا لو ؟

لو (تبدأ دموعه فى الظهور) : كيف تجرؤ على الحديث عن ... ؟

ميكى (وهو يرتعش من فرط غضبه) : لابد أن تحتمل ما دمت تزمع الاعتراف ، أليس كذلك ؟ منذ متى اكتسبت هذه النغمة الاخلاقية السامية ؟ ... هذا ...

(تظهر الزى فى اقصى المسرح — تقبل عليهم على مهل كأنها قادمة من الشاطىء — ورداؤها مفتوح — ورأسها مشرئبة تتنسم الحياة واللوعة وتتجه نحو السماء) ...

الصدق الكامل مع النفس . ؟ إننى اذكر حين عدت من رحلتك إلى روسيا — اذكر الذى دفعك إلى أن تقذف بنسختك الأولى فى مدفأتى ...

لو (يكاد يصرخ — بعد أن يلقى نظرة على الزى) : يا للمبادىء ...

ميكى : شاهدتك تحرق كتابا يتناول الحقائق ثم تكتب آخر مليئا بالأكاذيب لأنها طالبتك بهذا ، لأنها بثت الرعب فى نفسك .. لأنها انتزعت روحك من جسدك ...

لو (يهز قبضته فى الهواء) : أنا أتهمك .

ميكى : أمن وحى ضميرك أم من وحى ضميرها ؟ من ذا الذى يتحدث الى يالو ...

لو : انك لوحش ...

(ينفجر بالدموع ، يسير ناحية الزى ، يقابلها على مسافة قريبة ، يقول بضع كلمات ويبدو على وجهها الفزع – وفى مقدمة المسرح يستدير ميكى وينظر عبر الاتساع الكامل ناحية كونتين الذى يوجد فى اقصى حافة الضوء ويطالع مشاعر كونتين ...)

ميكى : أزعم أنك ستحتاج إلى الاستعانة بشخص آخر كى يدرس معك مذكرتك ...

(يستدير كونتين عندئذ اليه فى غير حسم ، لكن دون تكذيب)

... إلى اللقاء يا كونتين ...

كونتين (بلهجة ميتة) : إلى اللقاء يا ميكى .

(ينصرف ميكى بينما تهرول الزى ولو إلى أسفل وهما فى شبه هستيريا وما ان يتنحيا حتى تظهر لويز . تقف وهى تراقب)

الزى : هل سمعت ؟

(تشمل لويز بنظرتها)

هل سمعت ، أهو عبيط من الناحية الأخلاقية ؟

(يستدير كونتين اليها ، ولعل شيئا فى نظرته أو فى صدى ذهنها يجعلها تقفل رداءها الذى تبقيه مقفولا باحكام ، ثم تخاطب كونتين ...)

هذا أمر لا سبيل إلى تصديقه ، أليس كذلك ؟

كونتين (بهدوء) : أجل .

الزى : بعد هذه الصداقة ! بعد هذا الحب الذى بينهما والذى دام سنوات طويلة !

(يظهر برج المعسكر ويخرج كونتين من هذه المجموعة متجها ناحيته على مهل وهو يتطلع إلى أعلى)

لو (مذهولا) : وهذا الربيع فقط احضر لى حقيبة أوراق غالية فى عيد ميلادى !

(تظهر هولجا إلى اعلى كما ظهرت من قبل وهى تحمل الزهور . على مسافة بعيدة من كونتين الذى يستدير اليها)

كونتين : أنت .. تحبيننى ، اليس كذلك ؟

هولجا : أجل ...

(لحظة تردد ثم يستدير بسرعة إلى المستمع ويصرخ)

كونتين : أترانى أبحث عن شىء من الدوام الساذج الذى لا ولم يوجد ابدا ؟

(يستدير إلى الزى .. التى تعاون لو كما سبق وهى تقبله)

كونتين : كم هى تعاونه فى حنان على النهوض ... الآن وقد تحطم ...

(تنصرف الزى مع لو وذراعها حوله وهى تقبل وجنته . يراقبهما كونتين وهما ينصرفان)

ومع هذا هل يمكن لهذه القبلة أن تكون حقيقية ، أم أنه ليس ثمة خيانة الا خيانة الرجل فقط ؟ ... ولا يقع عايه االوم مثل الأشجار أو القطط أو السحب ؟ أجل ، أنا أفهم بالفعل ، لكن اذا كان ذلك هو حقيقتنا فما الذى سوف يبقينا فى أمان ؟

(تظهر لويز)

اويز : رأيت حلما . أريد أن أحكيه لك ...

(يمضى كونتين فى سكون إلى نقطة قريبة منها ويخرج «ملفا» ويختلس النظر اليها)

كنت واقفة إلى جوار جبل مرتفع وساقاى مقطوعتان .

كونتين : ما معنى هذا ؟

لويز : هل من الضرورى أن تعمل الايلة ؟

كونتين : انها قضية لو .. وعلى ان ادرس كومة من الأوراق .

(صمت طفيف)

حسن ، بوسعى أن أقوم بهذا فيما بعد : ما وراءك ؟

لويز : لا يهم .

كونتين (يجلس فى الحال كأنه يتذكر قرارا بأن يتصرف تصرفا حسنا..) : آسف يا لويز ، ماذا تريدين أن تقولى ؟

لويز : أحاول أن أفهم سبب غضبك منى فى حفل تلك الليلة .

كونتين : لم أكن غاضبا ، انما أحسست أنه فى كل مرة شرعت أتكلم فيها كنت تقاطعينى كى تشرحى ما كنت سأقوله ...

لويز : حسن ، كنت قد شربت خمرا ، كنت منتشية بعض الشيء ، كنت أحس بالسعادة فيما أظن لأنك لم تكن تسعى إلى الاختفاء حين كان الجميع يفعلون ذلك ...

كونتين : أجل ، لكن ماكس كان موجودا وديفريز ولم يحسا بحاجة إلى الاختفاء ... انما أريد أن أكسب قضية لو ، لا أن أحصل على نصر أخلاقى للمكتب . أحسست انك كنت تضايقيننى .

لويز : رأيتك يا كونتين تغضب حين كنت أتحدث عن ذلك المصل الواقى من الجرائم .

(يحاول أن يتذكر معتقدا أنها على حق)

ما الحكاية ؟ ألا تريدنى أن أتحدث على الاطلاق ... ؟

كونتين : سخيف ذلك يا لويز ... لماذا ... ؟

لويز : لأنه فى اللحظة التى أبدأ فيها احقق ذاتى تترعج أنت ... لا أظنك تريدنى أن اكون سعيدة .

كونتين (ثمة اذعان واضح ينشأ عن لهجته المترتبة على الذهول المستسلم) : أقول لك الحق يا لويز ، لم أعد أحس انى واثق جدا من نفسى ، احس أحيانا أننى لا أرى الحقيقة على الاطلاق ... لقد سرنى أن ارتبطت بلو لكن خطر لى مؤخرا فقط أنه ما من محام محترم سيقبل قضيته . ما أشبه ذلك بشبكة ارتباط سرية بين الناس لا وجود لها فى قليل أو كثير ! ... شبكة كنت دائما أعتمد عليها بطريقة أو بأخرى ، فأنا لم أؤمن أبدا ايمانا قاطعا بأن الناس يمكن التخلص منهم بمثل هذه السهولة ، والموضوع أكبر من المسألة

السياسية وفى ظنى أنه أخافنى بعض الشيء .

لويز (برغبة فى استدرار شفقته وبلهجة خالية من الاتهام) : حسن ، يجب أن تعرف مقدار ما أحسست به حين وجدت ذلك الخطاب فى سترتك .

كونتين (يستدير اليها مدركا) : لم أفعل ذلك كى أتخلص منك يا لويز .

(لا تجيب)

كنت اعتقد أننا انتهينا من موضوع تلك الفتاة .

(تظل لا تجيب)

أتعنين أنك تحسبيننى لازلت .... ؟

لويز : لست أعرف ما تفعله ؟

كونتين (مذهولا) : ماذا تعنين بقولك لا تعرفين ؟

لويز (اليه مباشرة) : قلت لا أعرف ، فقد حسبت أنك قلت الحقيقة عن الفتاة الأخرى منذ سنوات لكن بعد الذى تكرر حدوثه هذا الربيع أجدنى لا أعرف أى شيء .

كونتين (صمت) : خبرينى ، حتى هذه الحفلة فى الليلة تلك ... الواقع أنه طوال هذه السنة كلها ، كنت أحسبك أكثر سعادة لقد كنت سعيدة ، أليس كذلك ؟

لويز : كونتين . الست تدرك أننى لم أفعل شيئا سوى أن تنحيت عن طريقك خلال هذه السنة ؟

كونتين (مندهشا ، مذعورا من احساسه بالحقيقة) : تنحيت عن طريقى !

لويز : حسن ، أبوسعك أن تتذكر شيئا واحدا قلته عن نفسى هذه السنة ؟

كونتين (بغضب وهو لا يزال مندهشا) : أشهد الله يا لويز ، أننى حسبت أننا كنا نبنى شيئا حتى تلك الليلة ...

لويز : لكن لماذا ؟

كونتين : حسن ، ليس بوسعى ان أعطيك قائمة بالتفاصيل ، لكن يبدو واضحا تماما أننى كنت أحاول محاولة مستميتة أن أكشف عن رأيى فيك . وقد لمست أنت هذا ، أليس كذلك ؟

لويز : أنت مفعم بالغيظ يا كونتين ، اتظننى عمياء ؟

كونتين : ما يسبب لى الغيظ هو أن اظل فى محاكمة إلى الأبد يا لويز . أتراك متفرجا بريئا هنا ؟ لازلت انتظر شيئا من المساهمة ، لعلك كنت تؤدينها لأفعالى ، فأنا اغتاظ من عدم سماع شىء عن هذه المساهمة ؟

لويز : قلت أننى اسهمت ولم أطلب شيئا لفترة طويلة ...

كونتين : أتعنين أنك فى الصيف قبل الماضى لم تأت إلى وتقولى أننى ان لم اتغير سوف تطلبين الطلاق ؟

لويز : ما قلت على الاطلاق انى كنت أعد العدة كى —

كونتين : قلت اذا بلغ الأمر هذا الحد سوف تطلقيننى — اليست هذه مساهمة ؟

لويز : حسن ، لم يكن هذا الأمر ليؤدى حتما إلى ان تبعث برجل ليلعب

دور الطبيب مع أول فتاة اتيحت له فرصة أن يضع يديه عليها ...

كونتين : ما مقدار الخجل الذى تريدينى أن أحس به ؟ أنا أكره ما فعلت ، لكن . أظننى شرحته ، كنت أحس كأننى عدم ، لم يكن من الواجب ان احس ، لكننى أحسست فاتخذت الوسيلة الوحيدة لكى —

لويز : هذا بالضبط ما اعنيه يا كونتين ، فأنت لازلت تدافع عنه الآن حتى هذه اللحظة ...

(يوقفه ذكر هذه الحقيقة)

كونتين : وأنت ... لست أهلا للمؤاخذة على الأطلاق .. هه ؟

لويز : لكن ... كيف ؟

كونتين : حسن ، اضرب مثلا ... الم تديرى ظهرك لى فى السرير ابدا ؟

لويز : لم أدر ظهرى أبدا .

كونتين : ادرت لى ظهرك فى السرير يا لويز ، أنا لست مختل العقل !

لويز : طيب ، ماذا كنت تتوقع ؟ ألم تضع يدك على فى صمت وببرود ؟

كونتين (منهارا) : حسن ، أظن أن مشاعرى لا تتكشف على وجهى .. (صمت طفيف ، يستدر عطفها)

لويز ، إنى مشغول البال عليك أناء الليل وأطراف النهار ...

لويز (متأثرة لكن بدرجة غير كافية) : طيب ، لقد انجبت طفلة ويقينى أن هذا هو ما يشغل بالك ...

كونتين (مجروحا جرحا عميقا) : أهذا كل شىء ... ؟

لويز (بتعقل بالغ) : اسمع ياكونتين ، الموضوع كله يتلخص فى شىء بسيط للغاية ، أنت تريد امرأة تمدك بجو ليس فيه مشاكل على الاطلاق ، وعندئذ تحلق فى حمام دائم من المديح والثناء ...

كونتين : حسن ، لا ضير على من بعض المديح ، فأنا أهتم بالثناء القليل ، ما ضرر المديح ؟

لويز : لست آلة لتفريغ المديح ، أنا انسانة واضحة ولست أملك .... أنا شخصية مستقلة ...

كونتين (يحدق فيها وفيما يكمن وراءها) : افهم هذا الآن .

لويز : ليس فى الامر جريمة طالما انك بلغت سن الرشد ...

كونتين (بهدوء) : لا أعتقد هذا ولكنى متحير ، الواقع أن هذا كان احساسى حين ادركت ان لو كان يتنقل من واحد إلى آخر من طلابه السابقين ولا يجد من يقبل القضية ...

لويز : ما علاقة لو بهذا ... ؟ أعتقد انه مما يستحق الاعجاب أنك —

كونتين : اجل ، لكننى افعل ما تسمينه شيئا يستحق الاعجاب ، لاننى لا أستطيع ان احتمل ان اكون شخصية مستقلة ، هذا ما أظنه ، فالواقع اننى لا أريد أن أكون فى عرف الناس محاميا أحمر (١) ، وأنا فى الحقيقة لا أريد أن تأكلنى الصحف حيا ... ولو بلغ الامر هذه النتيجة لكان بوسع لو أن يدافع عن نفسه ،لكن حين يجلس أمام مكتبى هذا الرجل المهيض الجناح المهذب الذى لم يكن يريد شيئا سوى خير العالم ، لا ادرى كيف اقول له ان اهتماماتى لم

---

(١) اى : شيوعى . (المترجم)

تعد نفس اهتماماته ، وانه اذا لم يتغير فانى ادفعه إلى الجحيم ، لأننا شخصيتان مستقلتان ...

لويز ذهنك مشوش تماما ، ليست لقضية لو علاقة بـ ...

كونتين (مستجمعا تفكيره) : إنى احكى لك عن اضطراب ذهنى ... أعتقد ان ميكى اصبح بدوره شخصية مستقلة...

لويز : غير معقول !

كونتين : إنى أفكر فى أمى ... أعتقد انها أصبحت هكذا بدورها —

لويز : أتراك تقارننى بـ ...

كونتين : لويز ، اسألك ان تفسرى لى هذا ، لأنه يحدث حين افقد بصرى ، حين تصبحين فى النهاية شخصية مستقلة فماذا يتبقى لك بحق الجحيم ؟

لويز (بزهو مؤكد غير مستقر) : النضج ...

كونتين : لست أدرى معنى هذا ...

لويز : معناه أن تعرف أن شخصا آخر موجود يا كونتين ، اليس التحليل النفسى هو اختصاصى ؟

كونتين (مستطلعا) : اغلب الظن أن هذا من أعراض حالة نموذجية من نوع ما ، لكنى اقسم يا لويز أنه لوحدث فى مرة وبارادتك وكما أنت عليه الآن ، لو حدث أن جئتنى وقلت أن شيئاً ، شيئا هاما أخطأت فيه وأنك أسفت ... لكان فى ذلك دواء ...
(تبقى صامتة فى زهوها وفى رفضها للهزيمة مرة أخرى)
لويز ؟

لويز : يا الهى ! كم هو عبيط !

(تشرع فى البكاء على حياتها بطريقة عاجزة ثم تختفى . يسلط الضوء على مقعد فى متنزه مع صوت حركة المرور . يهرول شاب زنجى خارجا ، يبدو حسن الهندام ، يضع على عينيه نظارات شمسية ويتوقف كى ينفض الغبار عن حذائه اللامع ثم يمشى . تظهر أمرأة عجوز ترتدى رداءا فضفاضا وتحمل حقيبة حاجيات فى احدى يديها وببغاء داخل قفص فى يدها الأخرى ، وهى تعرج . يسير كونتين الهوينا ثم يجلس على المقعد وحقيبة الأوراق على حجره .)

كونتين : ما أقل الأيام التى تضع العقل فى مكانه الصحيح ، كما تثبت السجادة بأربعة أو خمسة مشابك ، خصوصا اليوم الذى تتوقف فيه الصيرورة ، اليوم الذى توجد فيه مجرد وجود . أزعم أن هذا يتحقق حين تتلاشى المبادىء وتختفى ، وبدلا من القتامة العامة التى تحيط بما ينبغى أن يكون تشرع فى أن ترى ما هو كائن . حتى المقعد فى المتنزه يبدو موجودا وقد حمل على ظهره جد كثيرين من الرجال أبناء الساعة ، ان كلمة الآن تشبه قنبلة تخترق النافذة وتدق دقات منتظمة .

(تعود المرأة العجوز إلى المرور بالببغاء)

والآن هاهى امراة تصحب ببغاء فى جولة ، أغلب الظن أنها قلقة على مصيره حين تغرب عن دنيانا . إن لكل شىء عواقبه فجأة .

(تمر فتاة عادية ترتدى ثوبا من قطعتين مصنوعا من التويد وهى

تطالع فى كتاب رخيص)

وياالشجاعة التى يجب أن تتذرع بها المرأة العادية ، أو ما أكثر حبها للنظام لدرجة أنها لا تشعل النار فى متحف للفن !

(يمر الزنجى وهو ينفض الغبار عن حذائه ، يقبل على كونتين ويطلب منه كبريتا ليشعل سيجارته . يشعلها له كونتين)

نرى ، كيف يحافظ على اناقته والحمام فى طابق آخر ؟ لابد أنه يعانى أشد حالات الغيظ حين يحلق ذقنه .

(يلمح الزنجى فتاته فى مؤخرة المسرح . يسير معها)

ما الذى جعلنى اعتقد بأننى لابد أن أعود فى نهاية النهار إلى البيت ؟ فاهم ؟ ذلك النهار حين لم يعد اى شىء فجأة مرتبا منظما على الاطلاق ، ليس هناك شىء سوى ... كلمة «الآن» التى تخبو دقاتها .

(تظهر ماجى باحثة عن شخص ما)

والآن ، ها هى ذى حقيقة متناسبة جميلة البشرة لا تقبل الانكار .

ماجى : لا مؤاخذة ، هل رأيت رجلا ومعه كلب كبير ؟

كونتين : كلا ، لكننى رأيت امرأة ومعها طائر صغير .

ماجى : كلا ليس هو ، أهذه محطة الاتوبيس ؟

كونتين : نعم هذا ما تقوله العلامة —

ماجى (تجلس إلى جواره) : كنت أقف هناك فأقبل رجل ومعه هذا الكلب الكبير ، كل ما فعله انه وضع مقود الكلب فى يدى ثم انصرف ولهذا رحت أبحث عنه ؛ لكن الكلب رفض أن

يتزحزح ، ثم أقبل هذا الرجل الآخر وأخذ المقود ومضى ، لكنى لا أظن أن الكاب كابه فعلا ، وانما أظنه كاب الرجل الآخر .

كونتين : لكن من الواضح أنه لا يريده .

ماجى : لكن ، لعله كان يريد منى أن أحصل عليه لنفسى ، ويخيل لى أن الرجل الاخر كان مجرد متفرج على ما حدث ، فتصور أن بوسعه ان يقتنى كلبا بالمجان .

كونتين : حسن ، أتريدين الكلب ؟

ماجى : كيف لى أن اقتنى كابا ؟ بل لا أظن أنهم يسمحون بوجود الكلاب فى المكان الذى أعيش فيه . ربما يقبلون ، الا اننى لم أر أى كلب على الاطلاق ، هذا رغم أننى لا أمكث طويلا بالبيت ، أى أتوبيس هذا ؟

كونتين : أتوبيس الشارع الخامس وهو يؤدى إلى الشارع الرئيسى فى المدينة ، إلى أين تريدين الذهاب ؟

ماجى (تفكر) : طيب ، بوسعى أن أذهب إلى هناك .

كونتين : إلى أين ؟

ماجى : إلى الشارع الرئيسى .

كونتين : أشياء كثيرة مضحكة تجرى هنا ، أليس كذلك ؟

ماجى : طيب ، يحتمل جدا أنه تصور اننى أحب الكلاب . ربما افعل لو توفرت عندى وسيلة اقتنائها ، لكنى لا أملك حتى ثلاجة .

كونتين : اجل ، لابد ان هذا هو السبب ، فى ظنى انه حسب انك تملكين ثلاجة .

(تهز كتفيها . صمت . ينظر اليها بينما هى تترقب الأتوبيس ولم يعد لديه ما يتوله . يسلط الضوء على لويز)

لويز : انت لا تتحدث مع أية امرأة ... لا تحب أية أمرأة ، أتظن قراءة مذكرتك تعنى الحديث إلى ؟

(يغيبها الظلام ، يميل كونتين بجسمه فى توتر . وذراعاه تستقران على ركبتيه ، ينظر إلى ماجى مرة أخرى ، يظهر بعض المجهولين من الرجال ، يتزاحمون حولها وهم يرمقونها بنظراتهم .)

كونتين (بجهد) : ماذا تعملين ؟

ماجى (كأن من المفروض أن يعرف) : على لوحة السويتش .

كونتين : أوه ، عاملة تليفون ؟

ماجى (تضحك) : ألا تذكرنى ؟

كونتين (مندهشا) : أنا ؟

ماجى : كنت دائما احييك برأسى من النافذة كل صباح ...

كونتين (بعد لحظة) : أوه ، فى غرفة التليفون !

ماجى : بالتأكيد ... أنا ماجى !

كونتين : فعلا ... أنت تطلبين لى مكالماتى أحيانا ...

ماجى : أحسبت أننى ما أتيت إلى هنا الا كى أدخل فى حديث معك ...

كونتين : لم تكن لدى فكرة ...

ماجى (تضحك) : طيب ... ما هى الفكرة التى كان يجب أن تكون لديك ؟...

كونتين : لم أدر ما الذى أفكر فيه ...

ماجى : أعتقد أن هذا يرجع إلى أنك لم ترنى قط فى تمامى ... أعنى أنك كنت ترى رأسى فقط ... من خلال تلك النافذة الصغيرة ...

كونتين : أجل ، حسن .. لطيف أن التقى بك فى تمامك ... أخيراً .

ماجى (تضحك) : .. أعائد أنت إلى العمل مرة ثانية الليلة ؟

كونتين : كلا ، لا أكثر من أننى أستريح لبضع دقائق .

ماجى (وقد أحست بوحدته) : ... أوه ...

(تتلفت دون هدف ، يرمق جسدها بنظرة) .

كونتين : مما يرثى له أن يحكم عليك بالجلوس خلف تلك النافذة الصغيرة ...

(تضحك بامتنان .. تقع عينها على شىء) .

ماجى (وهى تنهض) : .. أهذا هو الأتوبيس المتجه إلى المدينة هناك ..؟

كونتين : الحقيقة ، لست متأكدا من الجهة التى تريدين الذهاب إليها ...

(يظهر رجل ويرمقها ، يتطلع ناحية الأتوبيس ثم يستديراليها محملقا) .

ماجى : أريد محلا من المحلات التى تبيع بالخصم ، فقد اشتريت فونوغرافا لكنى لا أملك سوى اسطوانة واحدة ، إلى اللقاء .

(تدير نصف ظهرها ناحية الرجل) .

الرجل : يوجد واحد فى الشارع الثانى والسبعين وآخر فى الشارع السادس.

ماجى (وهى تستدير مندهشة) : أوه ، شكراً .

كونتين (واقفا ، يتحرك ناحيتها ، يريد أن يبقيها لنفسه دون الرجل) : يوجد محل اسطوانات بعد الناصية ... هل تعرفين ؟

ماجى : لكن ، هل يبيع بالخصم ؟

كونتين : حسن ، كل المحلات تبيع بالخصم ...

الرجل (وهو يدس يده تحت ذراعها) : ماذا ، عشرة فى المائة ، هيه يا عزيزتى سآتيك بخصم خمسين بسهولة .

ماجى (تسير معه متأبطة ذراعه) : صحيح ؟ لكن هل توجد اسطوانة بيرى سوليفان ؟

الرجل : اسمعى ، سأعطيك إياها – سأعطيك اسطوانتين – هيا ؟

ماجى (تتوقف ، تدرك الموقف فجأة وتسحب ذراعها ويتراجع الرجل إلى الخلف) : لامؤاخذة ، نسيت شيئا .

الرجل (ملحاً) : اسمعى ، سأعطيك عشر اسطوانات ...

(ينادى) ..

خل هذا الباب !

(يشدها) .

هيـا !

كونتين (متجها اليه) : مهلا ! يا حضرة !

الرجل (وهو يدفعها ... إلى كونتين) :آه أغرب عن وجهى !

(يندفع مهرولا) .

خله ، خل الباب مفتوحا !

(يراقب كونتين الأوتوبيس وهو يمضى ثم يستدير اليها ، تستغرق هى فى ترتيب شعرها ، لكنها تترك الرجل وعلى وجهها تعبير

لزج غريب ...)

كونتين : أنا آسف ، حسبتك تعرفينه .

ماجى : كلا ، لم أره أبداً من قبل .

كونتين : حسن ، ماذا كنت تبغين من وراء الذهاب معه ؟

ماجى : قال أنه يعرف محلا .

(ينظر كونتين اليها وهو متحير مهتم بأمورها ثم يومىء برأسه بطريقة غير حاسمة)

أين المحل الذى تتحدث عنه ؟

كونتين : لابد لى من دقيقة أفكر فيها . فلنر ...

ماجى : هل أستطيع أن أجلس معك وانت تفكر ؟

كونتين : بالتأكيد ، تفضلى ...

(يعودان إلى المقعد . ينتظر حيثما تجلس . تدرك تأديه وترمقه بنظرة وهو يجلس ثم تنظر اليه نظرة شاملة وتبدو لسبب ما مذهولة)

أيحدث لك هذا كثيراً ؟

ماجى : كثيراً جداً ...

(يستحيل أن تحكى عما إذا كان هذا يروق لها أم لا)

كونتين : هذا يرجع إلى انك تتحدثين معهم .

ماجى : لكنهم يكلموننى ، ومن الضرورى أن أرد عليهم .

كونتين : بشرط ألا يكونوا وقحين ...

ماجى : وإذا تكلموا معى ...

كونتين : حسبك أن تديرى ظهرك ...

ماجى (تفكر فيما قال ثم تقول بلا حسم) : أوه ، اتفقنا ...
(كأنها مدركة من بعيد لعالم آخر هو عالمه) .
شكراً ، رغم ... لوضع حد لما حدث ...

كونتين : حسن ، أى إنسان آخر يفعل هذا .

ماجى : كلا ، انهم يضحكون ، انها نكتة بالنسبة لهم .
(تضحك فى ألم . صمت طفيف) .
هل ... ستستريح هنا طويلا جداً ؟

كونتين : مجرد بضع دقائق ، وأنا فى طريقى إلى البيت ... لم أفعل هذا على الإطلاق من قبل .

ماجى : أوه ، تبدو مثلما اعتدت أن تفعل .

كونتين : لماذا ؟

ماجى : لا أدرى ، تبدو كأن بوسعك الجلوس ساعات تحت هذه الأشجار.. ولا يشغلك سوى التفكير .

كونتين : كلا ، أنا عادة اذهب إلى البيت رأسا .
(تنبسط أساريره) .
كنت دائما اذهب إلى البيت رأسا .

ماجى (تستغرق فى تأمل كلامه) : أوه .
(تتيقظ) .

اسمع ، أنا لازلت أدفع أقساط الفونوغراف .. أتعرف أنهم لايبيعون اسطوانات بالتقسيط .

كونتين : أظنهم يخشون عليها أن تنفد .

ماجى : أوه ، لابد أن هذا هو السبب ، كنت دائما أتساءل ، فأنت تستطيع أن تقتنى فونوغرافات ...من أين عرفت هذا ؟

كونتين : لا أدرى ، كل ما هنالك اننى أخمن .

ماجى : ومع هذا يبدو كلامك صحيحاً .

(تضحك) .

لا أستطيع أبدا أن أخمن هذه الأشياء ، لست أعرف السبب فى أنهم يبيعون أى شىء بنصف الثمن ...

(تضحك بعمق أكثر . يضحك) .

كان عندى فى واشنجتن حوالى عشر أوعشرين اسطوانة لكن صديقى مرض وكان على أن أسافر ، ومع هذا فربما لازالت الاسطوانات موجودة هناك .

كونتين : حسن ، إذا كنت لاتزالين تحتفظين بالشقة ...

ماجى : لست متأكدة من أنها كذلك ، فقد وصلنى خطاب منهم منذ شهرين ، من صاحب الملك ...

(صمت ، تفكر) .

يحسن بى أن أفتحه ، كان صاحبى يعيش فى شارع بارك .

كونتين : أوه ، هل تحسنت حالته ؟

ماجى : مات .

(تدمع عيناها) .

كونتين : (مرتبكا تماما) : متى حدث هذا ؟

ماجى : يوم الجمعة . ألا تذكر أنهم أغلقوا المكتب يومها ؟

كونتين : أتعنين ...

(مأخوذا) .

... القاضى كروز ؟

ماجى : أجل !

كونتين : أوه . لم أعرف أنك ...

(بدهشة) .

كان محاميا كبيراً ... وقاضيا كبيراً أيضاً .

ماجى (وهى تمسح الدموع) : كان فى غاية اللطف معى.

كونتين : لقد حضرت الجنازة ، ومع هذا لم أرك .

ماجى (وهى تغالب دموعها) : لم تسمح زوجته لى بالمجىء ، لكنى دخلت المستشفى قبل أن يموت ، وما أن فتحت باب غرفته حتى دفعتنى أسرته إلى الخارج و... سمعته ينادى :

ماجى . ماجى .

(صمت) .

وظلوا يحاولون اعطائى الف دولار . لكنى قلت لهم انى لاأريد شيئا ، وكل مافى الأمر انى أردت أن أودعه الوداع الأخير !

(تفتح كيسها وتخرج مظروفا من مظاريف المكتب وتفتحه) .

فى شىء من الاتساخ ، شايف ؟ من أثر قبره ، لقد أوصلنى إلى الخارج سائقه — الكساندر.

كونتين (ينظر إلى الاتساخ على وجهها) : هل ترك لك ثروة كبيرة ؟

ماجى : كلا ، لم يترك لى أى شىء .

(تعيد المظروف إلى مكانه وتغلق الكيس وتحملق) .

كونتين : هل كنت تحبينه كثيراً ؟

ماجى : كلا . لكنه كان لطيفا جداً . الحقيقة انى هجرته بالفعل مرتين.

كونتين : لماذا لم تهجريه كلية .

ماجى : لم يشأ أن أهجره .

كونتين : أوه .

(صمت) .

إذن ، ماذا ستفعلين الآن ؟

ماجى : أحب أن أحصل على هذه الاسطوانة إذا عرفت المكان الذى يبيعها بالخصم ...

كونتين : كلا ، أعنى بشكل عام .

ماجى : لماذا ؟ أتراهم يعتزمون فصلى الآن ؟

كونتين : أوه ،لا أدرى شيئا عن هذا .

ماجى : لست قلقة ، لكننى أستطيع دائما أن أعود إلى الشعر.

كونتين : إلى أين ؟

ماجى : كنت أعرض تسريحات الشعر.

(تضحك وترش شعرها برشاشة وهمية) .

فى المتاجر الكبيرة ذات الأقسام ، أتعرف ؟ كدت أظهر مرة فى التليفزيون .

(ترفع رأسها أسفل ذقنه) .

... وهذا يرجع إلى أن شعرى غزير جداً ، شايف ؟ ورثت شعرى عن أمى ، ليس خشنا ، أتلاحظ أن شعرى ليس خشنا ؟ معظم النساء شعرهن خشن ، خذ ، جسه ، جس كيف ..

(وقد رفعت يده إلى رأسها وفجأة تبعدها ...) .

أوه ، لا مؤاخذة .

كونتين : لابأس .

ماجى : ظننت أنك ربما تريد أن تجسه ، لاأكثر.

كونتين : فعلا .

ماجى : جسه ، أعنى افعل إذا شئت .

(تسند رأسها اليه مرة أخرى ، يلمس هامة رأسها) .

كونتين : انه ، ياه ، ناعم جدا .

ماجى (مزهوة) : ذات مرة انتقلت من يدى مساعد الحلاق إلى يدى عامل لف الشعر فى أقل من عشر دقائق .

كونتين : ماالذى جعلك تقلعين عن هذا ؟

ماجى : بدأوا يرسلوننى إلى المؤتمرات ، وغيرها ، والمفروض أن تعامل كل الناس ، والبقية معروفة كما تعلم .

كونتين : أوه ، أجل .

ماجى : هناك بعض الجوانب فى هذا العمل لم أكن أحبها بتاتا .

(لحظة طويلة ، يمر طالب وهو يطالع . يرفع عينيه عن كتابه وينظر اليها فى حياء ويستمر فى المطالعة . تضحك) .

أليسوا فتانين حين يرفعون عيونهم عن كتبهم وينظرون ؟..

(تستدير اليه وهى تضحك ، ينظر اليها بحرارة مبتسما) .

لاتؤاخذنى على أننى وضعت يدك على رأسى .

كونتين : أوه ، لابأس بهذا ... لست بذلك السوء .

(يضحك بنعومة محرجا) .

ماجى : لست سيئا .

كونتين : لست أعنى سيئا وإنما أعنى ... خجولا .

ماجى : ليس من السوء أن تكون خجولا .

(ترمقه بنظرة طويلة مستغرقة) .

أعنى لوكانت هذه هى طبيعتك .

كويتين : إذن ، أعتقد أننى كذلك .

(صمت. ينظر كل منهما إلى الآخر) .

أنت جميلة جداً يا ماجى ..

(تبتسم ، وتشد قامتها كأن كلماته نفذت إلى داخلها) .

وليتني أعرف كيف أجعلك تعتنين بنفسك .

ماجي : أوه ...

(تمسك بفتق ممزق فى ثوبها) .

حدث هذا القطع فى الأتوبيس هذا الصباح . سأصلحه فى البيت.

كونتين : لست أعنى هذا .

(تلتقى عيناها بعينيه مرة أخرى — تبدو طاهرة) .

لا يعنى هذا أننى انتقدك .. أنا لا أنتقدك بتاتا ، لا أوجه لك أدنى انتقاد ، أتفهمين ؟

(تومىء برأسها ، مستغرقة فى وجهه . يقف)

أنا مضطر إلى الانصراف الآن .

(تقف وهى تحدق فيه مستسلمة . يلمس هذا منها . تتحرك يده لكنها تكتفى بمصافحتها) .

بوسعك أن تبحثى عن محلات الاسطوانات فى دليل التليفونات.

ماجي : أظننى سأقوم بجولة فى الجنينة .

كونتين : لاتفعلى . فالظلام يرخى سدوله .

ماجي : لكنها جميلة فى الليل . لقد نمت فيها ذات ليلة حين كان الجو حارا فى غرفتى.

كونتين : إلهى ، لعلك لاتريدين أن تفعلى هذا ، فمعظم الحيوانات هنا ليست فى أقفاصها .

ماجى : لا بأس ، سأشترى اسطوانة إذن . لاتؤاخذنى إذاكنت أحرجتك بمسألة شعرى.

كونتين (يضحك) : لم تحرجينى . .

ماجى (تلمس ناصية شعرها) : لا أكثر من أنه ليس خشنا .

(ترفع فتقها الممزق) .

سأصلح هذا فى البيت.

(يومىء برأسه ، تسير إلى المتنزه ، بأعلى المسرح) .

لم أكن أقصد النوم هناك ، كل مافى الأمر أن النعاس غلبنى .

(يظهر رجلان يمران بكونتين ، يتباطأن وهما يمران بها ، ويتوقفان عند خط الضوء البعيد فى انتظارها) .

كونتين : أنا فاهم .

ماجى : طيب ... إلى اللقاء .

(تضحك) .

إذا لم يفصلونى !

كونتين : مع السلامة .

(تمر بالرجلين اللذين يسيران خلفها خطوة خطوة وهما يهمسان معا فى أذنها . لاتلتفت أوتجيب لكنها لاتبدى أية دهشة) .

كونتين (يهرول وراءها فى حزن) : ماجى !

(يمسك ذراعها ، يخلصها من الرجلين ، يخرج من جيبه ورقة مالية) .

خذى ، لماذا لاتستقلين تاكسيا ؟ على حسابى . امضى ، هذا تاكسى هناك ...

(يشير ويصفر) .

امضى ، اركبيه ! اركبيه ! .

ماجى (مستديرة إلى الخلف – فى عكس اتجاه الرجلين المنتظرين) : إلى أين ... إلى أين سأقول له أن يذهب ، لكن ... ؟

كونتين : لا أكثر من أن تتجولى فى الشارع الأربعين ، ستجدين هناك ما يكفيك .

ماجى : اتفقنا ، إلى اللقاء !

(وهى تستدير منصرفة) .

وأنت ... أتراك ستبقى كثيراً ؟

كونتين : لست أدرى

ماجى (متعجبة) : شىء جميل ، ما ألطف هذا !

(تهرع منصرفة . يقف وهو يتابعها بنظره . وبالمثل يراقب الرجلان التاكسى وهو يمر بهما ثم ينصرفان ، يسلط الضوء على لويز وهى تطالع جالسة على مقعد ، يسيركونتين الهوينا إلى داخل منطقة الضوء وهو يمسك حقيبة أوراقه خلف ظهره ويقف على مسافة بضع ياردات منها ويحدق فيها . تظل غير مدركة لوجوده وهى تطالع وتدخن) .

كونتين : أجل ، لها ساقان ونهدان وفم وعينان ، يا للروعة ، امرأة ملكى ،
يا لها من أعجوبة ، أن تكون فى بيتى أنا ...

(يسير اليها ، ينحنى ويقبلها ، تتطلع اليه مندهشة متحيرة) .
أهلا ...

(تظل تتطلع اليه وهى تدرك أن فى العالم ثمة منفذاً يشبه البحر) .
ما الحكاية ؟

(تظل لاتتكلم) .

حسن ، ما الحكاية ؟

لويز : لاشىء .

(تعود إلى كتابها ، يقف وهو يراقبها مذهولا خائب الأمل ،
ثم يفتح حقيبة أوراقه ويشرع فى إخراج بضع أوراق) .
اقفل الباب إذا كنت تنوى استخدام الآلة الكاتبة .

كونتين : أنا أفعل هذا دائما .

لويز : ليس دائما .

كونتين : دائما فى الغالب .

(يكاد يضحك ، يحس بالانطلاق ، لكنها لاتريد أن تتسلى ،
تعود مرة أخرى إلى كتابها يتجه إلى غرفة النوم ثم يتوقف) .
ما رأيك فى أن نتعشى بالخارج غدا ؟ قبل اجتماع الآباء ؟

لويز : أى اجتماع للآباء ؟

كونتين : مجلس أباء المدرسة .

لويز : كان موعده الليلة .

كونتين (مأخوذا) : صحيح ؟

لويز : بالطبع لقد عدت حالا .

كونتين : لماذا لم تذكريني حين اتصلت بك اليوم ؟

لويز : كنت تعرفه مثلما عرفته أنا .

كونتين : لكنك تعلمين أنني كثيراً ما أنسى هذه الأشياء .لقد أبلغتك انني كنت أريد التحدث إلى مدرسها .

لويز (بشيء من الحدة لا أكثر) : الناس يفعلون مايريدون ياكونتين .

كونتين : لكن يالويز ، لقدكنت أتحدث اليك فى الثالثة بعد ظهر اليوم .

لويز (بصيحة مليئة بالقرف) : لأنك قلت أنك مضطر إلى أن تعمل الليلة !

(تحدق فيه تحديقاً يحمل معنى ثم تعود إلى كتابها . يقف منزعجا)

كونتين : لم أعمل .

لويز : أعرف أنك لم تعمل .

كونتين (مندهشا) : كيف عرفت ؟

لويز : حسن ، لشيء واحد ، فقد اتصل بنا ماكس فى السابعة والنصف.

كونتين : ماكس ؟ بخصوص ماذا ؟

لويز : واضح أن اللجنة التنفيذية كلها كانت فى مكتبه فى انتظار مقابلتك الليلـــة .

(تتسلل يده إلى رأسه ، يبدو على وجهه انزعاج ظاهر) .

الواقع أنه اتصل بى ثلاث مرات .

كونتين (يهرع إلى التليفون ، يتوقف) : كيف يمكن أن يكون هذا ؟ هذا الأمر كله ؟

لويز : حسن ، لن يكونوا هناك الآن بالمرة .

(وهى تشير بيدها)

الساعة العاشرة والنصف.

كونتين : إلهى ، كيف أفعل هذا ؟ مارقم بيته ؟

لويز : الدليل فى غرفة النوم .

كونتين : كان المفروض أن نناقش موضوع قيامى بقضية لو . فديفريز لم يبق بالمدينة الليلة إلا لكى ... نسوى كل شىء ... وها أنا أذهب وأتمشى كأنما ... لاشىء ...

(يمسك عن الكلام . يرفع سماعة التليفون) .

ما رقم ماكس ، موراى هيل ٣ ... ماهو ؟

لويز : الدليل بجوار السرير .

كونتين : أتذكرينه ، موراى هيل ٣ ، شىء من هذا القبيل ؟

لويز : انه فى الدليل .

(صمت . ينظر اليها . متحيراً) .

(١) فى امريكا لا يكتفى بالرقم فى التليفون ولكن يضاف اليه اسم المكان او الضاحية التى يوجد فيها الرقم . (المترجم)

كونتين : ماذا تفعلين ؟

لويز : أقول أن الدليل فى غرفة النوم .

كونتين (يلقى السماعة بعنف ، ويستوى لديه الخوف والغضب ..) : لكن، ألا تذكرين رقمه ؟

لويز : لست أحفظ أرقام تليفوناتك ... بوسعك أن تتذكرها ، تماما مثلما أتذكرها .

(يهز كونتين رأسه ساخراً . يخرج..)

من فضلك ، لا تستعمل هذا التليفون حتى لاتوقظها من النوم .

كونتين (يستدير) : لم أكن أنوى الاتصال من هناك .

لويز : حسبت أنك تريد أن تكون على انفراد .

كونتين : ليس فى هذا أى انفراد ... فالأمر يخصك بقدر مايخصنى ، كالطعام الذى فى فمك والملابس التى عليك .

لويز : صحيح ؟ منذ متى فكرت فينا ؟

كونتين : كل ما أعرفه أن الاجتماع كان من أجل تقرير ما إذا كان على أن أنفصل عن المكتب حتى تنتهى قضية لو — أم أن استمر .

(يمضى كونتين إلى التليفون .. تقف وهى تنظر فى خوف متزايد..

يرفع السماعة ويدير خانة واحدة ... فى القرص ...) .

جدسون ٦ ...

لويز (على غير رغبة منها) : هذا هو الرقم القديم .

كونتين : ك ل ٥ — ٩١٧٨

لويز : لقد تغير .

(لحظة ، وأخيراً) .

٩٧٢ — ٥٥٥

كونتين (لاتواجهه . يحس ما يدور بفكره بمثابة النصر) : شكراً ...

(يبدأ مرة أخرى فى تحريك القرص ثم يضع السماعة . تجلس ، ولا تكاد تسمح للفشل يتسلل إلى داخلها) .

لا أدرى ما الذى أقوله له .

(لايحرك ساكنا) ..

كنا أعددنا العدة كى يعود الجميع بعد العشاء .. ونسيانى سيكون من قبيل البلاهة .

لويز : أغلب الظن انك كنت خائفاً ...

كونتين : لكننى سجلت طوال فترة بعد الظهر ملحوظات حول ماكنت سأقوله الليلة — غير معقول !

لويز (بطريقة تحمل أكثر من معنى) : أغلب الظن أنك لاتدرك مبلغ ما أنت عليه من خوف.

كونتين : أعتقد اننى لست كذلك ... لقد قال شيئا رهيبا الليلة — أقصد ماكس ... كان يحاول مناقشتى فى التخلى عن لو ، فقلت ، يجب أن نحرص على ألا نتخذ مسلكا جديداً لمجرد وجود حالة هيستريا فى البلد ، ظننت — أن ماقلته شيء عادى تماما لكنه — لم ينظر إلى أبداً بهذا المفهوم ، كأننا كنا نقف فجأة على جبلين بعيدين .

ثم قال : لاأعلم بأية هستيريا ... ولا فى هذا المكتب.

لويز (بلا ضغينة أوغل) : لكن ، لماذا يدهشك كل هذا ؟

كونتين (صمت طفيف) : لست أفهم بالضبط ماتهدفين اليه .

لويز : لا أكثر من أن هناك بعض المشاكل يجب أن تواجهها ... فأنت تميل إلى اصطناع أقارب من الناس ... إن ماكس ليس أباك أو أخاك أوأى شيء سوى أنه محام مهم جداً له اهتماماته الخاصة ... وهو لايعتزم أن يعرض مكتبه كله للخطر فى سبيل الدفاع عن شيوعى ... لست أدرى كيف جاءك هذا الوهم ...

كونتين : تعنين...

لويز : أعنى أنك لا تستطيع أن تحرز كل شيء فإذا أحسست هذا بقوة نحو لو ، فأغلب الظن أنك ستضطر إلى الاستقالة .

كونتين (صمت) : أتظنين أنه يجب على أن أستقيل ؟

لويز : هذا يعتمد على مدى اعزازك للو..

كونتين : أنا أحاول تحديد هذا ، لست أدرى على وجه التحقيق ، مارأيك ؟

لويز (فى حزن) : ليس الموضوع موضوعى ياكونتين.

كونتين (متحيراً ومندهشا) : ولكن ألست مشتركة ؟

لويز : بالطبع مشتركة .

كونتين : إنما ينتابنى الفضول لأن أعرف كيف ستتصرفين —

لويز : هل ينتابك الفضول لأن تعرف شيئا عنى ؟

كونتين : أوه .. خرجنا عن الموضوع ، أليس كذلك ؟

لويز (تومىء مؤكدة) : عليك أن تقرر ماتحسه نحو أى مخلوق بشرى معين وعندئذ قد تصل إلى قرار بشأن مشاعرك تجاه مخلوقات بشرية أخرى .

كونتين : بعبارة أخرى ... أقول : أين كنت أنا الليلة ؟ ..

لويز : لا يعنيني أين كنت الليلة .

كونتين (صمت) : جلست فى المتنزه فترة .. وهذا ما شغل تفكيرى .. أنا لا أنام مع نسوة أخريات ، لكن أظننى أتصرف كما لو كنت أنام بالفعل .

(تصغى ويلاحظ هو ذلك ، ينعشها الأمل)

لعلى استعدى شبهتك على نفسى كى – تنزلى عن المنصة ، كى تتوقفى عن الحكم على الآخرين حكماً كاملا ونهائياً .. لأننى أحكم بالفعل وبطريقة فظة قاسية أيضاً – حين تكون الحقيقة ممثلة فيما أنا عليه من ضياع وحيرة ... بل أننى أعجب إذا تركت لك ذلك كى تقرئيه .. عن تلك الفتاة .. كى .. تلحقى حكمك بالمحكوم عليه بطريقة أو بأخرى لتشرعى بطريقة ما فى أن تكونى حقيقية ... أبو سعك أن تفهمى هذا ؟

لويز : لكن ...

(تنبش كعبيها مداراة لتأثرها) .

لماذا يجب أن تكون محكوماً عليه إذا كنت لا تفعل أى شىء ؟

كونتين (بصعوبة مرة أخرى) : لكن ، ألا يحدث أن تحسى بالخجل من شىء فعلته فى الماضى ؟ بوسعك أن تفهمى هذا ، ألا تستطيعين ؟

لويز : أنا لا أفعل ما يسبب لى الخجل فى المستقبل .

كونتين (يندهش حينئذ ويتحرك غضبه) : صحيح ؟

لويز (تشرع فى النهوض) : أنا ذاهبة لأنام .

كونتين : يجب أن أصارحك يالويز بأن محادثاتنا ما أن تتعرض لك حتى تنتهى .... تقولين أنك تريدين الكلام .... لكن ألا يدور هذا الكلام حول أخطائى أنا فقط ؟

لويز : إصغ الآن هنا ... لقد كنت تعمل فى المكتب ... ليلة واحدة فى الأسبوع منذ الشتاء الماضى .. أنت لا تريد أن أسامحك ولكنك تريد نهاية هذا الزواج ... لكنك لا تملك الشجاعة لأن تقول هذا .

كونتين : ليكن ، إذن ...

(يسعى إلى صفاء الضمير مداراة لذنبه)

أظننى لن أخجل أيضاً ، فقد التقيت بفتاة الليلة ، عن طريق المصادفة ليس إلا ، واحدة من عاملات التليفون فى المكتب .

وأغلب الظن أنه يجب ألا أروى لك هذا أيضاً ، لكننى سأفعل .

(تجلس ثم يتحدث هو ببطء) :

فتاة قاصرة العقل غبية تماماً . تنام فى المتنزه ، رداؤها ممزق ، حكت بعض الأشياء السخيفة ، لكن شيئاً واحداً هزنى ، لم تكن تدافع عن أى شىء أو تؤيد أى شىء أو تتهم ، كانت تجلس مثل شجرة أو قطة .. وأحسست إلى جوارها أننى مجرد تجريداً غريباً ... ورأيت أن كلانا يقتل الآخر بالتجريد فأنا أدافع عن لو لأننى

أحبه ، لكن المجتمع يحول ذلك الحب إلى نوع من الخيانة ، إلى مايسمونه مشكلة ، وينتهى بى الأمر إلى أن أصبح مشبوهاً ومكروهاً .
لماذا لا نستطيع أن نتحدث تحت مستوى المشاكل ... بما لدينا من شك حقيقى ... لقد دخلت إحدى المشاكل الآن على التو ، وكانت بى رغبة هائلة فى أن أخرج منها إليك .. وأن تخرجى أنت إلى ... من العبث أن تكون هذه المدينة حافلة بأناس يهرولون ، لا لشىء إلا ليلتقى كل منهم بالآخر يا لويز ... هذه المدينة حافلة بالعشاق ...

لويز : وماذا قالت ؟

كونتين : أعتقد أنه يجب أن أخبرك بشىء عنها .

لويز : وما المانع ؟

كونتين : لويز ، لم أعد أدرى ماذا يقال وماذا لا يقال .

لويز (تومىء برأسها) : أنت لا تدرى مقدار ما تخفيه .

كونتين (بغضب) : لا بأس ، فلنكشف عن كل شىء ، فلعله كان من السهل أن أطارحها الغرام .

(يصعد الدم إلى وجه لويز .. وتتصلب) ..

لم أفعل لأننى فكرت فيك ، وبطريقة جديدة ... كأنما أنت امرأة غريبة لم تسنح لى الفرصة لأن أعرفها ... وكنت بمعجزة ما تنتظريننى ، فى بيتى ... ودخلت هذه الغرفة ، يا لويز ، وأنا مفعم بالحب ...

لويز : ماذا تريد ، تهانى ؟ أتتوقع منى أن أجلس هنا واستمتع بآخر غزوة من غزواتك ؟ أتظننى مريضة بالسحاق ؟

كونتين (وقد أفحم) : ما علاقة المريضة بالسحاق ب.... ؟

لويز : سل صديقتك ذات الرداء المقطوع .. هل تتصور امرأة فاضلة تضاجع أى رجل تصادفه ؟ أو أن يضاجع رجل فاضل كل امرأة تتصيده ؟ خصوصاً إذا كانت عاهرة ، وواضح أنها كذلك ؟

كونتين : كيف تعرفين أنها ...

لويز (تضحك) : أوه ، لا تؤاخذنى ، لم أقصد أن أسبها .. أنت لا تصدق .. افترض أننى أتيت إلى البيت وأبلغتك أننى التقيت برجل ... رجل فى الشارع أردت أن أضاجعه ...

(يرفع رأسه مهزوماً) .

لأنه جعل المدينة تبدو حافلة بالعشاق .. ماذا يكون شعورك ؟ أتراك تطرب فرحاً لاكتشافى ؟

كونتين (صمت ، مأخوذاً) : فاهم .. أنا آسف .. أعتقد أن هذا سيغضبنى أيضاً ...

(صمت طفيف)

لكننى أعتقد أننى سأرى أنك ناضلت ... ولعلى أسأل نفسى — بل لعلى سأكون شجاعاً بالقدر الذى يجعلنى أسألك — كيف منيت بالفشل معك ؟

لويز : حسن ، لقد نبهتنى ، فهمت ما ترمى إليه .

(تهم بالانصراف)

كونتين : لويز ، ألا تشكين فى نفسك أبداً ؟

(تتباطأ ، لكنها تستدير) .

هل يكفى أن يقيم المرء الدليل على قضية ، بل أن يكسبها ... ؟

(ينادى)

متى تحين ساعتنا ؟

لويز (تستدير وهى متمالكه نفسها تماماً) : لم تحن ساعتى بعد .. لست أنا التى أرادت أن تجهز على علاقتنا الزوجية .. هذا هو كل ما فى الموضوع ...كل ما كان يختص بالسنوات الثلاث الأخيرة ... أنت لا تريدنى !

(تنصرف)

كونتين : رباه ! أيمكن أن يكون هذا صحيحاً ؟

(يدخل ميكى مرتدياً بنطلوناً صيفياً كالذى كان يرتديه فى المشهد الذى ظهر فيه)

ميكى : هناك شىء لا سواه بوسعى أن أؤكده لك يا فتى – لا تكن مذنباً أبداً .

كونتين : أجل !

(يشد قامته ملتمساً القوة)

أجل !

(لكن ايمانه يهتز . يستدير ناحية الرؤية)

لكن لو أنك أحسست بمزيد من الذنب فلعلك كنت لا تحس ...

(تهرول الزى إلى منطقة الضوء هذه كما سلف ورداؤها مفتوح يظهر لباس البحر الضيق الذى ترتديه)

الزى : انه عبيط من الناحية الأخلاقية .

كونتين : أجل هذا صحيح ، ولكن ....

(يستدير ويواجهها فتضم رداءها شيئاً فشيئاً بينما هو يحدق فيها — بطريقة تخفى خيانتها ثم تنصرف وميكى) .

ماذا تعنين بالناحية الأخلاقية بحق الجحيم ؟ مامعنى هذا بالضبط ؟ ومن أكون أنا حتى أسأل هذا السؤال ؟ يجب على الرجل أن يعرف ... الرجل الفاضل يعرف هذا مثلما يعرف وجهه هو !

(تدخل لويز بملاءة ووسادة تلقى بهما فى المقعد)

لويز : لا أريد أن أنام معك .

كونتين : بحق الله ، يا لويز !

لويز : أنت مقرف !

كونتين : لكن « بيتى » فى الصباح سوف ترى ...

لويز : كان يجب أن تفكر فى هذا من قبل ..

(جرس التليفون يدق .. لا يبدى أية حركة للرد)

هل أعطيته هذا الرقم ؟

(يستدير كونتين ناحية المستمع)

هل أعطيته هذا الرقم ؟

(تخطو إلى التليفون وترفع السماعة) .

هاللو ... أوه ، نعم .. موجود .... لحظة من فضلك ..

(اليه)

انه ماكس .

(يقف لحظة وهو يتحسس البياضات ثم ينظر إليها .. ويتناول البياضات ويناولها إياها)

كونتين : لا أستطيع أن أنام هنا فى الخارج ، لا أريدها أن ترى ...

(لكنها تترك البياضات تسقط على الأرض .. يمضى إلى التليفون بنظرة كراهية) .

ماكس ؟ أنا آسف .. كل ماهنالك أن الموضوع ، أظن أننى ...

(صمت)

الراديو ؟ كلا ، لماذا ؟ ... ماذا ؟ متى ؟

(صمت طويل)

شكراً .. لابلاغى .. نعم . كان .. طابت ليلتك .. نعم أراك فى الصباح ...

(صمت .. ويقف محدقاً ..)

لويز : ما الحكاية ؟

كونتين : لو . صرعه قطار تحت الأرض الليلة .

لويز : كيف ؟

كونتين : لا يدرى أحد . يقولون : « سقط أو قفز » .

لويز : لا يمكن أن يكون قد قفز .. لابد أن الزحام دفعه ...

كونتين : ليس هناك زحام فى الثامنة ... كان ذلك فى الساعة الثامنة .

لويز : لكن لماذا ؟ .. لو كان يعرف نفسه ... كان يعرف أين يضع قدمه .. مستحيل ..

كونتين (محملقاً) : حين رأيته فى الأسبوع الماضى قال لى شيئاً رهيباً .. حاولت ألا أسمعه .

لويز : ماذا ؟

كونتين : قال أننى صرت صديقه الوحيد .

لويز (بصدق) : لماذا ترى فى هذا شيئاً رهيباً ؟

كونتين (متهرباً ، ثم يقول بمكر تقريباً) : حدث هذا . لا أكثر .
(يشرع فى التحرك)
لا أدرى السبب .
(يصل إلى حافة المسرح ، تترقرق عيناه بالدموع)
لم أجرؤ على أن أعرف السبب .. لكنى أجرؤ الآن ، فقد كان شيئاً رهيباً ، لأننى لم أكن أنا الآخر صديقه ، وكان هو يعرف هذا . كان يجب أن أقف إلى جانبه فى القضية ، لكنى كنت أكره ما فيها من خطر على نفسى ، وكان هو يستشف ما وراء إخلاصى ، لم يكن يقول لى أى نوع من الأصدقاء أنا ، وكان يضرع من أجل أن أكون صديقه — كان يقول : أرجوك أن تكون صديقى يا كونتين ... « أنا أغرق ، ألق إلى بحبل .. » لأننى كنت أريد أن أتنصل وأن أعود مواطناً أمريكياً صالحاً ونظيفاً من جديد وقد لمس هو ذلك ، ودلل عليه بالفرح ... الفرح ... الفرح الذى أحسست به الآن بعد أن زال الخطر الذى يتهددنى على قضبان قطار المترو ... لهذا ليس الأمر غريباً بالنسبة لى ...

(يتوهج البرج بالحياة ، ويسير وهو يتطلع بعينيه . تظهر هوبلحا بالزهور)

فى رأيى أن هذا ليس شذوذاً فى الطبيعة البشرية .. فبوسعى بسهولة أن أرى المقاولين العاديين للغاية والسيجار بين شفاههم وكذلك أرى النجارين والسباكين جالسين مستريحين فوق الأوعية التى يضعون فيها طعام الغذاء ، بوسعى أن أراهم يمدون الأنابيب كى تصرف الدم خارج هذا القصر ... الصالحون والأبناء البررة يتنفسون الصعداء لأن شخصاً سواهم سوف يموت وليسوا هم ... وكيف يستطيع المرء أن يفهم هذا إذا كان بريئاً .. إذا لم يكن فى مكان ما من الروح أى شريك فى الجريمة ؟ ....

(يختفى البرج ، وهوبلحا كذلك ، تتألق لويز فى الضوء حيث كانت تقف من قبل)

هذا الفرح ، هذا الفرح الذى يتحقق حين يموت عبء من الأعباء ..

(يتحرك عائداً إلى داخل الحجرة)

ويتركك فى أمان !

(تتناهى إلى الاسماع أنفاس ماجى)

ماجى : كونتين ؟

(يخرج من الحجرة متألماً ، ، ويتوقف عند أحد جوانب البياضات والوسادة الملقاة على الأرض — تكون لويز فى الجانب الآخر ، ينظر إلى الكومة)

كونتين : يجب أن أنام ، أنا متعب جداً ...

(ينحني لجمع البياضات ، تمر ثانية تبدأ هي بعدها في جمع البياضات ، وبينما هو لا يزال منحنياً كي يرفعها ..)

لويز (بصعوبة كبيرة) : كنت دائماً أفخر بأنك توليت قضية لو ...

(يكاد يومىء برأسه ... منتظراً)

كانت خطوة ...

(ترفع الوسادة)

جريئة ...

(تقف هنالك بالوسادة دون أن تنظر إليه تماماً)

كونتين : يسرني أن يكون هذا إحساسك ...

(لكنه لا يتحرك . تمر الثوانى ، لا تستطيع هذه أو تلك أن تزحزح حاجته إلى التبرير أو التأييد)

(يقول بصعوبة)

وأنك أبلغتنى . شكراً ....

لويز : أنت صادق ، إذن ، لقد أبلغتك هذا مراراً وتكراراً .

كونتين : مؤخراً . ؟

لويز (تشمخ برأسها ، تناوله الوسادة) : طابت ليلتك .

(يتناول الوسادة ، تنصرف ويحس عدم الرغبة التى تنصرف بها)

كونتين : لويز ، لو كان هناك شيء واحد حاولت أن أفعله ، فهو أن أكون صادقاً معك .

لويز : كلا ، لقد كنت تحاول أن ترتب الأمور لا أكثر — كى تبقى نيران البيت مشتعلة وترى العالم فى نفس الوقت من خلالها .

كونتين : لهذا فكل ما فى خداع ولؤم .

لويز : ليس كله ، لكن معظمه ...

كونتين : ألا يوجد نضال ؟ ألا يوجد ألم ؟ ألا يوجد نضال لإيجاد طريقة للعودة إليك ؟

لويز : ليس هذا هو النضال .

كونتين : إذن ما الذى تفعلينه هنا ؟ ما الذى تورطين نفسك من أجله بحق الجحيم ؟ لو أنك صادقة هذا الصدق المريع ؟

(يشرع فى تحريك قبضة يد مضمومة خائبة — وهو على خط الضوء ناحيتها وتتراجع هى إلى الخلف مبتعدة ، مذعورة متحفزة بطريقة غريبة ، تنتبه نظرتها إلى العنف المكظوم ، وهى مشدودة القامة للغاية ومع هذا فهى متهيئة للفرار)

لويز : لقد كنت أنتظر بدء النضال ..

(يخرس مأخوذاً ، نتيجة حسن نيتها وصلابتها ، ترمقه بنظرة مباشرة ثم تستدير وتنصرف)

كونتين (وحيداً ، يخاطب نفسه) : أيمكن أن يوجد أكثر من هذا ؟ أيمكن أن يوجد أسوأ منه ؟

(مستديراً إلى المستمع)

اسمع ، هذا هو مالا أصدقه طوال ثلاث سنوات أخرى ، ما الذى توقعته لا نقاذنا ؟ فجأة ، يعلم الله السبب ، تمد يدها

وأمد يدى ، وأضحك ، أضحك لكل شىء بلا توقف ، أضحك لكل شىء متذكراً وجهها الحبيب المخلص وهو يتطلع إلى وجهى ...

(يمسك عن الكلام ، وهو يحدق)

فأذكر بسمة مخبوءة متكررة تنجي وتنقذ ، ولعل هذا هو السبب فى قدومى ، فأنا لازلت أومن بأننا فى قرارة نفسينا صديقين حميمين للغاية ، لا أستطيع أن أومن بهذا العالم ، فكل هذه الكراهية ليست حقيقية بالنسبة لى ....

(يستدير إلى حجرة جلوسه والبياضات)

أفترش الأرض مثل كلب فى حجرة جلوسى ، كيف يمكن أن يكون لهذا ضرورة ؟ إذن ، ادخل عليها ، افتح قلبك ، اعترف بنجاستك ، بسر النساء ، قل كل ما عندك ، فالصدق لابد أن ينجى ...

(يتحرك إلى حيث خرجت ، ثم يتوقف)

لكنى فعلت هذا ، فهل يكون الصدق ، فوق هذا وذاك ، قاتلا ؟ الصدق قتل وحطم ميكى ، إذن ماذا بقى هناك ؟ أكذوبة تحاك حبائلها ؟ توجد خطيئة واحدة ، هى أن تدمر ما لديك من قدرة على التصديق ، ان القوة تأتى اما من ضمير حى أو من ضمير ميت ورؤيتك للشر الكامن فى نفسك قوة وسلطان ، وصواب أيضاً ، إذن ، اقتل الضمير ، اقتله .

(يرمى المكان الذى خرجت منه بنظرة)

إعرف كل شيء ، ولا تعترف بشيء ، احلق ذقنك جيداً ، تذكر أعياد الميلاد ، افتح أبواب السيارة للنساء ، لا تلاحق لويز بالصدق ولكن لاحقها بالاهتمام .. كن متشككاً فيما يخصك من وقت ، أما فى الفراش فكن مستبداً ، وبهذا تكون رجلا .. وتلحق بركب العالم ...

(يقذف بالملاءة مفتوحة على الأريكة بعناية ثم يتوقف)

وفى الصباح يستقر خنجر فى قلب هذه الأبنة الصغيرة الحبيبة ...

(بازدراء ناحية المكان الذى خرجت منه لويز)

الداعرة ....

(يجلس)

سوف أقول أننى مصاب بنزلة برد ، لم أكن أريد أن أنقل عدواها إلى أمك .

(باشمئزاز)

أف ف ف ف ....

(يعطس ، يحاول أن يتحدث من أنفه)

أصابتنى نزلة برد فى أنفى ، أيتها الصغيرة ....

(يئن ، صمت ، يحدق مجمداً ، يسمع صوت طائرة نفاثة ، يظهر حمال من حمالى المطار ، يفرغ حقيبتين من عربة متحركة بينما تظهر هوبلحا فى ثياب السفر وهى تفتح كيسها وتنفحه بقشيشاً ، وحينئذ تتلفت باحثة عن كونتين ، ينظر فى ساعته وينزل إلى المقعد)

الساعة السادسة ، أيها الصعلوك المتسكع ....

(ينظر عندئذ إلى هوبلجا التى لا تزال تبحث عنه كما لو كان وسط زحام ، ويتحدث إلى المستمع)

هذا يرجع الى ان الدليل على الوعود دليل سىء ، لكن كيف تتعامل مع العالم دون وعد ؟ ومع هذا يجب الا انسى الطريقة التى استيقظ بها ، فأنا افتح عينى كل صباح مثل صبى حتى الآن ، حتى الآن .. اعرف ان هذا يستوى فى الصدق مع أى شيء ، لكن اين الدليل ؟ أو تراه مجرد ان قلبى لم يزل يخفق ؟ .. يقينا ، امضى ، اما أنا فسوف انتظر .

(يبتسم ويجلس وهو يتابع بعينيه المستمع المنصرف ، يتحرك ضوء بأعلى المسرح ويختفى . يتحدث الى اعلا المسرح) .

الا يضيرك مكوثى ؟ حسن ، أنا لا أحب أن أسوى هذا .. رغم أننى بالفعل .... (يضحك)

ماجئت الا لأحييك .... هاللو .

(يستدير فى مواجهة الجمهور ، يختفى ضوء المستمع ، ويصبح عندئذ وحيدا ، يحدق فى الفضاء ويبدو عليه نوع مختلف من الراحة ، يتناهى الى الاسماع الشهيق فى الظلام الذى يعلو المستوى العلوى للمسرح ، ويظهر الضوء ماجى بطريقة غير واضحة وظهرها للجمهور ، وهى جالسة فى السرير)

ماجى : كونتين ؟ .. كونتين ؟

كونتين (فى ألم) : سأبدأ الحكاية ، ياعزيزتى ....

(يعمص عينيه)

سأبدأ الحكاية ...

(يقف ، ويتحرك بغير هدف كأنه يتجول فى غرفة ، يضع سيجارة فى فمه ويشعل شررا من ولاعته بينما الظلام يغمره)

الفصل الثاني

(المسرح مظلم ، يظهر قبس من النور ، وتضىء شعلة ، حين ينير المسرح يظهر كونتين وهو يشعل سيجارته ، لم ينقض وقت ، لازال ينتظر عودة المستمع ، ويسير بضع خطوات مستغرقا فى التفكير وبينما هو كذلك يتناهى الى الاسماع صوت طائرة نفاثة وصوت مذيع المطار المبتور الأجش يقول « ... من فرانكفورت تفرغ حمولتها الآن عند البوابة التاسعة ، الرجا من المسافرين ... » ثم يغدو صوته طبيعيا فيه طلاقة المتحدث ، وفى ذات اللحظة تظهر هولجا فى هندام حسن ، وهى تصعد الى المستوى العلوى للمسرح ومعها احد حمالى المطار الذى يترك حقائبها وينصرف . وتتلف حولها كانها فى زحام ، وما ان يقع بصرها على « كونتين » حتى تقف على اطراف اصابعها وتلوح بيدها) .

هولجا : كونتين ! أنا هنا ! أنا هنا !

(تفتح ذراعيها بينما هو يقترب بوضوح)

هاللو !

تختفى لحظة أن تندفع لويز من نقطة أخرى ؛ وشعرها محلى بشريط ويتدلى من عنقها كمامة مما يستخدم فى الجراحة ، وعليها معطف معمل مفتوح مما يستخدمه الفنيون ، يظهر من تحته زى الحلقة الثالثة المكون من «سويتر» و«جيب» طويلة ، وما أن «تراه» حتى تقول ...)

لويز : هالاو ! لقد أجتزت السنة النهائية حالا ! حصلت على الامتياز بهذا البحث الذى كتبته لى ! نعم ، البحث الذى يدور حول روزفلت ، معى ماجستير !

(تضحك)

أتعرف ما قاله هاليداى ! قال أن أسلوبى تحسن بدرجة مدهشة !

(يضحك ، وعندئذ تسير معه)

لو لم يكن هذا الزى يستخدم فى مسح الأرض ، لحسبتك فيه طبيبة امتياز ، انك تبدين أنيقة فى الملابس البيضاء .

(تنظر فى الأرض)

أوه ! اذن — متى نسافر ؟ كلا أنا مسرورة ، كنت أسمع دائما أن لائحة جامعة كولومبيا هى أحسن لائحة .

(بحياء)

الواقع بوسعى أن أشتغل فى أحد معامل نيويورك ، ستكون المعيشة أرخص لو أننى عشت مع أهلى ... حسن ، وعندئذ أتطلع إلى شىء آخر ... على أية حال ، المشتغلون بالبكتريولوجيا أكثر من الهوام فى هذه الايام ...

(بفزع وحياء)

هذا ما لم تكن تريدنى أن أذهب إلى هناك ...

(يتهلل وجهها فجأة بابتسامة كلها وله)

ليكن ! أتريد أن تحتسى البيرة فيما بعد ؟ معى نقود ، بعت على التو جميع محاضراتى ، أوب !

(تقف فجأة وهى تنظر إلى الأرض)

متأسفة ، نسيت أنها مبتلة ، الى اللقاء .

(تلوح بيدها فى سعادة ثم تتخذ طريقها على أطراف أصابعها فوق أرض مبتلة ، وتغيب فى الظلام بينما يتحرك ضوء على الأرض بأسفل المسرح ، ويستدير كونتين ناحية المستمع العائد ، ويبتسم)

كونتين : أوه ، لا بأس بهذا ، لم يضايقنى الانتظار ، كم من الزمن أمامى ؟ (ينظر فى ساعته ، وهو ينزل متجها إلى المقعد ، تظهر ماجى إلى أعلى ، فى ثوب زفاف من الدانتيل ، بينما لو كاس ، أحد مصممى الازياء ، راكع يقوم بانهاء الثنية الاخيرة وعلى مقربة تقف كارى ، وهى خادمة زنجية ، ممسكة بقفاز ، أما ماجى فمتوترة الأعصاب كأنها تنظر فى مرآة خوفا من الشيخوخة . يجلس كونتين فى المقعد وحينئذ يتطلع إلى الأمام كى يتكلم ...)

أنا ، آه ...

(ينهض لو كاس ويمضى بسرعة بينما ...)

ماجى (فى حالة نشوة يمتزج فيها الخوف بالأمل) : لا بأس ، يا كارى قولى له أن يدخل !

(كأنها تجرب الكلمات ذات الزوايا الحادة)

... زوجى !

كارى (وهى تسير بضع خطوات إلى نقطة ما ، ثم تتوقف) : بوسعك أن تقابلها الآن ، يا سيد كونتين .

(يختفيان ، يتابع حديثه إلى المستمع)

كونتين : أعتقد أننى أستطيع أن أكون أوضح الآن ، لن يستغرق الامر

طويلا ، فالذى يحيرنى هو موت الحب ، ومسئوليتى تجاهه .

(تظهر هولجا مرة أخرى باحثة عنه فى المطار)

هذه المرأة تقف فى صفى ، لا أشك فى هذا ، ولا أريد أن أعيش حتى أواجه اتهاما آخر منها ...

(يقف ، مضطربا)

إنى اتساءل فجأة : لماذا أجازف بهذا مرة أخرى ، اللهم الا ...

(صمت طفيف ، يتجمد فى مكانه)

هل أحسست يوما أنك رأيت نفسك على حقيقتها ؟ لعلى حلمت بهذا ، لكنى أقسم ، أننى أحس به فى مكان ما من الخط الذى أقف عليه مع ماجى — أعتقد أننى شاهدت حياتى فى غمضة عين ، شاهدت ما فعلته ، وما فعله الآخرون معى ، بل وما كان يجب أن أفعله ، هذه الرؤيا تقف أحيانا خلف رأسى عمياء غير واضحة كالقمر فى الصباح ، ولو أننى استطعت فقط أن أسمح بدخول بعض الظلام اللازم لأشرقت من جديد ، أعتقد أن هذه المسألة لها علاقة بالقوة ...

(تظهر فيليس على وشك أن تزيل الضمادة)

لعل هذا هو السبب فى أنها ترسخ فى ذهنى ، فهى تجلب شيئا من الظلام ، شيئا من عنصر القوة الرهيب .

(يدور حولها ، محدقا)

... حسن ، هذه هى القوة ، أليس كذلك ؟ أن أؤثر فى فتاة فتغير أنفها وحياتها ؟ ... إنها تفعل ، أجل ، إنها تخيفنى ، وأدعو الله أن ...

فيليس : (رافعة ذراعيها) : سأباركك دائما .

كونتين : ... تكف عن أن تباركني .

(يضحك باضطراب ، مندهشا لقوة خوفه)

حسن ، أزعم هذا لأن في الأمر غشا وزيفا ، وأنا لم أوت مثل هذه القوة .

(تظهر ماجي فجأة في فراش من الحرير الناعم الأملس «الساتان» وهي تتحدث في تليفون)

ماجي (بوله متهيب) : ألو ؟ هل ... كيف عرفت صوتي ؟

(تضحك)

أتذكرني حقا ؟ ... ماجي ؟ في الجنينة ذلك اليوم ؟ طيب ، لقد مضى على ذلك أربع سنوات تقريبا ، ولهذا فأنا ...

(يبتعد عنها ، تواصل الكلام غير المسموع)

كونتين (متوقفا بالقرب من المقعد ، وينظر إلى نقطة تظهر فيها فيليس مرة أخرى ، رافعة ذراعيها تباركه ثم تختفي في الحال ، ويقول للمستمع) : إني أرى ، أجل ، أرى وجه الشبه .

(تتناهى إلى الاسماع ضحكة حين تظهر هولجا جالسة إلى مائدة بمقهى ، والى جوارها مقعد خال)

هولجا : تعجبني طريقتك في الأكل ! تأكل كالباشوات ، كالدوقات العظام !

كونتين (ينظر ناحيتها ، ويخاطب المستمع) : أجل ، معبود مرة أخرى ، لكن ... هناك شيء مختلف هنا ...

(يتحرك نحو هولجا قائلا للمستمع :)

الآن خانى فى موضوعى ، كنت أتحدث عن القوة ...
(ما أن يتكلم عندئذ حتى يتغير مظهر هوبلجا ، فتغدو متقلبة المزاج ، ولا تواجهه ، وتبدو متألمة ، ويجلس هو إلى جوارها ثم يخاطب المستمع :)
كنا ذات أصيل بمقهى فى سالزبورج ، وفجأة ، لا أدرى لماذا ـ بدا كل شىء بيننا يموت ، ثم رأيت كل هذا يحدث مرة أخرى ، أتعرف اللحظة التى تجد نفسك فيها تتكلم بيأس عن فن المعمار ؟

هوبلجا : تأسست عام ١٥٣٥ ، صممها البطريرك بنفسه . (١)

كونتين : جميلة !

هوبلجا (بشرود) : نعم .

كونتين : (يستدير اليها فجأة بعد أن يستجمع شجاعته) : هوبلجا ، لاحظت أن وسادتك كانت مبللة هذا الصباح بالدموع ...

هوبلجا : الواقع أن بكائى لم يكن على شىء ذى قيمة .

كونتين : ليست هناك دموع بلا قيمة ...
(يتناول يدها ، يبتسم)
أعرف هذا الحد على أية حال ، مالم يكن يعنينى ، أتبكين على معسكر الاعتقال ؟
(تمسح عينيها ، غير سعيدة مع نفسها)
حتى فى أثناء النهار تترقرق عيناك بالدموع أحيانا ...

هوبلجا : أحس أحيانا ...

---

(١) كلامها يعنى انها تتحدث عن كنيسة . (المترجم)

(تتوقف ثم :)

... أنني أضايقك .

(تظهر لويز)

لويز : لست تافهة إلى هذا الحد يا كونتين .

(تختفي لويز)

هوبلجا : أظن حقا أننا ربما كنا نلتقى أكثر من اللازم .

كونتين : فيما عدا أن علاقتنا لم يمض عليها أكثر من بضعة أسابيع .

هوبلجا : لكن لعلى لا أكون على هذا القدر من الجاذبية .

كونتين (يحدق فيها ، وهو يحاول أن يربط هذا برؤياه المفقودة ، وبهذا المزاج يستدير إلى المستمع) : موضوعنا هو القوة ، لكنى فقدت القدرة على الربط بين هذا وذاك ...

(تظهر لويز وهى تمشط شعرها بفرشاة)

... أجل !

(ينهض واقفا ويحاصر لويز)

أصارحك أنها فى بعض الاحيان كانت تنظر فى المرآة فأكتشف أنها لم تكن تعجب بوجهها ، وكنت أريد أن أقف بينها وبين ما تراه ، لقد أحسست بالذنب حتى بالنسبة لوجهها ، ولكن فى ذلك اليوم ...

(يعود إلى مائدة المقهى ويجلس ببطء)

ظهر تصريح جديد ... يقضى بألا يلوم كل منا الآخر ، فجأة انعدم اللوم بالمرة ، فيما عدا ما يتصل ... بأننا ، نحن الاثنين نستحق ... تعاستنا .

هولجا : ليتك تصدقني يا كونتين ، لست مضطرا لأى شيء هنا .

كونتين : هولجا ، من الممكن أن أذهب ، لكن الحقيقة هى أننى أرى الامر بوضوح تام . فنى بعض الاحيان أحس بأنه يجب أن أذهب لا إلى أى شيء ، ولا بعيدا عنك ... لكن الذهاب فى حد ذاته فيه حرية ...

(تظهر الأم ، وترفع ذراعها)

الأم : حبيبي ، إن العظماء لا يعرفون الغم أبدا ، فحين أحسست بك تتحرك فى أحشائى للمرة الأولى كنت واقفة على الشاطىء فى روكا واى ...

(يكون كونتين قد نهض من المقعد . يتجه ناحيتها)

كونتين : لكن القوة .... أين ال ... ؟

الأم : فشاهدت نجما راح يسطع ، ويسطع ، وفجأة هوى كأن رجلا عظيما مات وكانوا قد جذبوك من داخلى لتأخذ مكانه ، وتكون نوراً ، نوراً يضيء الدنيا !

كونتين (إلى المستمع) : لماذا يكون فى هذا ... جو من الخديعة ؟

الأب (وهو يظهر فجأة ، يخاطب الأم) : عم تتحدثين بحق الجحيم ؟ لقد بدأنا فى عمل من جديد ، وأنا أحتاجه !

(يستدير كونتين برغبة من واحد إلى الآخر وهما يتناقشان)

الأم : لديك دان ، أما هو فلست فى حاجة إليه ، انه يسعى ليجد وظيفة ، أو ليلتحق بالجامعة ، ربما ...

الأب : لديه وظيفة !

الأم : هو يعنى وظيفة بمرتب ! لست أريد أن تنقضى عندك سنوات شبابه ... انه يريد الاستمتاع بحياته !

الأب (وهويشير إلى دان) : ولم يريد أن يستمتع بحياته ؟

الأم : لأنه مختلف !

أيك : بل لأنه يعرف الصواب !
(وهو يشير إلى الأم وكونتين معاً)
الطيور على أشكالها تقع (١) ، يا للعجب مما « تريدون » ! ، بحق المسيح لقد كنت أعول ستة أشخاص حين كنت فى سنه !
(يتجه إلى كونتين)
ماذا أنت ؟ أغريب أنت ؟ ماذا تظن نفسك ؟

كونتين . (يحدق فيما اعترى وجه أبيه من تحول) : أجل ، كنت أحس بقوة فى الذهاب ... وخيانة فيه ... لأن فيه الفشل وأنا لا أحب الفشل ...

دان : لا ، يا فتى ، لا تحس هذا الاحساس ، كل ما أريده هو أن أراه كبيراً مرة أخرى ، أما أنت فاذهب وأنا سأعود إلى الدراسة إذا انصلحت الأحوال .

كونتين (محدقاً فى دان) : أجل ،الصالحون يبقون ... حتى ولو ماتوا حيث كانوا ....

دان (مشيراً إلى كتاب فى يده) : هذا ديوانى الذى يضم أشعار

---

(١) نص المثل : You are two of a kind ومعناه حرفيا : « كلاكما من جنس واحد » وقد جاء للدلالة على تشابه الأم وابنها كونتين ، لكننى فضلت ترجمته بالمثل العربى المقابل . (المترجم)

بايرون ، سأضعه فى حقيبتك ، وقد وضعت ياقات الزى الجامعى ، لا تغسلها فى ماء ساخن ، وتذكر يا فتى أينما كنت ...
(يقفز دان إلى منصة وهو ينادى ، يسمع صوت قطار يمر)
أينما كنت ، تسندك هذه الأسرة ... إذن هدىء من روعك الآن ...
سوف أبعث لك بعدد من الكتب لتقرأها ...

ماجى (وهى تظهر فجأة على سريرها ، وتخاطب فضاء خالياً عند قدميها) : لكن هل لى أن أقرأها !

كونتين (يدور حول نفسه بدهشة عاجلة) : هه !
(يكون الجميع قد غيبهم الظلام عداه وماجى)

ماجى : أقصد ، أى نوع من الكتب أقرأ ؟ لأنى ، اسمع ، فى الحقيقة أنا لم أتخرج من مدرسة عالية ، مع أن أستاذ علم الاجتماع كان يحبنى ولذا كان يكلفنى بكتابة التقارير عما يجرى فى الفصل .
الا أننى لم أكن أعرف معنى كتابة التقارير !
(تضحك)
ومع هذا ، أحب الشعر .

كونتين (يكف عن التحديق فيها وينزل إلى المستمع) : المشكلة أننى لا أجد نفسى فى هذا الغرور بتاتاً ، فالأمر كله يستحق الاحتقار .

ماجى (تعتدل فى جلستها على السرير) : أكاد لا أصدق أنك أتيت ، أيمكنك البقاء خمس دقائق ؟ أنا الآن مضطربة ، فاهم ؟ الحقيقة ...
(تضحك بسخرية من نفسها) .
أنا واحدة من أحسن ثلاث مطربات وقد ظللت لزمن طويل أرغب

فى أن أقول لك أن .... هذا ما كان ليحدث لولم ألتق بك فى ذلك اليوم .

كونتين : أجل ، انى أرى القوة التى عرضتها على ، ولكنى رأيت ما وراء هذا مرة فإذا فيه خلاص ... ليكن ...

(يلتفت إليها)

سأحاول .

ماجى : متأسفة إذا كان صوتى فى التليفون نم عن فزعى ، أعتقد أنك ستكون فى المكتب بعد منتصف الليل .

(تضحك من نفسها بعصبية)

إنما تظاهرت بالاتصال بك .... فاهم ؟ أيمكنك أن تبقى خمس دقائق أو أشبه ؟

كونتين (وهو موليها ظهره فى المقعد) : بالتأكيد ، لا تتعجلى .

ماجى : هذا ما أعنيه ، فأنت تعرف أننى أتعجل ! هل لك فى كأس ؟ أو شريحة من اللحم ؟ ... لديهم ثلاجتان هنا ، وقد ذهب وكيلى إلى جامايكا ، لهذا أبقى هنا هذا الأسبوع إلى أن أذهب إلى لندن يوم الجمعة ، سأغنى فى البلاد يوم ، الذى يشبه مسرحاً كبيراً للفود فيل ، يبدو أنها حفلة تكريم ، لكننى خائفة بعض الشىء من الذهاب .

كونتين : لماذا ؟ لقد سمعتك تغنين ، أنت رائعة ، خصوصاً فى أغنية ...

(لا يستطيع أن يتذكر اسم الأغنية)

ماجى : كلا ، أنا أرفرف بجناحى حتى الآن ، أعنى ، إذا قارنتنى بواحدة

مثل إللافيتزجيرالد ، أو واحدة من هؤلاء .... لكن هل قرأت ماكتبه محرر جريدة « نيوز » ؟ أنه يحفظ اسطواناتى فى الفريجيدير خشية أن تذوب !

كونتين (يضحك معها) : آه ، تذكرتها .. أغنية « الفتاة الصغيرة الحزينة » ، إن طريقتك فى أدائها مؤثرة للغاية .

ماجى (مندهشة ومسرورة) : صحيح ؟ أنا كما ترى ، لا أقول لنفسى : سأجعل صوتى مثيراً للغرائز الجنسية .. يكفينى أننى أغنى ، كما لو.. كنت فى حالة حب أو...

(تضحك)

حقاً ، لا أصدق أنك هنا !

كونتين : لماذا ؟ يسرنى أنك اتصلت بى ، فلكم فكرت فيك فى السنتين الأخيرتين ، إن كل الأشياء العظيمة التى تحدث لك كانت ترضينى ارضاء خفياً لسبب ما .

ماجى : ربما لأنك السبب فى هذه الأشياء .

كونتين : لماذا تقولين هكذا ؟

ماجى : لست أدرى ؟ لمجرد نظرتك إلى ، أنا لم أكن أجرؤ على الذهاب لزيارة أى وكيل فنانين ، قبل ذلك اليوم .

كونتين : كيف نظرت إليك ؟

ماجى (وهى ترفع كتفيها ، مستغربة) : كأنك ... تنظر إلى من قلبك ، فمعظم الناس يبحلقون حين ... ينظرون إلى ؛ لا يمكننى أن أشرح ، كذلك طريقتك فى الحديث إلى ...

لويز (وهى تظهر) : أتظن قراءة مذكرتك معناها الحديث إلى ؟

كونتين (يحدث المستمع عن لويز) : أجل ، أرى هذا ، لكن هناك ما هو أكثر منه ، وربما لا تكون كلمة القوة هى الكلمة الصحيحة .

ماجى : ماذا كنت تعنى ... بقولك أننى أرضيتك ارضاء خفياً ؟

كونتين : مجرد هذا ... كأن أسمع الناس فى المكتب يضحكون ويقولون ماجى أخضعت الدنيا عند قدميها....

ماجى (مجروحة ، مضطربة) : كانوا يضحكون !

كونتين : على نحو ما .

ماجى (فى ألم) : هذا ما أعنيه ، أنا أضحوكة لمعظم الناس.

كونتين : كلا ، كل ما فى الأمر أنك بسيطة وصريحة ، يا ماجى ، لا يبدو أنك تكتمين شيئاً ... لست ... خجلى من حقيقتك .

ماجى : ما ، ماذا تعنى بقولك حقيقتى ؟

كونتين (يدرك فجأة أنه لمس وتراً حساساً ، تظهر لويز ، وهى تلعب بالورق لعبة الصبر) : حسن ... أعنى أنك تحبين الحياة ، و ... من الصعب أن أجد كلمة لتعريفك ، فأنا ...

لويز : الكلمة هى داعرة ، لكن ماذا يهم طالما أنها مدحتك ؟

كونتين (إلى المستمع واقفاً ، ويتحركا داخل منطقة ماجى) : لكن هناك حقيقة فى هذا ، فلم يحدث أن مدحتنى امرأة ولا فتاة ، أتخذها مادة للضحك مع الآخرين...

ماجى : لكنك لم تضحك منى ، أليس كذلك ؟

(يستدير إليها فى حسرة ، وتختفى لويز)

أتضحك منى ؟

كونتين : كلا .

(يقف فجأة ويصرخ مخاطباً المستمع)

غش وكذب ... من الخمس دقائق الأولى ! .. لأنه ، كان يجب أن أوافق على أنها أضحوكة ، قطعة جميلة تحاول أن تأخذ نفسها مأخذ الجد ! لماذا كذبت عليها وتقمصت دور ولى النعمة الرخيص هذا ، هذا ... ماذا ؟

(يصغى ، وحينئذ يستطرد بلا رغبة ...)

أجل هذا صحيح أيضاً ، كان لديها إحساس بالشرف ، إحساس غريب ، يثير الدهشة...

(يستدير إليها)

ماجى : أوه ، اسمع ! سحبت حالا اسطوانتين لى كنت قد بعتهما من قبل .

كونتين : سحبتيهما ؟ كيف ؟

ماجى : اسطوانتان « فالصو » .... فيهما كلام فارغ ... روك ، أند رول لا أكثر ، وها أنا أفكر فى ...

(تضحك بحياء)

انك ربما تفتح الراديو فتسمعهما ، وأنا لا أريد أن تسمعهما ، أهذا تخريف ؟

كونتين : كلا . لكن أليس غريباً أن تحبينى إلى هذا الحد ؟

ماجى : ولم أحب من قبل ، صدقنى .

كونتين (مضطرباً) : لكنى لم أقل لك شيئاً يذكر فى ذلك اليوم .

ماجى : طيب ، مثال هذا ما حدث ...
(تخشى أن تكون ساذجة)
... حين قلت لى أن أصلح القطع الذى كان بثوبى .

كونتين : ما حكايته؟

ماجى : كنت تريدنى أن أكون ... معتزة بنفسى ، أليس كذلك ؟

كونتين (مندهشاً) : أحسب أنى كنت ، أجل .... كنت .

ماجى (وهى تحس بأنها حركته عن سكونه) : هل لك فى كأس ؟

كونتين (مستريحاً) : لا يضيرنى هذا ...
(يلتفت حوله)
ما كل هذه الزهور ؟

ماجى (وهى تصب فى الكأس) : أوه ، أرسلها إلى أمير عبيط ، أو ملك أو أيا كان...لاأدرى، فقد كتب لى عقداًمع بائع الزهور...هذا فى حين أنى لو حصلت على الطلاق منه سأحصل على مائة ألف دولار ... سأكون ملكة أو شيئاً من هذا القبيل . لكننى لم ألتق به إلا فى ملهى « آل موروكو » ذات مرة ، والمفروض أن أكون عشيقته ، لست أدرى لماذا ينشرون هذه الأشياء ؟
(تضحك وهى تناوله كأسه)

كونتين : حسن ، يخيل إلى أن كل إنسان يريد أن يلمسك الآن .

ماجى : فى صحتك !

(يشربان ، وتخرج طرف لسانها مداعبة لإغاظته)
أنا أكره المذاق لكنى أحب المفعول ! أتحب أن تخلع حذاءك ؟
أعنى مجرد أن تستريح .

كونتين : أنا على ما يرام ، حسبت من صوتك فى التليفون أن شيئاً أفزعك .

ماجى (متملصة) : هل يجب أن تذهب إلى بيتك فوراً ؟

كونتين : أتعيشين هنا بمفردك ؟

ماجى (بتملص قوى) : لا يضيرنى هذا ، عشت وحيدة طول عمرى :
أوه ، اسمع ...
(كأنها تخشى أن تفقد اهتمامه فتنقب فى كومة من الأوراق بجوار السرير وتخرج من التنقيب بصورة صغيرة فى إطار) .
قطعت صورتك من الجريدة فى الشهر الماضى . حين كنت تترافع عن صاحب النيافة هارلى بارنز فى واشنجتن ؟ شايف ؟ وضعتها فى برواز .

كونتين (مسروراً ومحرجاً) : ما الداعى إلى هذا ؟

ماجى : قصة العثور عليها غريبة ، فقد كنت أركب القطار ...

كونتين : أهناك ما يفزعك ، يا ماجى ؟

ماجى : كلا . لا تقلق ، إنما أنا منفعلة لوجودك هنا ، اسمع ، إليك ما فعلته ، لقد ظلوا يطاردوننى بالأحاديث ويسألوننى عن مسقط رأسى وخلافه ، ولم أدر بماذا أجيب ، هذا فى حين أن أبى ، اسمع ، أبى هجرنا حين كان عمرى ثمانية عشر شهراً تقريباً ، ففكرت فى أن .... أراه ، من الجائز أن يحبنى ، أو حتى يكرهنى .

بمجرد أن يلقى نظرة إذن . لا أستطيع أن أشرح لك .

كونتين : لعل هذا كان يتيح لك معرفة حقيقتك !

ماجى : أجل ، ولهذا ركبت القطار ، فقد كان عمله بولاية هناك ، واتصلت به من المحطة ، قلت : هل لى أن أراك ؟ قال : من تكونين ؟ قلت : ماجى ، ابنتك ، مع أنه سبق أن قال إننى لست من صلبه ، وأمى كانت تقول دائماً أننى من صلبه ، وقال : لست أدرى من تكونين ، قابلى محامى . فقلت له : إنما أريدك أن تلقى نظرة على و .. وضع السماعة .

(تضحك ضحكة خفيفة)

وكان لدى وقت فرحت أتجول فى المدينة وخطر لى أننى ربما أعثر على المكان الذى يأكل فيه ثم . أدخله ، فيرانى ، وربما ... يغازلنى !

(تضحك)

لأن أمى قالت أنه كان دائماً يحب الفتيات الجميلات !

كونتين : وعندئذ تبلغينه ؟

ماجى : لست أدرى ، يجوز ، يجوز .... فيما بعد ، لست أدرى لماذا أقول لك هذا ... أوه ، أجل ! وفى القطار الذى عدت به عثرت على هذه الصورة فى الجريدة ، شايف ... الطريقة التى تنظر بها مباشرة إلى العدسة ؟ أتعرف أن هذا صعب جداً ... أن تنظر مباشرة إلى العدسة ؟

كونتين : تعنين أننى كنت أنظر إليك .

ماجى : نعم ! لقد قلت : أعرف من أكون ، أنا صديقة كونتين !

(تخشى أن تكون قد تسرعت بهذه المكاشفة ، فتستدرك)
أتريد كأساً أخرى أو .. أعنى ، لست مضطراً الآن إلى أن تفعل شيئاً ، بل لست مضطراً إلى أن ترانى مرة أخرى .

كونتين : لماذا تقولين هذا ؟

ماجى : لأنى أعتقد أنه يقلقك .

كونتين : يقلقنى ، أجل .

ماجى : لكن ماذا ؟ أعنى ، ألا يمكنك أن تكون مجرد صديق لشخص ما ؟

كونتين (صمت طفيف ، ثم بتصميم) : أجل ، يمكننى ، هذا لأنك بارعة الجمال يا ماجى ، لا أعنى جسدك ووجهك فقط .

ماجى (بتدفق احساس مفاجىء) : أنا مستعدة لأن أفعل أى شىء من أجلك ، ياكونتين ، أنت ...
(تخرج الكلمات رغماً عنها)
أنت أشبه بإله ، لا تؤاخذنى على قولى هذا ولكنى ...

كونتين (بنصف ضحكة) : ماجى ، كان من الممكن أن يقول لك أى إنسان أن تصلحى ثوبك .

ماجى : كلا ، ليس من الممكن .
(بألم بالغ)
انهم يضحكون ، أو مجرد ... أن يحاولوا معاكستى ، أنت عارف .

كونتين (إلى المستمع) : أجل ، الأمر كله واضح كل الوضوح ، إنه الشرف ! الشرف الأول ..... كأنى لم أحاول أبدا أن أنام معها ، رباه ، يا للنفاق ، لأننى كنت خائفاً فقط أما هى فحسبت

الأمر تكريماً لـ ... قيمة فى نفسها ! ومع هذا ...
(يكون قد نهض على قدميه معذباً)

ماجى : أوه ، اسمع — لقد دشنت غواصة ! لكن أتدرى ماذا فعلت ؟

كونتين : ماذا ؟

ماجى : انتخبونى محبوبة ترسانة كروتون ! فاهم ، انتخبنى العمال ، وناولنى أمير البحر زجاجة الشمبانيا ، وقلت : كيف يحدث ألا يوجد عمال فى الاحتفال ، فاهم ؟ وضحكوا جميعاً ! لهذا صحت بهم أسفل ، فجاءنى نحو عشرة منهم صعدوا إلى الرصيف ! فى حين أنهم هم الذين شيدوها ، أليس صحيحاً هذا ؟

كونتين : هذا رائع !

ماجى : أتدرى ما قاله أمير البحر ؟ قال : يحسن بك أن تحترسى من أقوالك وإلا أصبحت شيوعية . صدقنى ، ولذا قلت : إنى أعرف ما هو الفظيع فى الأمر ... أعنى أنهم يناصرون الفقراء ، أليس كذلك ؟ الشيوعيون ؟ ...

كونتين : هذه أشياء معقدة إلى حد كبير يا عزيزتى.

ماجى : لكنى أعنى ... لقد اعتدت فى صغرى مثلا أن أحصل على أحذية بالمجان من « جيش الخلاص » (١) رغم أنها لم تكن تناسب مقاسى .
(محرجة ، بايمان متقلص)

---

(١) منظمة دينية تبشيرية شبه عسكرية ، تأسست فى انجلترا ودخلت امريكا عام ١٨٨٠ وهدفها النضال فى سبيل المسيح ومساعدة الفقراء فى جميع أنحاء العالم . (المترجم)

لكن إذا كان العمال يقومون بكل شيء فلماذا لا يكون لهم الشرف؟
أليس هذا هو ما تؤمن به ؟

كونتين : كنت أومن بهذا ، أجل ، لكن المسألة هي — أن العمال سينتهي بهم المطاف إلى حيث بدأوا ، بينما يعتلي المنصة بعض الساسة الجدد .

ماجي : أوه ...
(بحنين واضح وحيرة ذاتية)
ليتني أعرف شيئاً .

كونتين : عزيزتي ، انك تعرفين كيف ترين هذا كله بعينيك هاتين ، فهذا أكثر أهمية من جميع الكتب .

ماجي : لكني لا أعرف إذا كان ما أراه صحيحاً أم خطأ ، أما أنت فتعرف ، أنت ترى وتميز الصواب من الخطأ .

كونتين : ماذا تحسبينني أعرف ؟

ماجي (ينهار بعض الحذر ، بينما يشتد إلحاحها) : طيب ... إليك مثلا ، لقد كنت خائفة .

كونتين : هل أنت خائفة الآن ؟ ... أنت خائفة . أليس كذلك ؟
(تحدق فيه بتوتر ، وتمر لحظة طويلة)

كونتين : ما الأمر ، يا عزيزتي ؟ أتخافين أن تكوني وحيدة هنا ؟
(تخونها دموع ويتحشرج صوتها دون سيطرة منها ، يرى أنها في حالة خوف بالغ)
لماذا لا تتصلين بأحد ليقيم معك ؟

ماجي : لست أعرف أحداً ... من هذا النوع .

كونتين (صمت طفيف) : أيمكنني أن أصنع أى شيء ؟ ... لا تخافى أن تطلبي منى .

ماجى (فى صراع ثم تقول فى النهاية) : هلا ... فتحت باب الحمام هذا ؟

كونتين (ينظر حوله ، ثم يعود إليها) : هل أفتحه فقط ؟

ماجى : نعم !

(يسير فى المحيط المظلم ، تجلس فى سريرها متيقظة ، وهى تراقب)

(يعود ، وتتمدد هى على ظهرها)

كونتين : أتريدين ... أن تقولى شيئاً ؟

ماجى : كل ما فى الأمر أننى لا أعرف أبداً ما يصح أن يقال ، وأنا —

كونتين : حسن ، قولى ، صرحى ، فما فائدة الناس إذن ؟

(يجلس)

ما الأمر ؟

ماجى (بصعوبة بالغة) : ذات مرة شرعت فى النوم فإذا بى أرى دخاناً آتيا من تحت هذا الباب ، وظل يأتى ويأتى ، وأخذ يملأ الغرفة كلها .

(تتوقف موشكة على البكاء)

كونتين (يمد يده ويتناول يدها) : أوه ، يا صغيرتى ، يجب ألا —

ماجى : لكنه ظل يأتى ويأتى !

كونتين : أوه يا صغيرتى ، كثيراً ما كنت تحلمين بأشياء كهذه ، أليس كذلك ؟

ماجى : لكنى كنت مستيقظة !

كونتين : حسن ، كان حلماً من أحلام اليقظة . لم يستطع أن يبقى فى مكمنه

حتى تستغرق فى النوم ، هذا كل ما هناك ، وهذه الأشياء يمكن تفسيرها إذا رجعت إلى مصدرها .

ماجى : أعرف ، فأنا أتردد على محلل نفسانى .

كونتين : أوه ... إذن أحك له عنه ، وسوف تفهمينه .

ماجى : حدث هذا حين شرعت فى الاتصال بك من قبل .

(مستغرقة الآن فى أفكارها)

اسمع ، لقد اعتادت ... أمى أن ترتدى ملابسها فى الحمام . وكانت من صنف الفاضلات المتمسكات بالاخلاق للغاية ، فاهم ؟ لكنها أحياناً كانت تدخن هناك . ثم تخرج ... فاهم ؟ وقد لفتها سحابة دخان كاملة .

كونتين : حسن ... يجوز أنك أحسست بأنها لم تكن تريدك أن تتصلى بى .

ماجى (مذهولة) : كيف عرفت هذا ؟

كونتين : لأنك قلت أنها فاضلة للغاية ، وها أنت تتصلين برجل متزوج .

ماجى : أجل ، إسمع لقد حاولت أن تقتلنى مرة بوسادة وضعتها على وجهى ، مع أنه كان من الممكن أن أفسد بسببها ... تماماً كأن أزنى كما تزنى هى ، فشعرى شعرها ، وظهرى ظهرها .

(تستدير عنه نصف استدارة ، وهى تكشف عن ظهر عار)

لأن لى ظهراً جميلا ، شايف ، هذا ما يقوله جميع رجال التدليك .

كونتين : أجل ، هو كذلك ، جميل ، لكن ليست خطيئة أن تتصلى بى .

ماجى (تهز رأسها كطفل — مع ضحكة مريحة تصدر منها) : أنا لست سيئة . أليس صحيحا هذا ؟

كونتين : أنت فتاة فاضلة جدا يا ماجى ؟

ماجى (برقة ، خائفة) : ما ــ ماهى الفضيلة ؟

كونتين : أن تقولى الحق ، ولو على نفسك . فأنت لاتتظاهرين بأن تكونى ..

(يستدير منصرفا الى المستمع ، بفرحة رهيبة)

بريئة ! أجل ، لقد ظهر فجأة أناس لايتورعون عن القضاء عليك ببراءتهم ! ... هذا كله شىء مضحك !

(تبدأ فيليس فى الظهور ، وذراعها مرفوع بينما تظهر الأم وهى ترفع ذراعها)

الأم : رأيت نجما ...

ماجى : فليبارككك الله يا كونتين !

(تختفى الأم وفيليس بينما هو يستدير عائدا الى ماجى ، التى ترفع صورته الفوتوغرافية)

فى ليال كثيرة ، حين أذهب لأنام ، أمسك صورتك ، ثم أدعو لك ، هل تمانع ؟

(وقد ضغطت الصورة على وجنتها . ينحنى اليها ، ويقبلها ، تفاجأ ، ثم تبدأ فى رفع ذراعها كى تضمه ، لكنه ينتصب واقفا ويتقهقر)

كونتين : ليتك تنامين .

ماجى : سأنام الآن !

(ترتمى على ظهرها)

صدقنى ، أحس .... بأن كل شىء قد اتضح !

كونتين (يلوح بيده وهو يتقهقر) : حظا سعيدا فى لندن .

ماجى : و .. ماهى الفضيلة ، مرة أخرى ؟

كونتين : أن تعيشى الحقيقة .

ماجى : هذا ما تفعله أنت !

كونتين : ليس بعد ، ياعزيزتى ، لكنى أعتزم أن أحاول .

(يتوقف . ينظر كل منهما الى الآخر عبر الغرفة . يسير عائدا اليها ، وعندئذ ينحنى فوقها وتعانقه هى هذه المرة ، واهبة أياه نفسها ، وهى ترفع جسدها ناحيته ، يقف متملصا من ذراعها . ثم يتكلم ، كأنه يعرف أنه يخطو خطوة ....)

لاتخافى أن تتصلى بى اذا احتجت لأية مساعدة ...

(تختفى فجأة ، ويصبح هو بمفرده ويواصل التفكير)

فى أى وقت ...

(يظهر دان مرتديا «سويتر» مقفول الرقبة كالذى يرتديه البحارة ومعه كتابه)

اذا احتجت لأى شىء اتصلى بى ، أتسمعين ؟

دان : الأسرة تسندك ، ياكونتين ...

(يتقهقر فيغيب فى الظلام ، وهو يلوح بيده مودعا)

فى أى وقت تحتاج فيه لأى شىء ...

كونتين (وقد استدار بسرعة مندهشا الى دان الذى يختفى ، فيخاطب المستمع ، بينما يظل محدقا فى الفضاء الخالى الذى خلفه دان) : فاهم ؟ ... انه ليس زيفا وغشا ، وانما بعض ... التنكر . لقد جئتها بطيبتى مثلما اقبل على دان .... بطيبته ! فلا عجب أننى لا استطيع أن أعرف حقيقة نفسى !

(تظهر فيليس ، وهى توشك أن تخلع الضمادة .... ويفهم ماتعنيه)
... وهذه الفتاة فى الليلة تلك ...
(تستدير فيليس وتنصرف)
حين انصرفت ، كان الامر لايزال غير واضح ، لكن هذين المصباحين يظهران على جدارى فجأة ....
(يسير نحو « جدار » وهو يتطلع الى أعلى)
لم أضعهما ، لكنى كنت أريد ذلك . مثل ....
(يستدير ويشرع فى رفع ذراعيه متخذا وضع المصلوب)
هــــذا !
(يخفض ذراعيه باشمئزاز)
..... لست أدرى ! لأنها ..... اعطتنى شيئا ! جعلتنى .. أغيرها ! كأنى ....
(يصرخ)
كنت أحس بشىء !
(يكاد يضحك)
ما الذى أحاول بحق الجحيم أن أفعله ؟ أن أحب الجميع ؟
(تنتهى العبارة بازدراء ذاتى وسخط . وفجأة ، وبغاية السرعة ، تظهر امرأة فى الزى الذى كان مستعملا زمن الحرب العالمية الأولى ــ وهو مكون من قبعة طويلة مما كانت تستعمله الفتيات ، وخمار على وجهها ، وعباءة تصل الى كعبيها ، وفى يدها لعبة على شكل قارب شراعى . تنحنى كأنها تمنح القارب لغلام صغير ، وصوتها يشبه الهمس ، بعيد ، غير واضح ....)

الأم : كونتين ؟ انظر ما أحضرناه لك من اتلانتيك سيتى !... من الملاهى !

(واضح أن الغلام يفر ، وفى الحال تقلق الأم وتغضب وتندفع إلى نقطة ما ، ثم تتوقف ، كأنها تنادى شخصاً وراء باب مغلق) .

لاتقفل هذا الباب ! لكننا يا حبيبى لم نخدعك ، لقد أخذنا دان لأنه أكبر منك . كنت أريد قسطا من الراحة ...ولكن فانى أبلغتك أننا سنعود ،اليس كذلك ؟ لماذا تفتح الصنبور ؟ كونتين ، أوقف هذا الماء ! أبيك ، تعال بسرعة ، حطم الباب ! حطم الباب !

(وقد اندفعت داخل الظلام ، وقد شرع هو فى اثرها كأنه يكمل الذكرى ... يتوقف ، ويخاطب المستمع ..)

كونتين : لقد بعثوا بى فى جولة مع الخادمة ، وحين عدت كان البيت خاويا ، رباه ، لماذا تكون الخيانة هى الحقيقة الوحيدة التى تبقى ؟

(يكاد أن يضحك) .

... أجل ، أحب الجميع ! بينما لايمكننى حتى أن أبكى على أمى . ان الأمر فظيع .

(يضىء مقعد المتنزه — تظهر ماجى مرتدية « سويتر » أبيض ثقيلا مما — يستعمله الرجال ، و « باروكة » حمراء فوق قبعة بيضاء مما يستعمل فى التزحلق ، وحذاء « موكاسان » ، ونظارة شمسية) .

ماجى (للمقعد الخالى) : اسمع ! أنا هنا !

(ترفع النظارة عن عينيها) .

أنا ماجى !

كونتين (وهو ينظر ناحية ماجى) : أو أن أبكى عليها أيضاً . هل ماأريده هو الأسى ؟ كلا ، هذا ليس نواحا ! ... لأن فيه من الكراهية أكثر مما يجب !...

(وقد ابتعد عن ماجى المغرمة واقبل على المقعد ، وهو يهز رأسه) .

ليس لأنى اعتقدت انى قتلتها وإنما ..

ماجى (للمقعد الخالى) : شايف ؟ قلت لك أن أحداً لن يعرفنى ! أتعجبك باروكتى ؟

كونتين : لا أستطيع أن أجد نفسى فى هذا ، كأن رجلا آخر هو الذى ... إلا أن الذنب هو الذى يوجد ، أجل ، أو البراءة !

ماجى (وهى تجلس إلى جواره على المقعد) : حين تذهب الليلة إلى واشنجتن ... أتعرف ماذا كنت أفعل ؟ بوسعى أن أستقل عربة أخرى فى نفس القطار !

كونتين (إلى المستمع) : لكن ، أليس يكفى أن تقول لرجل أنه ليس مذنبا ؟ .. أجل .

(ينظر اليها) .

اسمى يحمله هذا الرجل ! لماذا لاأستطيع أن أقول « أنا » ؟

(مستديراً اليها تماما) .

فعلت هذا . وأريد ما فعلته ! وقد رأيته مرة .رأيت كونتين . هنا ، .. للحظة ، مثلما يرى القمر ، رأيت كلا منا خاليا من اللوم.. بلا أخطاء !

ماجى : يا لفرحتى ، لقد استغرقت فى النوم ، لحظة أن تركتنى فى الليلة الماضية ، بل انى لم أسمعك وانت تغلق الباب ! أتعجبك

باروكتى ؟ شايف ؟ . والحذاء الموكاسان .

(صمت طفيف . وحينئذ يبتسم) .

كونتين : كل ما ينقصك هو قبقاب تزحلق .

ماجى (تصفق بيديها فى فرح) : انت خفيف الظل !

كونتين (إلى المستمع وهو ينصت باهتمام) : انى دائما انسى ...
(بكل كيانه اليها) .
كم انت جميلة . عيناك تصيبانى بالرعشة .
(تلبث صامتة ، ولهانة ، يمسك عن الكلام وهو يجلس) .

ماجى : أتحب أن تتفرج على شقتى الجديدة ؟ ليس لها مصعد ولابواب ، لن يراك أحد ، إذا أردت أن تستريح قبل ذهابك إلى واشنجتن ، لأننى اكتشفت لتوى انى سأذهب إلى باريس بعد لندن فلدى أجازة أسبوعين ، والمفروض أنها فترة غير عادية ، لكنى لاأريد أن أعود سريعا .

كونتين : كم يستغرق غيابك ؟

ماجى : ربما شهران ، فيما أظن .
(يدركان أن الانفصال مؤلم فتترقرق عيناهما بالدموع) .
كونتين ؟

كونتين : عزيزتى ...
(يتناول يدها) .
لاتتطلعى إلى المزيد من جهتى .

ماجى : لست أتطلع ! اسمع ، خطر لى أن أذهب معك إلى واشنجتن...

كونتين (ضاحكا) : ولندن ؟

ماجى : أوه ، سوف ينتظرون ، أستطيع أن أسجل نفسى فى الفندق باسم الآنسة نن (١) .

كونتين : نن بمعنى راهبة ؟

ماجى : كلا ، نن بمعنى لاشيء .. لقد اصطنعته مرة لأننى لاأستطيع أن أتذكر اسما مستعارا .. يجب أن أفكر فى لاشيء ، وهذا هو أنا !
(تضحك بفرح) .
اصطنعته .

كونتين : فكرة رائعة . الحكومة بأسرها تكرهنى ، بينما أنا فى الفندق...

ماجى : هذا هو ما أعنيه ! فى اللحظة التى تدق فيها تلك اللجنة على رأسك تخيلنى عارية .

كونتين : يا له من خيال حلو.

ماجى : وهذا سيجعلك سعيداً.

كونتين (مبتسما لها بحرارة) : ومتوتراً .

ماجى : لأن كل شيء يجب أن يتساوى مع غيره ، فاهم ؟ مساعدة الناس والجنس ، بل لعلك تكون أحسن حالا فى النقاش غدا .

كونتين (بادراك جديد ، ودهشة) : أتعرفينُ ؟... هناك كلمة واحدة مكتوبة على جبينك .

---

(١) تقصد فى الأصل اللفظ الانجليزى None ومعناه « لاشيء » أما اللفظ Nun ومعناه «راهبة» فينطق كسابقه ، اما عبارة«بمعنى راهبة» فمزيدة على الأصل لتوضيح المعنى . (المترجم)

ماجى : ماهى ؟

كونتين : « الآن » .

ماجى : لكن ماذا هناك غيرها ؟

كونتين : مستقبل ، كنت أحمله طوال حياتى من مكان إلى آخر مثل « فازة » يجب على المرء ألا يدعها تفلت من بين يديه أبدا . وليس بوسعك أبدا أن تلمسى أحدا ، فاهمة ؟

ماجى : لكن لم لا تمسكها بيد واحدة ...

(يضحك) .

... وتتحسس باليد الأخرى ؟ ... أنا لن أضايقك أبداً يا كونتين..

(ينظر فى ساعته ، كأنه يبدأ فى حساب ما إذا كان هناك وقت ... يتشجع ، وهوينظر فى ساعته) .

(.. ألا يوجد من يقدم لك شيئا ؟ كما يحدث حين تكون عطشانا ، فتشرب ثم تنصرف ، هذا كل مافى الأمر...

كونتين : لكن ما شأنك أنت ؟

ماجى : طيب ... سأسترد ماقدمته .

(صمت طفيف) .

كونتين : كلك حب ، أليس كذلك ؟

ماجى : هذا هوأنا ، فالإنسان معرض للموت فى أية لحظة ، كما تعرف !

(فجأة) .

أوه ، خذ ! ... عندى وصية .

(تفتش فى جيبها فتخرج ورقة مطوية) .

هل — هل لى أن أريك إياها ؟

كونتين (وهو يتناولها) : وما شأنك بوصية ؟

ماجى : حسن ، سأقوم الآن بعدة رحلات بالطائرة ، حصلت توا على أجرى البارحة ... هل يجب أن أقول لك كم يبلغ ؟

كونتين : كم ؟

ماجى : مائتا ألف دولار .

كونتين : هه ! أتذكرين أننا كنا نجلس هنا ، واننى أعطيتك خمسة دولارات ؟

ماجى (بحب بالغ) : نعم !

(يحدق كل منهما فى الآخر) .

صدقنى ، ياكونتين ، لايوجد حتى عامل مصعد .

كونتين : أتريدين أن أبحث هذا الموضوع ؟ فى اعتقادى ياعزيزتى ، أن أفعل كل شىء فى حينه .

(يفض الوصية) .

ماجى : فاهمة !

(يشرع فى قراءة الوصية ، وتستطرد هى مشيرة اليها ...)

اسمع ، المفروض أن أكون مليونيرة فى ظرف سنتين !

(تضحك . يستمر هو فى القراءة) .

أهى قانونية إذا لم تكن مكتوبة على الآلة الكاتبة ؟

كونتين (ينظر اليها) : من كتب هذه ؟

ماجى : جيرى مون ، صديق وكيلى أندى ، وهويعمل فى أشغال البناء ، لكنه

يعرف الكثير عن القانون ... ولهذا وقعها كشاهد . رأيته يوقعها ، في غرفة نومي ... أليست سليمة ؟

كونتين : انها تترك للوكالة أمر التصرف فى كل شيء .

ماجى : أعرف ، لكن مؤقتا ، إلى أن أستطيع التفكير فيمن يحررها .

كونتين : لكن ما كل هذا التسرع ؟

ماجى : طيب ، افترض أن طائرة آندى سقطت ... إن لديه خمسة أطفال ، اسمع ، و...

كونتين : لكن أتحسين بأنك مسئولة عن أسرته ؟

ماجى : حسن ، كلا ، لكنه كان يعاوننى بالفعل ، أقرضنى مالا حين كنت —

كونتين : و تسمحين له بمليون دولار ؟

ماجى (بادراك منبعث) : حسن ، ليس مليونا ...
(بخوف) .
أتعنى أنه لايصح أن أفعل هذا ؟

كونتين : من محاميك ؟

(يمر صبيان يمسكان بعصى وقفازات الباسبول. يريانها ويمضيان خلفها وهما يتهامسان) .

ماجى : حسن ، لاأحد . لكن ما يكون لصالح آندى يكون لصالحى ، أليس هذا صحيحا ؟

كونتين (بامتعاض معين ، بل باشمئزاز من التدخل ، ويبدو محايداً) : ألم يقترح عليك أحد أن تتخذى لنفسك محاميا ؟

ماجى : لكن افترض أنك وضعت ثقتك فى أحد ، ألا تثق فيهم ؟

كونتين (صمت طفيف . يستبد به قرار ، فيتناول يدها) : هيا ، سأوصلك إلى البيت .

ماجى (وهى تقف معه) : ليكن ! لأننى أعنى لو أنك وضعت ثقتك فى أحد لما احتجت إلى محام ، تمام ؟

كونتين : لاأستطيع أن أنصحك ياعزيزتى ، فربما تخرجين من ذلك بشىء لا أفهمه . لنذهب .

ماجى : كلا ، لست متورطة مع آندى . أنا ... فى الحقيقة لا أنام مع كل من هب ودب من الناس ياكونتين ! هلا صعدت معى دقيقة أيضاً ؟

كونتين : بالتأكيد ، هيا .
(يشرع فى ضمها لكنها تواصل الكلام) .

ماجى : (مشرقة فجأة وهى تقف) : لأننى ... لم أكن مومسا أبداً . لقد عاشرت الكثير من الرجال ، لكننى لم أنل منهم شيئا أبداً ، ولاحتى وظيفة ، أعنى أننى أتغير ... محللى النفسانى يقول اننى أرى الجنس لونا من الإحسان ، مثلما أتصدق على المحتاجين ...
(تضحك بحياء) .
هذا فى حين اننى لست مؤسسة خيرية . هلا دخلت معى دقيقة أيضاً ؟

كونتين (يتناول ذراعها) : بالتأكيد ، هيا !

(يعترضهما جمع صغير من الصبية لاعبي الباسبول ، فيشير اليها واحد من أول زوج فى الجمع) .

الصبى : انها ماجى ، كما قلت لكم !

ماجى (وهى تنجذب إلى ذراع كونتين محتمية) : كلا ، كل ما فى الأمر أننى أشبهها ، أنا سارانن !

الجمع : ما رأيك فى توقيع أوتوجراف ، يا ماجى ؟
لماذا لاتأتين إلى النادى ؟
ما موعد عرضك القادم ؟
اسمعى ياماجى ، لقد اشتريت كل اسطواناتك !
غن لنا شيئا !
(يناولونها ورقة لتوقع عليها) .
من أجل أخى ، ياماج !
اخلعى السويتر الذى ترتدينه يا ماج ، فالجو حار !
ما رأيك فى رقصة كالتى أديتها فى التليفزيون ؟

كونتين : فلنمض !

(وقد نحوا كونتين جانبا ، وحينئذ يصل اليها ، ويمسك بها . ويشدها بعيداً بينما هى تسير إلى الخلف ، وهى ما تزال تغنى ، وتضحك معهم . ثم يختفى الصبية وتستدير اليه) .

ماجى : متأسفة !

كونتين : كأنهم كانوا يأكلونك ، أتحبين هذا ؟

ماجى : كلا ، لكنهم بشر ، أبوسعك أن تجلس حتى يحين ميعاد القطار؟
ان كل ما حصلت عليه حتى الآ ن هو هذه الشقة ذات الطراز الريفى الفرنسى .

(وهى تخلع السويتر) .

أتعجبك ؟ لقد اخترتها بنفسى . وكذلك اخترت فراشي وفونوغرافى لكن لعلها تكون شقة لطيفة ، أليس كذلك ؟

(يتناول كونتين يدها فى صمت ، وحينئذ يجذبها اليه ، ثم يقبلها . وقد اشتعلت دماؤه) .

إنى أحبك ، يا كونتين ، أنا مستعدة لأن أفعل أى شيء من أجلك . ولن أضايقك أبدا ، أقسم .

كونتين : أنت جميلة بدرجة يصعب معها النظر اليك .

ماجى : بل أنت لم ترنى ...

(وهى تتراجع وتمضى) .

لماذا لاتلتزم مكانك حتى أعود اليك عارية ! أم أنه ليس هناك قطار بعد هذا ؟

كونتين (صمت) : بالتأكيد ، هناك دائما قطار بعد هذا ؟

(يشرع فى فك أزرار سترته) .

ماجى : سأدير الموسيقى .

كونتين (يضحك حينئذ من خلال كلماته) : أجل ، أديرى الموسيقى .

(تهرول فى الظلام ، ويغالب نفسه فى هذه اللحظة ... ثم يخاطب المستمع وهو يفتح سترته) .

هنا ، كان هذا فى مكان ما هنا ... لست أدرى ، يا له من غش وزيف !

(تنبعث موسيقى جاز صاخبة وتعود وهى لاتزال مرتدية ملابسها)

ماجى : الآن ، دعنى أخلع حذاءك !

(تسقط جالسة عند قدميه ، تشرع فى فك أربطة الحذاء ، ينظر اليها بتصلب وهلع متزايدين وعندئذ تتحرك أشباح فى الظلام ، يضطر إلى تحريك قدمه رغما عنه) .

كونتين : ماجى !

ماجى (وهى تنظر إلى أعلى بينما هى على الأرض وفى ذات الوقت تكف عن فك الأربطة) : نعم ؟

(ينظر حوله فى الظلام ، وفجأة يهجم والده إلى الأمام) .

الأب : تفعل ما تريد ! دائما تفعل ماتريد ، بحق المسيح ماذا تظن نفسك ؟

(تظهر لويز عندئذ . وهى تطالع فى كتاب ، لكن دان واقف إلى جوارها يكاد أن يلمسها بيده) .

دان : هذه الأسرة تسندك ، يا فتى .

(تظهر الأم أيضاً ، منعزلة ، تكاد تتحرك برغبة عارمة ، ويكون كونتين قد تحرك ، كأنه معهم ، بعيداً عن ماجى) .

الأم : أوه ، ياله من شعر كان يحضره لى ستراوس ، وروايات ، و ...

كونتين : (يهدر فيهم جميعا ، وقبضتاه تلوحان بغضب فى وجوههم) : لكن أين كونتين ؟

(يذهب ناحية الأم وهى فى حالة الحنين المسيطر عليها) .

... أجل ، أجل ! لكنى أعرف هذه الخيانة ، ورعب الاشتراك فى هذه الرغبة العارمة ...

(مستديراً ناحية دان الذى يكون قد تحرك بالقرب من الأب ، وتنقطع الموسيقى) .

أجل ، حتى لاأكون غير جدير باحترام هؤلاء الناس غير المعصومين المخلصين ! لكن ، أين كونتين ؟ وبدلا من أن أخلع ملابس أتخذ هذا ...

(ينحنى إلى ماجى ، وينهضها على قدميها) .

... الوضع !

ماجى : ليكن .. لعلنا حين أعود ...

كونتين : من واجبى أن أقولها يا ماجى ...

(يصمت) .

يجب .. أن تمزقى هذه الوصية ...

(إلى المستمع) .

بل إنى لا أستطيع أن أذهب إلى الفراش دون مبدأ ... لكن كيف

تستطيع هى أن تتحدث عن الحب، وقد مضغها ولفظها صف طويل من الرجال المبتسمين،واسمها يطفو فى عفن الصالونات المصفوفة الموصدة ودخان السيجار فى عربة القطار الفاخرة ؟ لقد كانت على حقيقتها فى ذلك اليوم . لقد اختلقت أنا الأكذوبة التى تقول أنها يجب أن « تنقذ » . مم ؟ اللهم إلا من احتقارى أنا
— هه ؟

(واضح أنه متأثر بتكذيب المستمع له،ويخطو مقتربامن المقعد، وهو لايصغى بلهفة) .

ماجى (إلى الفضاء الخالى حيث كان كونتين) : لكننى عرضت الوصية على محللى النفسانى فقال أنها سليمة .. لأن شخصا مثلى يجب أن يكون له من ...

كونتين : ماجى... إن الشرفاء لايحررون وصايا كهذه .

ماجى : لكنها مؤقتة ، لا أكثر ...

كونتين : حبيبتى ، لو أننى ذهبت إلى آندى ، وهذا المستشار ، والمحلل النفسانى أيضاً فربما ... أعتقد أنهم سيرشوننى كى أخرس لقد وضعوك على مائدة ، يا عزيزتى ، وراحوا يمزقونك إربا ...

ماجى : لكن ... ليس بوسعى أن أنفق كل هذا المال بأية حال ... بل ان تفكيرى لايمتد إلى أكثر من خمسة وعشرين دولارا !

كونتين : ليس الموضوع هو المال الذى يأخذون ، ولكنه الكرامة التى يحطمونها ، أنت لست قطعة من اللحم ، يبدو أنك تحسبين نفسك مدينة لهؤلاء الناس بأى شىء يطلبونه منك .

ماجى : أعرف .

(تخفض رأسها وهى تبكى ، وترتعد بالأمل والخجل) .

كونتين (رافعا وجهها) : لكنك ، يا ماجى ، شخصية لها وزنها ، أنت لم تعودى طفلة تجرى هنا وهناك بحثا عن مكان تبيت فيه ! وليس الأمر أمر نجاحك فقط أو أنك ثرية — فأنت مستقيمة ، أنت من الطراز الأول ، يجب أن تفهمى الناس... لست مضطرة إلى استجداء النصيحة من المشبوهين ، كما لو كنت فتاة طريق .

(تترقرق فى عينيها دمعة حب ويأس ، وتنزلق إلى الأرض وتمسك بفخذيه ، وهى تقبل بنطلونه ، يرقبها ، ثم يرفعها فجأة وعلى محياه قدر بالغ من الرثاء والفرح) .

ماجى ، شدى قامتك !

(تنبعث الموسيقى عندئذ ، وتبتسم بغرابة من خلال دموعها ، وتشرع فى فك أزرار « بلوزتها » بنوع من إعلان طبيعتها الدائمة بينما جسدها يتلوى على نغمات تصدر من داخل ملابسها ، وما أن تبدأ رقصتها حتى تهتز رأسه ... ويخاطب المستمع ...)

كلا ، ليس الحب ، فكل ما فى الأمر أن أكف عن تقمص شخصية غيرى ! كى أعيش بشرف ... كى أعيش بايمان صالح ولو لم أكن أملك سوى الجرأة ! كى ...

(يظهر دان والأب فجأة معا ، فيوجه الكلام اليهما)

أجل ! كى لا أكون صالحا مرة أخرى ، متنكراً مرة أخرى ! خائفا مرة أخرى من إظهار كونتين ، كونتين ، كونتين ...على حقيقته .

لويز : بل أنت لاتملك حتى اللياقة لأن —

كونتين : هذه اللياقة قاتلة ! قولى الحق لا اللياقة ، انى ألعن مجلس إدارة البراءة المزيفة جميعه ! أعلن أننى لست بريئا !... ولاصالحا !

(تظهر هيئة محكمة عليا فى ضوء خافت ، ويدق رئيسها بمطرقة مرة ، بينما يخف به الآخرون وهم ينظرون من أعلى إلى كونتين ، وماجى تخلع « بلوزتها ») .

الرئيس : لكن من المحقق أن صاحب النيافة بارنز لايمكنه أن يمتنع عن الإجابة عما إذا كان قد حضر مؤتمر السلام الذى نظمه الشيوعيون فى براغ بتشيكوسلوفاكيا أم لا . كلا . كلا ، لن يسمح للدفاع بمشاورة الشاهد ، فهذه ، ليست محاكمة ! وأى رجل برئ يكون ..

كونتين : وهذه القضية ... براءة ! كم زنجيا تسمحون لهم بالتصويت فى دائرتكم الوطنية ؟.. ترى ، كم من ميولكم الاجتماعية أو السياسية أو العنصرية كان هتلر سيستهجنه ؟.. أوليست محاكمة ؟ انكم تغشون ، بينما محققوكم هذه اللحظة يطاردون هذا الرجل فى كنيسته ليخرجوه منها !

هارلى بارنز (يظهر واقفاً على قدميه ، وعلى صدره ياقة مما يرتديها رجال الدين) : إنى أحتج بمقتضى المادة الرابعة والخامسة من التعديل الملحق بالدستور (١) ...

---

(١) قدمنا أن المادة الخامسة من التعديل تقضى فيما تقضى بألا يكره أحد على الشهادة ضد نفسه ، أما المادة الرابعة من التعديل الدستورى هذا فتقضى بضمان حق المواطنين فى الأمان ، بالنسبة لاشخاصهم ومنازلهم وأوراقهم ضد أية تحريات أو اعتقالات غير مبررة تبريرا كافيا وواضحا وذلك عن طريق اليمين أو البينة . (المترجم)

كونتين (بحزن بالغ) : لكن هل نحن على يقين ، يا هارلى – انى أتساءل ، أتساءل – لو أن الأوضاع انقلبت ، وكانوا هم أمامك ... أكنت لتسمح بالامتناع عن الإجابة ؟ لهؤلاء الرجال الذين يستحقون الكراهية ؟

(ينظر هارلى اليه بغضب ، وارتياب) .

لست على يقين بتاتا مما تناصره – أترانا صالحين لمجرد أننا نقول للشر : « لا » ... لمجرد أننا نرفضه ؟ بل ان فى كلمة « لا » العادلة ضربا من التنكر . أليس من اللازم ... أن نقول...

(وقد اختفى هارلى والمحكمة . أما ماجى فموجودة ، تفرقع أصابعها ، وتسدل شعرها) .

أن نقول نعم فى النهاية ... أن نستجيب لشىء ما ؟

(مستديراً ناحية ماجى ... وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ألم وحنين وعندئذ تنبسط أساريرها ، وهى تخلع « الجيب» الذى ترتديه ، وترقص . يمضى هو اليها ويمسك جسدها ،وهويتحرك معها فى حركة ثعبانية)

الحق .. الحق ... الحق ... هو كل شىء .

(تحتضنه ماجى ثم تتمدد على السرير مع كونتين الذى فى خيالها) .

ماجى : غن بداخلى .

(يتحرك كونتين إلى المقعد مواجها المستمع ، بينما هى على السرير خلفه) .

كونتين : حتى ولو كان مستنكراً ، لا يقال مثل كل الحق .

ماجى : كن سعيداً .

كونتين (ما يزال يحدث المستمع) : أويستحق الازدراء مثل كل الحق !

ماجى : هذه هى حقيقتى كلها .

كونتين : مغطاة مثل الحق بالوحل ، عمياء ، جاهلة .

ماجى : لكن أحدا لم يقل لى أبداً : « شدى قامتك » .

كونتين : ان الدم حقيقة ، شجاعة العالم عمياء ... أجل .

ماجى : الآن .

كونتين : أما هذا فنعم .

ماجى : الآن .... الآن .

(تنتهى الاسطوانة ولايسمع سوى صوت الإبرة فى المجرى من خلال الظلام المتزايد ثم يسمع صوتها ، مستكنا ناعما) .

كونتين ؟

(يسلط عليها الضوء فتظهر منبطحة على سرير وهى بمفردها على المسرح ، وعلى جسدها العارى ملاءة تغطى جزءاً منه . وذقنها مسند إلى يديها فى تراخ وهى تنظر ناحية نقطة ما خارج المسرح) .

كونتين ، هذا الحساء لارائحة له ، لاتقلق .

(صمت طفيف) .

الحال على ما يرام ! لا تتعجل فأنا أحب أن أنتظرك !

(تقع عينها على حذائه على الأرض فتتناوله وتنفضه) .

يعجبنى حذاؤك ؛لديك ذوق جميل .

(صمت طفيف) .

لاتؤاخذنى ، فأنا لم أحضر لك طعاما ، لكنى لم أكن أعرف ، ومع هذا فسوف أحضر بيضا وربما يكون ذلك فى الصباح وشرائح لحم فى الليل ، أعنى فى حالة الضرورة لا أكثر ، حتى يمكنك أن تأكل حسبما تشاء ووقتما تشاء .

(يقف كونتين وهو ينظر إلى الأمام ، تخاطب من السرير فضاء خاليا) .

أتحبنى ؟

(يلتفت إلى الخلف وينظر إلى وجهها الولهان بينما تظهر هوبلحا إلى أعلى فى المطار وهى تبحث عنه ، تظل ماجى على السرير وهى تتحسس حذاءه) .

كونتين : كل هذا صحيح لكنه الحق . أنا أعرفه لأن قيمته لاتلبث أن ترخص للغاية . إن إحساسى بالمرارة يجعلنى أكذب .

(ينظر إلى ماجى) .

أنا خائف من أن أقطع على نفسى وعدا . لأننى لا أدرى من الذى سيقطعه ... أنا غريب أمام حياتى.

ماجى : (وقد رفعت من الأرض ربطة عنق) : أوه ، ربطة عنقك تكرمشت كلها ، متأسفة ، لكن ، اسمع ، عندى ربطة عنق !

(وهى تقفز من السرير ملتفة بالملاءة).

ربطة جميلة صاحبها رجل معروف ...

(مستديرة)

وقعت فى يدى ... بالصدفة .

(تحاول أن تغطى الموقف بضحكة ثم تغيب فى الظلام ، أما هوبلجا فقد اختفت) .

كونتين : أصارحك بأن هذه الغمامة المكونة من الابتذال والغرور تخفى تحتها قانونا لهذه الكارثة ... رأيته ذات مرة صلبا وواضحا كأنه تمثال ، لكن يخيل إلى أننى رأيته بشىء من الحب أو بمجرد الدهشة لا اللوم ، كأنه أمى التى ينحط الكثير من خواطرى عنها إلى مستوى الجريمة ، فالحق أنها كانت بالنسبة لى نوراً كلما ساد الظلام لقد أحببت هذه المجنونة والحب وحده هو الذى يجعلها حقيقة تمت لى . ترى ، هل يستطيع المرء أن يتذكر الحب أبداً ؟ ما أشبه هذا بمحاولة جذب رائحة الورود داخل غرفة الكرار ، فقد ترى وردة لكنك لن تر العطر أبداً . هذه حقيقة الورد ، أليس كذلك ؟ أليست هى العطر ؟

(تظهر ماجى كما سبق وقد سلط عليها الضوء مرتدية ثوب زفاف والخادمة كارى تقوم بوضع الطرحة ذات النقاب على رأسها ولو راكع على ركبتيه وهو يقوم فى عجلة بتثبيت ثنية الثوب الأخيرة . أما ماجى فتحملق فى مرآة ، يشرع كونتين فى النهوض)

ماجى : طيب ، ادخليه ياكارى ... شكراً يالوكاس ، لكنى لاأريده أن ينتظر بعد الآن ، فالحفلة موعدها الساعة الثالثة ، أسرع ، أرجوك .

كونتين : أريد أن أراها بـ ... هذا الحب مرة أخرى ، عجبا ، الأمر صعب للغاية ، انها تقف هناك ، هذه الفتاة التواقة ، هذا النصر الذى يرفل فى الدانتيل . لقد حولنا المهزلة كلها إلى هدف ثم

دار الهدف حولنا مثل ظلال النهار الطبيعية .

ماجى (وهى تتخيل الشيخوخة بينما لوكاس يفرغ من قطع الخيوط الأخيرة) : ماكنت لتعرفنى بعد الآن يا لوكاس ، لقد أنقذنى ، صدقنى أصبحت عندى وصية جديدة بل انى غيرت محللى النفسانى ، عندى الآن طبيب رائع ، سأعيد تحرير جميع عقودى التى لم يسبق أن حصلت منها على أجر مناسب ، سيتعاقد معى لودفيج رينر الذى لا يتعاقد حتى مع مغنيات الأوبرا إلا إذا كن فنانات بمعنى الكلمة ، كما تعرف ، مهما حاولن أن يدفعن له مالا . بل انى لم أجرؤ على أن أفاتحه ... أما كونتين فقد جعلنى أذهب ، والآن تعاقد معى ، تصور !

(وعندئذ تلتفت اذ ترى كونتين داخلا ، تستولى عليها رهبة اللحظة وينصرف لوكاس . وتلمس كارى جبهة ماجى برفق وتصلى فى صمت ثم تنصرف)

كونتين : أوه ياحبيبتى ، أنت فى غاية الكمال .

ماجى : هل أعجبتك ؟

كونتين : ماشاء الله (١) ! .... أن اجىء الى البيت كل ليلة — اليك .

(يهم بالدخول بين ذراعيها المفتوحتين وهو يضحك لكنها تلمس صدره ، تضطرب خائفة بطريقة غريبة)

ماجى : لست مضطرا الى المجىء ياكونتين ، فأنا أجىء اليك وقتما تشاء .

---

(١) فى الأصل : Good God ! ، وليس فى العربية ما يقابل هذا التعبير افضل مما لجأنا اليه . (المترجم) .

كونتين (تجرحه كلماتها لكنه يحاول أن يضحك مرة أخرى) : انما أنت لاتستطيعين أن تصدقى أن شيئا طيبا يحدث بالفعل . لكنه شيء حقيقى ياحبيبتى ، انت زوجتى .

ماجى (بنبرة خوف خافتة فى صوتها) : أريد أن أقول لك شيئا .

كونتين : اعرف الكفاية .

ماجى (وهى تفلت يدها من يده) : أريد أن أقول لا أكثر .

كونتين : حبيبتى ، انت دائما تفصحين عن أشياء جديدة ، لكن هذا الكلام لم يعد يعنينى .

ماجى (مسرورة وكطفل يريد عناقا للنهاية) : ولكن سبب ذهابى الى المحلل النفسانى لم احكه لك ابدا .

كونتين (مبتسما علاوة على توقعه شرا) : طيب ، ماهو ؟

ماجى : لانك قلت أن واجبنا أن نحب ماحدث ، أليس كذلك ؟ حتى الأشياء السيئة ؟

كونتين (جادا عندئذ كى يجارى حدة كلامها) : أجل قلت .

ماجى : أنا ... كنت مع رجلين ... فى نفس اليوم .

(وقد حولت عينيها عنه)

أعنى نفس اليوم ، فاهم ، لكننى لم أتحقق من هذا الا فى تلك الليلة . انتابنى فزع شديد ...

(توشك عندئذ على البكاء وتنظر اليه ذليلة وقد تطهرت بطريقة غريبة) .

سأحبك دائما يا كونتين لكن اياك ان تخشى كلام الناس ، نستطيع أن نقول لهم أننا غيرنا رأينا ، ثم نستقل السيارة وربما نذهب الى أى فندق ...

كونتين : انظرى ياحبيبتى ، لم تكونى أنت ...

(يمد يده ليمسك يدها مرة أخرى)

ماجى : لكن لعلى كنت على نحو ما ... لا أدرى .

كونتين : حبيبتى ، الناس جميعا يفعلون أشياء من شأنها أن ....

(إلى المستمع بادراك مفاجىء)

خذ ، هذا جزء من الموضوع ، جزء منه ...

(مستديرا اليها)

إن أى حدث فى ذاته ياعزيزتى ليس مهما ، ولكنى المهم هو ما يعود عليك منه ، ومهما حدث لك فهذا هو ما عاد عليك منه ، وأنا أحب هذا !

(بسرعة الى المستمع وعلى عجل)

أجل ، المسألة هى أننا تآمرنا على خرق الماضى ، والماضى مقدس ، أقدس ما فيه أهواله .

(مستديرا مرة اخرى الى ماجى)

و .... هناك ... شىء آخر أيضا ....

ماجى (بأمل الآن) : يجوز .... بل أنه سيجعلنى زوجة أفضل ، تمام ؟

كونتين : (بأمل مداراة للألم) : هذه ابلغ طريقة للكلام .

ماجى : (بسعادة وهى ترى ثمرة الفزع) : لأننى لست فضولية ، لعلك تندهش ، هناك كثير من النساء يبتسمن للرجال ولا يدرى ازواجهن ابدا ، لكنهن فضوليات ، أما أنا فاعرف ان عندى ملكا ، أعرف !

(يظهر موكب زفة ، فيشتت رؤياها الضعيفة ويتناول يدها)

يوجد أناس ... سيتخذونك مادة للضحك .

كونتين : ليس بعد الآن ياعزيزتى ، سيرون ما أراه ، هيا .

ماجى (دون أن تتحرك معه) : ماذا ترى ؟ قل .

(يفلت الكلام رغما عنها)

لأننى اعتقد .... انك خجلت ذات مرة ، أليس كذلك ؟

كونتين : رأيت عذابك ياماجى . وما أن رأيته أول مرة حتى انزاح كل الخجل .

ماجى : هل خجلت ؟

كونتين (بصعوبة) : أجل ، لكنك انتصار ياماجى ، لنفسك ولى ، وللجميع بشكل ما.

(يقبل يدها)

صدقينى ياحبيبتى ، أنت كالراية بالنسبة لى ، أنت بشكل ما دليل على أن الناس يمكن أن ينتصروا .

ماجى : وأنت .. لن تنظر أبدا الى أيه امرأة أخرى ، معقول ؟

كونتين : حبيبتى ، ان الزوجة يمكن أن تحب ، ولم يحدث لك أن رأيت هذا ، ولكن ....

ماجى (باحتدام صراع جديد) : ومع هذا لماذا قبلت فيما مضى تلك الا لزى ؟

كونتين : مجرد تحية ، فهى ترمى ذراعيها على الناس دائما .

ماجى : لكن .... لماذا تدعها تحتك بك ، بجسدها ؟

كونتين : (يضحك) : لم تكن تحتك بـ ....

ماجى : (وهى تقهر قلقا بالغا) : رأيت هذا ، وكنتما تقفان هناك .

كونتين : (محاولا أن يضحك) : كانت لفتة لاتعنى شيئا ياماجى .

ماجى : لكنك أبلغتنى بنفسك أنه يجب على أن أبحث عن المعانى وراء الأشياء ، أليس كذلك ؟ أتريدنى أن أكون كما كنت من قبل ؟ كأن شيئا لايعنى شيئا ... هل الأمر كله ضباب فى ضباب ؟

(وعندئذ تتوسل وقد حسبت نفسها مخدوعة)

انما أحاول أن أفهم ، يجب ألا تضحك . لماذا تركتها تفعل ذلك ؟

كونتين : جاءتنى وألقت بذراعيها على ، فماذا كان بوسعى أن أفعل ؟

ماجى (تظهر عليها ومضة غضب ملىء بالازدراء) : ماذا تعنى ؟ كان عليك أن تقول لها ؛ كفى .

كونتين (مندهشا) : أنا .... لا أحسبك تريدين اتخاذ مثل هذه اللهجة ياعزيزتى .

ماجى (وقد خافت نتيجة أنها كشفت عن جانب محرم) : أتخذ مثل ماذا؟

كونتين (محاولا أن يمسح الفكرة) : حبيبتى ، انما أنت خائفة ،

والخوف يضخم كل تهديد ، هيا ، انهم ينتظرون .

(تضع ذراعها فى ذراعه ويستديران للانصراف)

ماجى (والدموع تكاد تطفر من عينيها) : علمنى ياكونتين ، فلست أدرى كيف أكون .

كونتين : أجل ياحبيبتى إننا الآن فى سبيل أن تكون ، كلانا يريد أن يكون .

(يشرعان فى التحرك كأنهما فى موكب)

ماجى : لأنه لا يوجد أحد هنا ... بالقرب منى ... أنا هنا كالغريب ، لو أن أمى أو أبى أو أى شخص آخر ممن كانوا يحبوننى ...

كونتين : اهدئى ياعزيزتى .... الجميع هنا يعبدونك .

ماجى (عندئذ تتحدث وهى تواصل السير بمشية الموكب لكنه يبقى الى الخلف محدقا فيها . ثم تمضى اليه وذراعها لايزال معقودا كما سبق لكن فى الهواء عندئذ) : إنى اعتذر اذا كانت لهجتى قد نمت عن هذا ، لكنك تريدنى أن اصرح بما أحس به ، أليس كذلك ؟ اسمع ، إننى إلى وقت أن عرفتك لم يحدث أن صرحت بشىء ، كأنك وهبتنى أحساساتى لأقول ماقلت ياكونتين . وأنت لاتريدنى أن ابتسم مثل غالبية النساء ، أليس كذلك ؟

(تكون لويز قد ظهرت أثناء حديثها)

كونتين (فى عكس اتجاه رؤية لويز) : بلى ، قولى ماتحسين ، الحق فى صفك ، قوليه دائما .

(تختفى لويز)

ماجى (مترددة لكنها تتقدم) : أنت لا تتأبط ذراعى .

كونتين (وهو فى منتصف المسرح عندئذ ومستديرا ناحية الفضاء الخالى) : أنا ياحبيبتى ، أنا معك !

ماجى (بينما تغيب فى الظلام) : سأكون زوجة صالحة ....

كارى : فليبارك الله هذه الطفلة !

ماجى : لا أحس بهذا ياكونتين .

كونتين (كلاهما خائب الرجاء ويقول بتوسل اليها) : أنا متأبط ذراعك ، ألا ترين الجميع يبتسمون لك ويعبدونك ؟ أنظرى الى فتيان الأوركسترا وهم يرسمون بأصابعهم علامة النصر . الجميع يحبونك فلماذا أنت حزينة ؟

(يخفت لحن الزفاف فجأة ويصدر من الاعماق البعيدة للمسرح ، وهيئتها غير محددة المعالم . تنادى وهى تضحك)

ماجى : إنها مفاجأة ، أتعجبك ؟ ... لقد عجلوا بها بينما كنا بعيدا .

كونتين (صمت طفيف وهما منفصلان بمسافة توازى نصف المسرح . والحوار مركز عندئذ ، مثل الزمن الذى يمر فى الذهن بسرعة) : أجل ، جميلة !

ماجى : أترى كيف جعلت غرفة الاستقبال تبدو أوسع ؟ أريد أن أزيل هذا الجدار أيضا . موافق ؟

كونتين (دون أن يواجه اتجاهها فيقول ردا على مايذكره من المواقف) : لكننا فرغنا على التو من تركيب هذه الجدران .

ماجى : حسن ، ليس للمال قيمة . اريدها كبيرة مثل قلعة لك . وأنت تريدها جميلة ، أليس كذلك ؟

كونتين : انها بديعة ياعزيزتى ، لكن .... ربما ننتظر حتى العام القادم بالنسبة للجدار الآخر ، فنحن متأخرون فى تسديد الضرائب ياحبيبتى .

ماجى : لكننا قد نموت غدا ، اعتدت أن تقول : مكتوب على جبينى كلمة واحدة . لماذا لايمكن أن تكون جميلة الآن ؟ سأحصل على هذا المال كله فى السنة القادمة .

كونتين : لكن اسمعى ياعزيزتى ، أنت مدينة به كله تقريبا ...

ماجى : كونتين ، لا تحمل المستقبل كما تحمل « فازة » — المس الآن ، المسنى ، إنى لك ، وموعدنا الآن .

كونتين : ليكن ، اهدميه ، جمليها ، اهدميه الآن ، لعلى حذر أكثر من اللازم ... سامحينى .

(يسمع صوتها فجأة فى لحن تؤديه كلاما . يبتسم ابتسامة فرح صامتة)

ماجى : حبيبتى ، هذا رائع .

(تظهر عندئذ مرتديه « بلوزة » وثوبا طويلا ضيقا وحذاء بكعب عال ، وهى تصغى وتخطو . يظهر عديد من العازفين فى حلل غامقة ، وهم يصغون بعناية)

ماجى : كلا ، قل الحق ، لقد توقف هذا البيانو عن العزف ، أنت لا تصغى .

كونتين : لكن ، لن يلحظ أحد هذا أبدا .

(يتحرك عازف بيانو من بين مجموعة العازفين ويقترب منها)

ماجى : إنى أعرف الفرق . ألا تريدنى أن أكون صالحة ؟ لقد أبلغت وينشتين أننى أريد جونى بلوك لكنهم جاءونى بهذا المدعو الذى يتولى ضبط الايقاع ، لا يوجد من يصغى الى ، أنا أضحوكة !

كونتين : لا بأس ياعزيزتى ، لعلى اذا تباحثت مع وينشتين ...

ماجى : كلا ، لا تربك نفسك بالتدخل فى شغلى الحقير ، فعندك قضية هامة .

كونتين : وينشتين ، تعاقد لها مع جونى بلوك (١) .

(تعزف الموسيقى لحنا آخر ويبدو صوتها سريعا واثقا)

هاهو ذا الآن ! اصغى الآن !

(تصغى هى بلهفة ويكاد هو ألا يتمالك نفسه)

أترين ، لا داعى للانزعاج ، كل ما عليك أن تبلغينى ... سأتباحث مع هؤلاء الناس فى أى وقت ...

ماجى : أوه ، اشكرك ياحبيبى ، شايف ؟ انهم يحترمونك . سل لودفيج ، فما إن تدخل الاستديو حتى يلعلع صوتى ، أوه ، سأكون زوجة صالحة ياكونتين ، كل ما هناك أن أعصابى تثور أحيانا لدرجة أننى ...

(تجلس بينما تكف الموسيقى عن العزف)

---

(١) انه يتذكر هنا بالطبع ، وينادى وينشتين تلبية لطلبها . (المترجم)

لا أجاب لك سوى مشاكلى . لكنى أريد أن تكون مادتى جيدة
فكل ما يعنيهم هو التفكير فى الاثراء من ورائها .
(يختفى العازفون)

كونتين : بالضبط ياعزيزتى ، كيف يمكنك أن تبحثى لديهم عن احترامك
لنفسك ؟ هيا ، لم لا نخرج فى جولة ؟ لم نعد نمشى أبدا .
(يجلس القرفصاء بجوارها)

ماجى : أتحبنى ؟

كونتين : بل اعبدك . كل ما أتمناه أن تسعدى فى حياتك .

ماجى : كونتين ، أنا أضحوكة تدر مالا .

كونتين : أحسب أن الحال ستتغير رغم هذا ، عندك الآن فرقة عظيمة
وجونى بلوك وأحسن طاقم من العازفين .

ماجى : لا لشىء الا لأننى كافحت فى سبيلها ، أتظن أحدا منهم يأتى
الى ويقول : اسمعى ياماجى ، انت سبب كل هذه الثروة التى
حققناها ، والآن نريدك أن تهتمى بنفسك ، فماذا يمكننا أن
نفعل من أجلك ؟

كونتين : حبيبتى ، أنهم يبيعون السندويتشات إذا وجدوا أنها تدر مالا
أكثر ، فكيف يمكنك أن تبحثى عن الحب لديهم ؟

ماجى (وحيدة) : لكن أين أبحث ؟

كونتين (مضطربا) : ماجى ، كيف تقولين هذا ؟

ماجى (تقف – ثمة ريبة متأصلة الآن) : حين دخلت الى الحفل لم

تطوقني بذراعيك وأحسست كأني واحدة من تلك الزوجات أو ما أشبه .

كونتين : حسن ، كان دونالد صن منهمكا فى الحديث وأنا ...

ماجى : وما أهمية هذا ؟ المهم أنني دخلت الحجرة ، انه يشتغل عندى ولست أنا التى أشتغل عنده .

كونتين : لكنه يقوم باخراج استعراضك فى التليفزيون ، لهذا كنت أصغى اليه بأدب .

ماجى : لست مضطرا الى الخجل مني ياكونتين ، من حقى أن آمره بايقاف تلك النكات القبيحة أثناء البروفة . ألمجرد أنه مثقف أصغيت اليه ؟ أنا التى يدفع الجمهور لسماعها لا دونالد صن ، سل لودفيج رينر عن قيمتى ؟

كونتين : لقد تزوجتك ياماجى ، لست محتاجا الى محاضرات لودفيج عن قيمتك .

(تنظر اليه بعينين غريبتين وبضحكة غريبة)

ماجى : لماذا ... لماذا أنت بارد هكذا ؟

كونتين : لست باردا ، انما أحاول أن أشرح ماحدث .

ماجى : طيب ، احتضنى ، لاتشرح .

(يحتضنها وتلقى عليه بتعليمات وهى متألمة) ..

ليس بهذا الشكل ، احتضنى .

كونتين : سنخرج فى جولة ياعزيزتى . هيا بنا .

ماجى (بضعف) : ماذا حدث ؟

(تظهر لويز وهى تلعب بالورق لعبة الصبر)

كونتين : لا شيء ....

ماجى : لكن ياكونتين ... يجب أن تنظر إلى أكثر ... أعنى اعتبرنى موجودة أو ما أشبه ، مثلما اعتدت ان تنظر من قلبك .

(تختفى لويز . تتحرك ماجى حتى تغيب فى الظلام وقد وهنت عزيمتها وهنا شديدا)

كونتين (وحيدا) : أنا أعبدك ياماجى ، متأسف ، لن يحدث هذا مرة أخرى ، أبدا ! أنت تحتاجين الى حب أكثر مما كنت أتخيل ، لكنى أملكه ، سأجعلك تلمسينه وحين تفعلين ستذهلين الدنيا !

(يغمر المنطقة ضوء وردى . تبرز ماجى فى « روب » منزلى وهى تشير الى نافذة غير مرئية)

ماجى : انها مفاجأة ، أتعجبك ، شايف الخامة ؟

كونتين : أوه ، بديعة ، ما رأيك فى هذه ؟

ماجى : كل ماعليك هو أن تغلقها وعندئذ تغطى الشمس السرير كله باون وردى ...

كونتين (باحثا عن الفرح) : أجل جميلة .. أترين ؟ المجادلة لا تعنى كارثة ، أوه ياماجى ، لم أعرف أبدا معنى الحب ...

(يحتضنها)

ماجى (ومعنوياتها تهبط شيئا فشيئا) : حتى فى أثناء النهار ... لو فكرت فى الحضور الى البيت فى النهار لأمكننا أن نتواصل ...

(تنهى كلامها وهى تجلس فى ضعف وتكمل كمن تشتاق الى البيت)

كما حدث فى السنة الماضية ، أتذكر ؟ فى أمسيات الشتاء ؟
حين جئت ذات مرة وكان الثلج لايزال على شعرك ، فاهم ؟ ..
هذه حقيقتى كلها ياكونتين .

كونتين : ... سأحضر الى البيت بعد ظهر غد .

ماجى : طيب ، قل ان شاء الله (١)

(يضحك لكنها تنظر اليه نظرة متفرسة . تموت ضحكته)

كونتين : ماذا حدث ؟ ... أنظرى ، لست أريد أن أخفى شيئا بعد الآن ياحبيبتى . الصدق ينجى ، تذكرى هذا دائما — خبرينى ما الذى يضايقك ؟

ماجى (وهى تهز رأسها وتفكر) : لست زوجة صالحة . أنا أعطلك عن عملك كثيرا .

كونتين : كلا . ياعزيزتى . ماقلت هذا الا لأنك ...
(يجاهد كى يدارى امتعاضه الحقيقى)
لمحت بعض التلميح الى أننى تهاونت مع التليفزيون وعرضتك لهذه الغرامة وأننى لم أنجح سوى فى تخفيضها الى ٢٠ الف دولار .
كان لهم حق فى المطالبة بمائة حين امتنعت عن الغناء .

ماجى (بغضب متزايد) لكن ألا يمكن أن أكون مريضة ؟ كنت مريضة .

كونتين : أعرف ياعزيزتى . لكن الطبيب رفض أن يوقع الشهادة المرضية .

---

(١) فى الأصل Don't plan it أى لاترتب أو دعها للظروف ، لكننى آثرت هذا التعبير العربى لما فيه من تحديد ودقة . (المترجم)

ماجى (تهيج فى وجهه) : كان جنبى يؤلمنى بحق المسيح ، لم أكن أستطيع الوقوف على قدمى ! .... أنت لاتصدقنى ، أليس كذلك؟

كونتين : ماجى ، ما أقوله هو الوضع القانونى .

ماجى : سل لودفيج عما كان يجب أن تفعله ، كان يجب أن تدخل هناك وأنت تزأر بدلا من التساهل والأدب والشهادات المرضية و ..

كونتين (مجروحا) : لا تقولى هذا ياماجى .

ماجى : طيب ، اسأله فأنت لاتعرف معنى حقوق النجمة ، اننى أدر الملايين على أولئك الناس !

كونتين : ماجى ، كنت أحسب دائما أننى محام ماهر ...

ماجى : لست أقول أن لودفيج محام .

كونتين : أعرف يا عزيزتى ، لكنه كان يأتى دائماً بهذه الحلول الجريئة بل انه فى المرتين أو الثلاث التى حاولت فيهما أن أضيق عليه الخناق بالخصوصيات كانت رئتاه تمتلئان بالأكسوجين « ويتنهد » .

ماجى : أنت الآن مجروح ، ولست أستطيع أن أقول أى شىء .

كونتين : حسن ، يا عزيزتى ، أنا أساهم بأربعين فى المائة من وقتى فى مشاكلك ...

ماجى : لست تساهم .

كونتين (مذعوراً من أنها لا تعرف ــ منفجراً) : ماجى ، عندى سجل ، فأنا أعرف ما الذى أضيع فيه وقتى ...

(تنظر إليه وهى تهز رأسها وقد جرحت جرحاً خطيراً والدموع

ترقرق فى عينيها . تمضى إلى زجاجة وتصب منها)

متأسف يا حبيبتي ، لكن حين تتحدثين بهذه الطريقة أحس أنني أحمق ... بعض الشيء ، لا تبدأى فى الشراب ، أرجوك ...

(تشرب)

أنظرى ، لست أعترض على الوقت الذى أضيعه فأنا سعيد بتضييعه لكنه —

ماجى : ماكان يجب أن أتزوج أبداً .. كنت أعرف هذا . فما إن يتزوج الرجل حتى يتغير كل شيء ، ما من رجل عرفته إلا وكان يكره زوجته .

كونتين : عزيزتى ، حديثنا ينتهى دائماً إلى نفس الشيء ، أترين ، والآن أنصتى إلى .. (يديرها)

لا زلت تتصرفين على أساس أنك وحيدة يمكن التخلص منك وأقل معارضة لرغباتك تزلزل الأرض ، لكن ...

ماجى : علمتنى أن أتكلم بصراحة ياكونتين ، وحين أفعل تثور .

كونتين : لست ثائراً ، فأنا ضائق الصدر لأنك على ما يبدو — عاجزة عن الاحساس بالفرح فى حياتنا .. ، إن أعظم سعادة لى هى حين أعرف أنني عاونتك فى أن تبتسمى ، فى أن —

ماجى : لكن السبب الوحيد لرغبتى فى التقدم هو أن تكون فخوراً بى حتى يمكنك أن تقول : أترون ؟ لقد وجدتها مخبولة ضائعة بعض الشيء ، فانظروا . انظروا ماذا أصبحت ماجى . كل هذا من أجلك .

كونتين : إذن فيم نتجادل ، كلانا يريد نفس الشيء ، ألا ترين ؟
(فجأة إلى المستمع)
القوة ، أجل القوة ، القوة لأن ... دقيقة واحدة ، الفكرة كانت في رأسي ، ثم تاهت مني ...

ماجي (وهي تصب كأساً أخرى) : لهذا لعل أفضل شيء هو أن أحصل على محام .. عارف ؟ أي رجل غريب .

كونتين (صمت طفيف مجروحاً) : موافق .

ماجي : ليس في هذا أية اساءة لك ، لكن ، اسمع ، مثل تلك الفتاة التي في الاوركسترا ، عازفة الشيلو تلك — أعني أن اندى تقاضى أكثر من اللازم مقابل تشغيلها لكنه كان يجب أن يدخل ويطردها . أعني ألا تضحك حين تخرج مغنية عن اللحن ؟

كونتين : لكنها قالت أنها سعلت .

ماجي (بغضب شديد) : لم تسعل ، بل ضحكت ، وألم تقف أنت هناك تقهقه لنكاتها الارستوقراطية بحق المسيح ؟ ألأنها اشتركت مرة في عزف سمفونية ؟

كونتين : ماجي ، لقد وقفت على مقربة كي آخذك ، وقد حييتها ثم —

ماجي : لن أنهي ذلك الشريط إذا بقيت في هذه الفرقة غداً . أنا —
(بلهجة آمرة)
من حقي أن أفرض شروطي يا كونتين ، ولست مضطرة إلى استعطاف أي مخلوق ، أريدها أن تطرد .

كونتين (بهدوء) : لا بأس ، سأتصل بونشتين في الصباح .

ماجى : لن تفعل فأنت مؤدب أكثر من اللازم .

كونتين : فعلتها من قبل يا ماجى مع ثلاث أخريات فى ثلاث فرق مختلفة .

ماجى : طيب ، وما الغرابة ؟ أنت زوجى ، المفروض أن تفعل هذا ، أليس كذلك ؟

كونتين : لكنى لا أستطيع التظاهر بأننى استمتع بطلب الطرد للناس .

ماجى : لكن ، لو كان الأمر يخص ابنتك لغضبت ، أليس كذلك ؟ بدلا من التماس العذر لها ؟

كونتين (يتأمل الأمر) : أعتقد أننى سأغضب ، أجل ، متأسف ، سأفعل ما تريدين فى الصباح ...

ماجى (بحرارة يائسة) : هذا كل ما أعنيه ، فلو أننى أردت شيئاً فعليك أن تسأل نفسك لماذا ، لماذا تريده ؟ لا لماذا يجب ألا تناله ، هذا هو السبب فى أننى لا ابتسم ، فأنا أحس أننى أناضل طول الوقت كى أجعلك تفهم ، إنك أشبه بغلام صغير لا ترى السكاكين التى يخفيها الناس ...

كونتين : أرى السكاكين ، لكن ... الأمر يحدث بنفسه مرة أخرى . لا زلت لا تصدقين أنك لست وحيدة .

ماجى : إذن ، خلنى أصدق .

كونتين : إننى أحاول يا حبيبتى ، لكنك أحياناً تقولين شيئاً يصدنى ، وأنا لست بارداً معك يا ماجى .

ماجى : لم أعن أنك بارد ، كل ما فى الأمر أننى رأيت مثل هذه الأشياء الفظيعة يا كونتين ، وأنا لم أحك لك أبداً معظمها .

كونتين : لكن يا حبيبتى كل هذا راح وانقضى ، وعندك الآن زوج يحبك .
(صمت . يبدو عليها الخوف البالغ)

ماجى : لكنه لم ينقض كله ، فحين تقول لى أمك أننى آخذة فى السمنة أعرف وضعى ، كذلك حين تقف أنت أمام الأمر مكتوف اليدين .

كونتين : لكن ماذا بوسعى أن أفعل ؟

ماجى : توبخها ، هذا ما تفعله .

كونتين : لكنها تقول أى شىء يخطر بذهنها يا عزيزتى ...

ماجى : لقد أهانتنى ، انها تغار منى .

كونتين : بل تعبدك يا ماجى ، تعبدك .

ماجى : ما الذى تحاول ادخاله فى ظنى ؟ أنى مجنونة ؟

كونتين : لماذا ينتهى كل شىء إلى —

ماجى لست مجنونة .

كونتين (بحرص شديد) : لم يخطر بذهنى هذا الخاطر ، يا حبيبتى ، سأتحدث إليها .

ماجى (وهى تقلده ساخرة كما لو كان ضعيفاً) : « سأتحدث إليها » ، إنها تكرهنى .

كونتين : سأطلب منها أن تعتذر .

ماجى : لكن ، أغضب قليلا على الأقل .

كونتين : لا بأس ، سأغضب .

(تشرب)

ماجى : لن أذهب إلى العمل غداً .

(تتمدد على السرير كما لو كانت منهكة)

كونتين : لا بأس .

ماجى (وهى تنهض قليلا) : هل تعرف أن هذا ليس لا بأس ؟ أنك تموت خوفاً لأنهم سيقاضوننى . لماذا لا تصرح بهذا ؟

كونتين : لست أموت خوفاً ، كل ما فى الأمر أنك رائعة جداً فى هذا الاستعراض ومن الخسارة أن —

ماجى (جالسة بغضب شديد) : كل ما يعنيك هو المال ، لا تخدعنى .

كونتين (وهو يسكن غضباً شديداً فيها — وصوته ثابت للغاية) : ماجى ، لا تستخدمى معى هذه اللهجة ، هلا فعلت ؟

ماجى : أتسميننى سوقية ، أى أننى أتحدث مثل سائق لورى ، طيب ، هذا أصلى ، أنا فتاة الزنوج وأبناء بورتريكو وسائقى اللورى !

كونتين : إذن لماذا تفصلين الناس بهذه السهولة ؟

ماجى (وعيناها تضيقان وهى تراه على خلاف ما كانت تراه) : اسمع ، انت لا تريدنى ، فماذا تفعل هنا بحق الجحيم ؟

كونتين : (بسيطرة بالغة متهدجة) : أعيش هنا ، وأنت أيضاً ، أنت لا تعرفين هذا بعد ، لكنك ستعرفين ، أنا —

الأب : إلى أين هو ذاهب ، إنى احتاج إليه ! ماذا تظن نفسك ؟

كونتين : أنا هنا ، مصر على موقفى ، هذا هو أنا ، وسيجىء يوم تفهمين

فيه ، والآن اذهبي للنوم ، سأعود بعد عشر دقائق ، فأنا أريد أن أتمشى .

ماجى : أين ؟

كونتين : حول العمارة لا أكثر .

(ترقبه بعناية . يرى ريبتها)

لست أعرف سواك يا فتاة ، إنما أريد أن أتمشى .

ماجى (بريبة كبيرة) : لك ما تريد .

(يسير بضع ياردات ، يتوقف ، يستدير ليراها وهى تتناول زجاجة أقراص وتفك السدادة)

كونتين (عائداً) : لا يمكنك أن تتنـــاولى أقراصاً منومة بعد الويسكى ، يا عزيزتى. (وقد أمسك بالاقراص فتنتزعها منه لكنه يمسكها مرة أخرى ويضعها فى جيبه)

هذا ما حدث آخر مرة ، لن يحدث مرة أخرى أبداً ، سأعود حالا .

ماجى (تصب فى الكأس مرة أخرى) : لماذا ترتدى هذا البنطلون ؟

(يستدير عائداً إليها وهو يعرف ما سيحدث)

قلت لك أن حجره ضيق جداً .

كونتين : حسن ، فصلوه هكذا ، لكنى أستطيع أن أتمشى به .

ماجى : قلت لك إن الرقعاء يرتدون بنطلونات كهذا .

(ينظر بعينين مذهولتين)

إنهم يجذبون بعضهم بعضاً بها .

كونتين : أتسميني رقيعاً الآن ؟

ماجى (مخمورة جداً) : كل ما فى الأمر أنني عرفت رقعاء ، بل إن بعضهم لم يعرفوا أنهم كانوا رقعاء . ولا أعرف ما إذا كان لديك علم بهذا أم لا ؟

كونتين : هذه طريقة مدمرة لإعادة الثقة بنفسك يا ماجى .

ماجى (وهى تترنح بشكل خفيف) : مسموح لى أن أقول ما أراه . . .

كونتين : أتحاولين أن تجعليني أطردك ، أهذا ما تريدين ؟ هل يصبح الحلم حقيقة ؟

ماجى (وهى تشير إليه ، إلى تحكمه) : ما غرضك من هذا ، أن تكون قوياً وصامتاً ؟ أعنى ما غرضك ؟

(تتعثر وتسقط . لا يبدى أية حركة لانهاضها)

كونتين (واقفاً عند رأسها وهو يدرى تماماً أنها دون مستوى الفهم) : والآن ، اخرج ، هه ، كل شيء حقيقى مرة أخرى ، هه ؟

(ينهضها غاضباً)

ماجى (وهى تفلت منه) : أعنى ، ما غرضك ؟

(وهى تخطو متعثرة . يمسكها ويضعها على السرير بخشونة) : ما غرضك ؟ أعنى ما الحكاية ؟

(تقف على قدميها مرة أخرى)

هل ستنتظر حتى أتقدم فى السن ؟ أتعرف ما قاله لى اليوم سائق آخر من سائقى التاكسى ؟

قال : سأعطيك خمسين دولاراً ...

(تفر من عينيها دمعة واضحة حارة ومتناقضة)

أتعرف قيمة الخمسين دولاراً بالنسبة لسائق تاكسى ؟

(يتأثر بألمها الذى يغطى على غضبه)

إذهب ، تستطيع أن تذهب ، بل أستطيع أن أسير فى خط مستقيم .
شايف ؟ شايف ؟

(تسير وذراعاها ممدودتان للأمام واحدى قدميها تتقدم الأخرى)
إذن ما الحكاية ؟ هه ؟ أعنى ، ما الحكاية ؟ أعنى ، أتريد أن أرقص ؟ أتريد أن أرقص ؟

كونتين : أرجوك ، لا تفعلى هذا .

ماجى (تستدير إلى الحاكى وهى تلهث وتخطو حوله وهى تهز ردفيها) :
أعنى ، ماذا تريد؟

(لم يكن هو ينظر إليها ، وإنما كان يحلق بعيداً عنها وعندئذ يسير متعثراً ويمسك بها ثم يضعها على السرير)

أعنى ، هل ستنتظر حتى أتقدم فى السن ؟ أم ماذا ؟ أعنى ما غرضك؟
ما الحكاية ؟

(ترقد وهى تلهث ، يحدق فيها ، وهو يخاطب المستمع :)

كونتين : لو كان هناك حب ، فأنه بلا حدود ، حب ليس بأية حال لأشخاص وإنما حب أعمى ، يعمى عن الإهانة ، يعمى عن الرمح إذا غرس فى الجسد ، أعمى كالعدالة العمياء ...

(تظهر فيليس . يرفع كونتين ذراعيه إلى أعلى شيئاً فشيئاً ، ثم

يبقيهما على حالهما لكن وجهه مقطب . ومرة أخرى تسأل ماجى ..
من السرير وهى نصف نائمة :)

ماجى : هه ؟

(تختفى فيليس ، يخفض ذراعيه ، وهى متعطشة لاجابته ، بينما
تستطرد ...)

أعنى ، ماذا تريد ؟ لماذا لا تنصرف ؟ أعنى ، ما الحكاية ؟

(يظهر الأب)

الأب : ماذا تظن —

(يهز كونتين رأسه وتنبعث من فمه كلمة نفى غير محددة ، يظهر
دان)

دان : هذه الأسرة تسندك دائماً ، يافتى ، وأى شيء تحتاجه ما عليك
إلا أن ...

(يظهر ميكى ، فيتحرك كونتين نحوه)

ميكى : ان يعود كلانا ، يالو ، أنت وأنا معا ، وندلى بالأسماء .

كونتين (وهو يهز رأسه متخاصاً مما يرى بينما يحس فيه زيفاً ويصرخ ،
وفى هذه الأثناء يختفى الأب ودان) : كلا ، كنت أعانى من هذا
الذى تدير ظهرك باسمه ! رأيته واضحاً ، رأيت الاسم !

(يظهر لو إلى أعلى — ويسمع صوت قطار المترو مقترباً ، ويبدو
كأنه يسقط من فوق رصيف ويصدر عن الفرامل صرير مزعج
بينما هو يصرخ)

: كونتين !

(يختفى ، وكذلك ميكى ، يعقد كونتين يديه وراء رأسه ، يضىء البرج بينما ...)

كونتين (بمستوى جديد من الفزع الغاضب) : باسم من ؟ باسم من الملطخ بالدم تنظر فى وجه كنت تحبه ، وتقول : الآن ثبت أنى محتاج له ، أتموت الآن وأنت فى ورطتك ؟ لقد كان لهذا اسم ، كان له ...

(تظهر الأم ، فى أقصى المسرح خلف ظهره ، منحنية بشكل لا يكاد يرى ، وهى ترتدى ثوباً مما كانت ترتديه النساء قبل الحرب الأولى ، وتنادى بهمس غريب)

الأم : كونتين ؟ كونتين ؟

(تمضى داخل الظل بسرعة ، ويسرع ناحيتها ، خائفاً)

كونتين : هه ؟ هه ؟

الأم : أنظر ما احضرناه لك من أتلانتيك سيتى ! من الملاهى !

(يلفه هدير هائل لأمواج متلاطمة ، وتختفى الأم وينسكب ضوء القمر على الكورنيش)

كونتين : ... على شاطئ المحيط ! فى ذلك الشاليه . تلك الليلة الماضية .

(تسير ماجى فاقدة التوازن ناحية حافة الكورنيش وهى ترتدى ثوباً ضيقاً شفافاً يجسم جسدها ، وفى يدها زجاجة ، وشعرها يتدلى على وجهها ، ثم تقف وصوت تلاطم الأمواج يطغى من حولها . وعندئذ تهم بالسير مترنحة على حافة الكورنيش ، ويهرول

هو إليها ويمسكها بيديه ، وتستدير ببطء فتراه ، وعندئذ يسمع صوت موسيقى الجاز ناعماً)

ماجى : كنت محبوباً ، يا كونتين ، لم يحصل رجل سواك على مثل هذا الحب أبداً .

كونتين (وهو يفلت يديها منه) : هل قالت لك كارى أننى اتصلت ؟ لم تستطع طائرتى الاقلاع طوال النهار ...

ماجى (مخمورة ، لكنها واعية) : شرعت حالا فى الانتحار .

(تمر أمامه ، يصمت ، تستدير)

أم لعلك لا تصدق هذا أيضاً ؟

كونتين (بهدوء مطلق ، منفصلا ، لكن دون عداء) : أنقذتك مرتين ، فلماذا يجب ألا أصدق ؟

(يمضى ناحيتها)

هذه الرطوبة تضر حلقك ، يجب ألا تخرجى إلى هنا .

ماجى (تجلس بحرارة وساقاها يتدليان) : أين كنت ؟

كونتين : فى شيكاغو ، قلت لك ، فى عقار هاتاواى .

ماجى (باستخفاف) : عقارات !

كونتين : حسن ، يجب أن أسدد ديوننا قبل أن أنقذ العالم .

(يدخل حجرة النوم ، وهو يخلع سترته)

ماجى (من الكورنيش) : ألم تسمع ما قلته ؟

كونتين : سمعته ... لن أخرج إلى هناك ، ياماجى ، الجو شديد الرطوبة .

(تنظر أمامها لحظة ، مفتوحة العينين على ما فى لهجته من حياد ، ثم تنهض وتسير إلى داخل الحجرة مترنحة ، أما هو فيخلع رباط عنقه)

ماجى : ماذا يعنى كل هذا ؟

كونتين : لا أكثر من أننى سأنام ، فأنا متعب جداً ، لا أحس أن حرارتى مرتفعة .

ماجى : متعب .

كونتين : نعم . يمكننى أن أتعب أيضاً .

ماجى : مسكين .

كونتين : لم أعد مسكيناً ، كلا .

(يجلس على السرير وهو يفك حذاءه . وتحس هى بالموقف فتجلس على مقعد وزجاجة الأقراص فى يدها)

ماجى (كتتحدى له) : لم أحضر البروفة اليوم .

كونتين : لم أحسب أنك فعلت .

ماجى : اتصلت بونشتين ، لن أعمل تحت اشرافه بعد الآن ، لا يعنينى أن كان لديه عشرة عقود . واتصلت بشبكة التليفون ، لن أؤدى هذا الاستعراض السخيف ، لست مدينة لهم بغض النظر عن الوعد الذى جعلنى أقطعه على نفسى ، أنا فنانة ، ليس المفروض أن أؤدى استعراضات سخيفة ، مهما كانت قيمة العقد .

كونتين : ماجى ، أنا لم أعد محاميك البتة ، اعرضى الأمر على —

ماجى : عرضته عليه ، وسيخلصنى من كلا العقدين ، دون أية مقاضاة أيضاً .

كونتين : شيء لطيف . سأنام فى حجرة الاستقبال . لابد أن أستريح .

(يهم بالخروج)

ماجى (ممسكة بالزجاجة) : خذ ، عدها ان شئت ، لم آخذ سوى بضعة .

كونتين : لن أعد الأقراص بعد الآن ، يا ماجى ، فقد اقلعت عن القيام بدور الشرطى ، لكن إذا شئت أن تتناولى منها ، فليتك تقولين : كم قرصاً تناولت ... قبل مجيئى ، لأنهم لابد أن يعرفوا هذا فى حالة ما إذا اضطروا إلى اجراء عملية غسيل معدة لك الليلة .

ماجى (مجروحة ومذهولة) : ما هذا ؟

كونتين : لا أكثر من أننى لم أعد أستطيع أن أشد الطرف الآخر لهذا الحبل ، فأنا أرى الاعراض يا عزيزتى ، ولهذا أصارحك مقدماً ، فى المرتين الأخيرتين اللتين أنقذناك فيهما شكرتنى على انقاذ حياتك ، ثم مضى كل شيء دافئاً وحلواً لأيام ، لست محللك النفسانى ، لكن إذا كانت هذه هى طريقتك فى لم شمل سعيد ، فلا عليك منها ، أما أنا فهذه المرة سأتصل بالاسعاف ، ولهذا إذا قدر لك أن تفيقى فى المستشفى ، وذلك معناه تدخل الصحف ، وأنا أحاول أن أزيل أحد الدوافع ان كان من بينها دافع لم شمل سعيد ، لأننى لن أكون المنقذ بعد الآن ، ليس فيما أقوله لك سوى العدل ... فلم يعد من المفروض أن أفعل هذا بعد الآن ، انها أمراضك وحياتك ، وعليك أن تمسكى الحساب .

(يهم بالانصراف)

ماجى : ما ، ما هذا كله ؟ طيب ، لا تفر كما يفر الطفل الصغير ، ما هذا كله ؟

كونتين (يتوقف ، صمت) : حسن ... شيء واحد هو أننى فصلت .

ماجى : لم تفصل .

كونتين : الواقع هذه هى المرة الثانية خلال ستة شهور ، لم أعد أستطيع أن أصل إلى قرار بعد الآن ، دون أن ينهض شيء ما بداخلى وينفجر ضاحكاً .

ماجى : هذه غلطتى ، هه ؟

كونتين : ماجى ، إنما أقول لك هذا لكى تفهمى أن المسألة لم تعد ما إذا كنت ستعيشين بعدى أم لا ، ولكن المسألة هى ما إذا كنت أنا أيضاً سأعيش بعدك أم لا ، لأننى أقف بظهرى على حافة الصخرة وليس ورائى بوصة واحدة ، هذا هو الفارق الليلة يا ماجى . لهذا احذرى ما تطلبينه منى ياعزيزتى ،لأن كل ما تركته ورائى هو الحقيقة ، أتعرفين هذا الاحساس ؟

(يحدق كل منهما فى الآخر ، تفك سدادة الزجاجة وتخرج منها قرصاً وتبتلعه)

ليكن .

ماجى : ما الذى تفعله ؟

كونتين : سأنام فى الفندق الليلة ، أحسب أنك ستستريحين إذا غاب الشيطان .

(يتناول ربطة عنقه)

ماجى (يصبح كلامها أكثر كثافة لكنها مأخوذة أكثر منهما مخمورة) :
لا ... تفعل هذا .

(ينظر إلى وجهها الشاحب)

أرجوك ... أجلس ...

(تشير إلى مقعد مثلما فعلت حين التقيا أول مرة لكن بطريقة كاريكاتورية لتلك الدعوة)

هلا جلست ... فقط إلى أن ... أنام ؟ أرجوك ؟

كونتين (برقة ، متأثراً) : موافق إذا تمددت ونمت ...

ماجى : سأ .. أتمدد هنا ، شايف ؟

(تذهب إلى السرير بسرعة وهى تقبض على أقراصها بيدها .. وتتمدد)

شايف ؟

(يجلس فى مواجهتها على بعد باردة ... سكون)

أتذكر ؟ كيف اعتدت أن تحدثنى حتى استغرق فى النوم ؟

كونتين : لقد جلست إلى جوارك أياماً وأسابيعاً فى فترة ما يا ماجى ، لكنك لا تذكرين أبدا. لقد صحبتك فى نزهات طويلة بالسيارة كى أخفف عنك ، أبحرت بك حول الخليج ساعات ، بينما مكتبى يقلب الدنيا بحثاً عنى ، لكنك لا تذكرين إلا الأشياء السيئة ...

ماجى : هلا مكثت ... نحو خمس دقائق ...

كونتين (صمت ... يحاول منع نفسه من البكاء) : أجل ...

ماجى : (صمت طفيف ... وفجأة تضع الأقراص على الأرض) : شايف؟
لن أتناول منها شيئاً .

(يصمت) .

كان لدى ... خمسة عشر قرصاً تقريباً فيما أظن ، بل تستطيع أن تأخذ الزجاجة إذا شئت .

كونتين (دون حقد ، شارحاً) : لا أريد الزجاجة ، لم أعد أمثل دور الشرطى .

ماجى : أرجوك ، لا تتصل بالاسعاف .

كونتين : إذن لا تتناولى أقراصاً أخرى ، كل ما فى الأمر آننى لا أستطيع أن أخوض التجربة وحدى مرة أخرى ، وقد أعذر من أنذر (١) ...

ماجى (صمت طفيف) : ستعود إلى زوجتك السابقة .... صحيح ؟

كونتين : كلا ، لقد ... كنت هناك ...

ماجى : ماذا إذن ؟

كونتين : (صمت طويل) : حسن ، أول شىء يجب أن أفعله هو .. أن أجىء بأحد ليرعاك ...

ماجى : (بعناية شديدة) : ماذا تعنى ، بيرعانى ؟

كونتين (صمت ، يشرع فى لمس وجهه نتيجة اجهاد بالغ) : تباحثت مع طبيبك بعد ظهر اليوم ..

ماجى (وفزعها يزداد) : حول ماذا ؟

---

(١) فى الأصل : and I am telling you . (المترجم)

كونتين : لم أشأ أن أجرى هذا الحديث حين كنت ـ

ماجى : سمعت كل شيء . عم تحدثت مع طبيبي ؟ أتراك ستودعنى فى مكان ما ، أهذا هو الموضوع ؟

كونتين : كلا ... لكنك يجب أن توضعى تحت الرقابة الطبية ... يجب ألا أكون معك بعد الآن ، الواقع أنه كان يجب ألا أكون معك منذ سنة على الأقل ...

ماجى : طيب ، والآن حققت ماكنت تريد ، أليس كذلك ؟

كونتين : كلا ... العكس بالضبط ... لكننا يجب ألا نتناقش بعد الآن ...

ماجى (بابتسامة مصرة عارفة) : لن تودعنى فى أى مكان يا حضرة .

كونتين : ليس لى دخل بهذا ياماجى ... الأمر بينك وبينه .

ماجى : لماذا ؟ ماذا تراك تقول له ؟

كونتين : أنت تريدين أن تموتى يا ماجى ، وأنا لم أعد أعرف كيف أحول بينك وبين ما تريدين ، ربما كان السبب فى ذلك مجرد وجودى فى العالم الواقعى لمدة أربع وعشرين ساعة أخرى ، ولكن خطر لى أننى الهو بحياتك نتيجة لأمل غبى بعض الشيء .. أمل فى أن تفيقى فجأة من هذه الغيبوبة اللانهائية .. أعتقد أنه لابد من وجود شخص ما معك ، شخص ليست لديه وساوس من هذا النوع ... ولا يفعل أكثر من أن يحول بينك وبين ما تريدين . ربما يحول دونه قليل من الحب لكن أنى لك أن تعرفى يا ماجى ؟ أتراك تعرفين بعد من أنا فصلا عن اسمى ؟ ألست أمثل كل ما فى العالم من شرور ، كل الخيانات .. كل الآمال الخائبة .. والانتقام المميت ؟

ماجى : وكيف يحدث هذا ؟ رقصة التانجو تحتاج إلى اثنين يا بنى ...

(تفتح الزجاجة بامتعاض ... يقف فى الحال)

كونتين : لن أبقى هنا ان تناولت أكثر مما تناولت ... وخاصة بعد الويسكى.. هذه هى الطريقة التى حدث بها ما حدث فى المرة السابقة ..

(تفرغ بعض الأقراص فى راحة يدها .. وتتقدم إلى الأمام)

حسن ، كارى فى غرفتها ، طلبت منها أن تتردد على الحجرة بين لحظة وأخرى .. وإذا رأت الاعراض فعليها أن تستدعى الاسعاف. طابت ليلتك ...

ماجى : لن تستدعى الاسعاف فهى تحبنى .

كونتين : ولهذا ستستدعى الاسعاف ، هذا ما كان يجب أن أفعله منذ عامين ، إلا أننى لم أكن أعرف ما أعرفه الآن ...

ماجى (متهكمة) : وما الذى تعرفه الآن ؟ أنت مدلل ، فما الذى تعرفه ؟

كونتين : الانتحار يقتل شخصين ، يا ماجى ، هذه مهمته ولهذا سأنفض يدى ، فربما يفقد فعاليته ...

(تبدو كأنها تمعن التفكير لحظة ثم تتناول قرصين بحرص وتبتلعهما)
لا بأس ...

(يسير فى عزم إلى مؤخرة المسرح ، وعندما يصل إلى مسافة بعيدة تتحدث هى ...)

ماجى : (بلهجة جديدة، فيها نعومة لا تنم عن عداء) : من هو لعازر (١)؟

(يقف دون أن يستدير نحوها .... تنظر حولها باحثة عنه وهى لا تدرى أنه قد انصرف) .

كونتين ؟

(تهب جالسة فى الفراش وقد بدا عليها بعض الاضطراب حين لا تبصره)

كوين (٢) ؟

(يقطع نصف المسافة عائداً)

كونتين : أقامه المسيح من الموت ... كما يقول الانجيل ... والآن عودى إلى نومك ...

ماجى : ما معنى هذا ؟

كونتين : قوة الإيمان .

ماجى : وما شأن عديمى الايمان ؟

كونتين : لا يملكون سوى الارادة ...

ماجى : و لكن كيف تحصل على الارادة ؟

كونتين : أن يكون لديك إيمان ...

ماجى : أريد بعض التفاح .

---

(١) جاء فى الانجيل أن المسيح اقامه من الموت بعد اربعة ايام من وفاته .. يوحنا ـ ١١ . (المترجم)

(٢) كونت وكوين اسما تدليل لكونتين كما هو واضح . (المترجم)

(يبتسم .. يستدير مرة أخرى كي ينصرف)

أريد مزيداً من دهان البشرة .

(يستدير إليها مرة أخرى ولا يجيب)

أين ثوب عيد ميلادى ؟ آه لو استرد عافيتى ؟ ماما ؟ أريد أمى .

(تنهض جالسة .. تنظر حولها وكأنها تحلم .. تستدير فتراه)

لماذا تقف هناك ؟

(تنزل من الفراش زائغة البصر ... وتقترب منه ثم تحملق فى وجهه وقد تجدد وجهها بالتعبير)

أنت ... أتريد شيئاً من الموسيقى ؟

كونتين : هدئى من روعك ... أرقدى .. سأدير بعض الموسيقى ...

ماجى : كلا ، أنت ، اجلس أنت ... اخلع حذائيك ، أعنى استرح لا أكثر ، لست مضطراً إلى أن تفعل أى شىء .

(تذهب إلى الحاكى وتديره فتنبعث منه موسيقى الجاز)

أكنت نائمة ؟

كونتين : لفترة وجيزة .. فيما أظن .

ماجى : أكانت .. أكان هنا أحد سواك ؟

كونتين : كلا ... أنا فقط .

ماجى : أهناك دخان ؟

(ترتمى بذراعيها على صدره فى فزع .. يسير معها راقصاً ببطء كى يعيدها إلى فراشها ...)

كونتين : لقد ماتت أملك ... وانتهى أمرها ... لم تعد تستطيع أن تمسك بسوء ... لا تخافى .

ماجى (بصوت طفل عديم الحيلة) : أين ستودعنى ؟

كونتين (تكاد أن تفلت من صدره صرخة) : لن أضعك فى أى مكان .. يا عزيزتى ، إنه هو الذى سيبحث معك الأمر حتى تنتهيا إلى قرار ...

ماجى : شايف ؟ سأرقد .

(ترقد)

شايف ؟

كونتين : عظيم .

ماجى : أتذكر كيف اعتدت أن تحدثنى إلى أن استغرق فى النوم ؟

كونتين : أجل ، يا عزيزتى .

(يجلس بجوارها على الفراش)

ماجى : (تجاهد كى تفيق باحثة عن وضع مريح أخاذ) : هل الطقس جميل فى شيكاغو ؟

كونتين : أجل ، جميل جداً .

(تكاد الصورة الكاريكاتورية ، لما هما فيه من أنس تنسيهما العالم)

أكان الطقس جميلا هنا ؟

ماجى : (تأخذ نفساً عميقاً غريباً) : أجل ، وقد وفدت بعض الطيور ، وفأر أيضاً .... خذ الأقراص ان شئت ...

كونتين : (يقف) : سأستدعى كارى لتأخذها ...

(يهم بالتحرك)

ماجى (وهى تقبض على الزجاجة) : كلا ، لن أعطيها لكارى .

كونتين : ولماذا تريدينى أن آخذها ؟

ماجى (تمد يدها إليه بها) : خذ ...

كونتين (صمت) : أتفهمين ما يحدث يا ماجى ؟ الآن ؟ الآن ؟ أتحاولين أن تجعلينى أنا الفاعل ؟ آخذها فنتعارك وبعدئذ أتخلى لك عنها ... هل أكون أنا الذى قدم لك الموت ؟ أتفهمين ما يحدث ؟ إنك تعدينى لارتكاب جريمة قتل ... أتفهمين هذا ؟

(يتحرك إلى الخلف)

ولكنى سأرحل بعيداً الآن ... حتى لا تصبحين ضحيتى بعد الآن ... لن يفعلها سواك ، وبيدك ...

ماجى (تسحب يدها ببطء وهى تنظر إليه) : ما أردت أن أكون عظيمة ، إلا لكى تحس أنت بالفخر ...

كونتين : ولصالحك أنت ، يا عزيزتى ، لصالحك على الأغلب ، لقد كنت طموحة وهذا ليس جريمة ... كان بوسعك أن تكونى ما شئت دون حاجة إلى ...

ماجى (على وشك البكاء) : نفد صبرك ، أليس كذلك ؟

كونتين : صحيح ... أجل ...

ماجى : ولهذا كذبت ... أليس كذلك ؟

كونتين : أجل ، كنت أكذب كل يوم ، نحن منفصلان تماماً ...

ماجى : كنت ترغب فى عاهرة سعيدة ، أليس كذلك ؟

كونتين : امرأة ليست عاهرة بل سعيدة ، أجل ... لم أكن أرغب فى كثير من المتاعب .

ماجى : ولكن المسيح أحبها (١) أليس كذلك ؟

كونتين : من هى ؟

ماجى : لعازر ؟

كونتين : (صمت ، يفهم حالتها) : هذا صحيح ... أجل ، أحبها لدرجة أنه أقامها من الموت ... ولكنه المسيح ، أتفهمين ؟

(تظهر فيليس رافعة ذراعيها تباركه)

قوته هى الحب بلا حدود ... ولكن عندما يجرؤ المرء على محاولة الوصول إلى هذا ...

(يكون قد تحرك نحو فيليس دون أن يفقد صدقه)

فإنه إنما يسعى إلى القوة ، إن الذى يذهب كى ينقذ شخصاً آخر ... بأكذوبة ، فهذا الحب اللانهائى إنما يلقى ظلا على وجه الله ... والله هو ما يحدث ... هو ما هو كائن ، وكل من يحول بين امرأة وأخرى وحقيقتها فهو لا يحبها وإنما هو ..

(يقطع كلامه)

---

(١) واضح أنها ليست فى وعيها ، ومن ثمة فهى تخلط بين أن يكون لعازر رجلا أو امرأة وقد اقتضت حالها ان يجاريها كونتين فى خلطها حتى لا تناقشة (المترجم)

ثم أنها قالت ...

(يعود إلى ماجى وهو يرفع صوته محاولا اثارتها)

ثم انها قالت ! ...

ماجى (تحاول أن تمحو شريطاً سينمائياً تراءى أمام خواطرها) : ولكن ، ولكن .. هل سيجدنى أبى إذا أودعتنى ؟

كونتين : كلا ...

ماجى : كلا ... اعنى .. ما هى الفضيلة ؟

كونتين (فى عناء محاولة التذكر) : أن تقولى الحق ...

ماجى : كلا ، كلا ، ولو على نفسى ...

كونتين : أجل ...

ماجى : (تستدير إليه — مظهرها يدل على الجنون بينما الحقيقة خالصة من كل قيد)

لا بأس ؟

(يتجمع فى عينيها بكاء ، كما لو كانت تعرف عندئذ فقط أن الطريق مسدود)

أنا أسمعك ، استشف ما وراءك .... كونتين ؟ حبيبى ... إنى أسمعك ، احك لى ما حدث .

(تكشف دموعها عن صحة عقلها ويبكى هو مواجها إياها)

كونتين (على شفا الهاوية) : ماجى ، كلانا .... استهلك الآخر ...

ماجى (باكية ، مستصرخة) : لست أنا ، لست أنا !

كونتين : أجل ، أنت وأنا بكينا كي نعيش ، والآن بكينا ، وأحب كلانا براءة الآخر كأننا نحب بما فيه الكفاية مالم يكن موجوداً عساه أن يغطى ما كان موجوداً ... لكن ثمة ملاكاً يعيد إلينا ليلا ونهاراً ما نريد بالضبط أن نفقده ، ليس هناك مادة كيماوية يمكن أن تقتله ، ليس هناك ظلام حتى يجعله يضل طريقه ، ولهذا يجب عليك أن تحبيه ، انه يصون الحق فى العالم ، أما أنت فتأكلين هذه الأقراص كما تأكلين القوة ، لكن ما فعلته هو وحده الذى ينقذك ، لو أنك فقط قلت : « لقد كنت قاسية » لانفتحت هذه الحجرة المرعبة ، ولو أنك قلت : « لقد لعبوا بى الكرة ، لكنى بالنسبة للآخرين مجرد فاسقة لاعذر لها ، وكنت أدعو زوجي بالأبله فى الأماكن العامة وكنت أنانية تماماً رغم كرمى ، وقد أذانى صف طويل من الرجال لكننى تعاونت مع الذين ظلمونى ... »

ماجى (وقد كانت تتلوى فى غيظ) : أنت ابن زانية !

كونتين : أنا مفعم بالكراهية ، أنا يا ماجى يا حبيبة العمر العزيزة — أكره العالم !

ماجى : اخرج من هنا !

كونتين : أنا أكره النساء ، أكره الرجال ، أكره كل الذين سوف لا يسجدون عند قدمى معترفين بحبى اللانهائى إلى الأبد والأزل ...

(تفرغ حفنة من الأقراص فى راحة يدها ، يتحدث بيأس دون أن يحاول بطبيعته أن يأخذ الأقراص منها)

ارميها فى البحر ، ارمى الموت فى البحر ، واشربى بدله حياتك واستهزاءك بالحياة الكريه الخائن الفاسد ، هذه القوة هى الموت

يا ماجى ، افعلى أصعب شىء فى الوجود ... واجهى كرهك وعيشى ...

(ترفع يدها دون أن تنبس بكلمة ناحية فمها المفتوح ... لايستطيع أن يمنع يده ويمسك رسغها)

ماجى : ماذا تعمل ، أقاض ملعون أنت أم شىء آخر ؟ دعنى وشأنى ، لا تصلح قاضياً ...

(يدعها)

أنت تعرف متى كنت أريد أن أموت .. حين قرأت ما كتبته أيها القاضى بعد شهرين من زواجنا ، يا أيها القاضى .

كونتين (مأخوذاً خائفاً لكن بلا تبكيت) : لا داعى للكذب فليست بضع كلمات مكتوبة على قصاصة من الورق هى التى دمرتنا ، لقد قلت لى أنك حاولت أن تموتى قبل أن تقابلينى بزمن طويل .

ماجى : يعنى ، ألم تكن موجوداً ، هه ؟ بل لم أكن قابلتك ... ؟

(تحاول أن تضحك)

أنت جبان ، جبان !

(تترنح وهى واقفة . يجد من العسير أن ينظر إليها مباشرة ، ثمة خط واضح من الاتهام يبدو يسكن أعصابها مؤقتاً ... وتقف دون اهتزاز والأقراص فى راحة يدها)

كنت أظن أننى زوجة لملك يا ابن الزانية ... كنت أبحث عن قلم حبر كى أوقع به بعض الاوتوجرافات ، فقصدت مكتبه ...

(تتحدث عندئذ ناحية مصدر غير مرئى من مصادر العدالة وهى

تحكى عما لحق بها من ضرر)

حيث مقعده الخالى ، حيث يجلس ويفكر فى مساعدة الناس ، وجدت خطه ، أردت أن أتحسس خطه فاذا بى أجد بضع كلمات...

(تقرأ فى الهواء بالحرف الواحد تقريبا وبنفس الدهشة الاصلية)

« الشخص الوحيد الذى سأحبه الى الابد هو ابنتى ، وأمنيتى هى أن أجد طريقة مشرفة للموت »

(وعندئذ تستدير اليه)

متى ستواجه هذا يا أيها القاضى ؟ أتذكر كيف أغمى على ووقعت ؟ على السجادة الجديدة ؟ أتذكر ؟ هذا هو ما قتلنى يا أيها القاضى ، أليس صحيحا ؟

(تتقدم ناحيته ، وهى تترنح وتقول فى وجهه)

أليس هذا صحيحا ؟ متى ستواجه هذا يابنى ؟

كونتين (صمت ، يصارع اتهامه وذنبه) : لا بأس .... أعيدى الاقراص الى مكانها ..... سأقول لك الحق عن هذا ...

ماجى : لن تقول الحق .

كونتين : سأقول الآن ....

(يحاول أن يرفع يدها تجاه الزجاجة وهو يمسك رسغيها)

بوسعك أن تمسكى الزجاجة وما عليك الا أن تعيدى الاقراص الى مكانها .

ماجى (وهى تقبض بيدها على الاقراص) : لكن هذا هو السبب ، معقول ؟

كونتين (بصعوبة) : سنرى ... أعيديها الى مكانها أولا .

(تدعه يعيدها الى مكانها .. فى الزجاجة ولكنها تحتفظ بالزجاجة ، وتجلس على الفراش محملقة وهى تمسكها بكلتا يديها)

ماجى (تأخذ نفسا عميقا) : أنت كذاب ...

كونتين (فى صلابة هادئة ازاء أدانته لنفسه) : لقد أقمنا أول حفل لنا فى بيتنا وحضره بعض الناس المهمين وكبار العاملين فى شبكة التليفزيون والمخرجون ...

ماجى : وكنت خجلا منى .... لا تكذب الآن .... لا زلت تدعى انك اله ... هذا ماقتلنى يا كونتين !

كونتين : لا بأس .. لم أكن .. خجلا .. كنت ... خائفا .

(صمت)

كنت أشك فى أن يكون لاحدهم .... ماض معك ...

ماجى : (مندهشة) : لكنى لم أكن أعرف واحدا منهم ...

كونتين : (دون أن ينظر اليها) : وكيف أعرف ؟ لكنى أقسم لك أننى وصلت الى الحد الذى لم يعد لشيء قيمة فى نظرى ، فما كان بوسعى أن أتخيل ما سبب لى الخجل .... لكن فات الأوان ، لقد كتبت ذلك ، وكنت مثل كل الاخرين الذين خانوك وليس لى أبدا أن أكون محل ثقة مرة أخرى ....

ماجى (وهى تهز رأسها فالامر كله واضح معزز بالبراهين) : لم تعطنى فرصة أبدا ....

كونتين (مستهلكا ، يائسا من أقل حل) : فعلت ياماجى — لكن بعد

فوات الأوان . عرضت حياتى للخطر من أجلك ولكن فات الأوان .

ماجى (بمزيج من الاتهام لكن بتعاطف واضح) : لماذا كتبت هذا ؟
(تجهش بالبكاء مرة واحدة)

كونتين : لأنه بعد انصراف الضيوف انقلبت أنت على فجأة ، ووصفتينى بالبرود وبأننى لا أبالى بك .... وللمرة الاولى رأيت عينيك بهذا الشكل تحسان بالخيانة وتصرخان بالشكوى من أننى جعلتك تحسين بأنك غير موجودة ....

ماجى : لاتخلط بينى وبين لويز ....

كونتين : هذه هى المشكلة .... كونى أستطعت أن أوجه نفس الاتهام الى امرأتين تختلف كل منهما عن الاخرى كل الاختلاف ... وضعنى هذا فى دائرة مغلقة ، أردت أن أواجه أسوأ ما أستطيع أن أتخيله ، وهو أننى عاجز عن أن أحب ، ولهذا كتبت ماحدث على شكل خطاب .... من الجحيم ....
(تفرغ اقراصا فى يدها مرة أخرى)
حسن ، لقد قلت الحق .... الى ابعد مدى .... فماذا تريدين أكثر من هذا ؟
(تهم بأن ترفع يدها الى فمها ، يخطو متقدما اليها ويمسك رسغها)
ماذا تريدين أكثر من هذا ؟
(تنظر اليه بعينين خاليتين من التعبير)
لا بد أن يحس كل منا بشىء من الخضوع للآخر ، كلانا ولد

مكونا من أخطاء عديدة ... والمخلوق الآدمى يجب أن يعفو عن نفسه .... أتريدين أن أقول لك أننى قتلتك ؟ لا بأس .... أنا قتلتك والآن ماذا ؟ ماذا تريدين ....

(تدهمها طمأنينة غريبة ... تتمدد على السرير .... بينما العداء قد انحسر)

ماجى : كن انسانا .... لا أكثر .... ساعدنى .....وكف عن المجادلة ...

(تفلت يدها فتسقط على السرير)

وأشعر نحوى بالحب ... اجلس على السرير .

(يجلس)

غطنى ....

(يغطيها)

واهدم كثيب الرمل .... لن يكلفك هذا كثيرا .... فقد أردت أن أسمع هدير المحيط حين كنا نتطارح الغرام هناك .. لكننا لم نستطع أن نسمع هدير المحيط أبدا ....

كونتين : اننا مفلسان تقريبا ..... وهذا الكثيب يمنع السقف من الانهيار .

ماجى : اذن ، شيد سقفا جديدا ، أجعلهم يزيلونه ..... معقول ؟

(لا يجيب)

أشعر ببرد ، خذنى فى حضنك ....

كونتين : لا أستطيع أن أفعل هذا مرة أخرى وأنت بهذا الشكل ...

ماجى : أرجوك .... حتى استغرق فى النوم لا أكثر .

كونتين (مقاطعا) : هذه مهزلة يا ماجى ، دعى لى شيئا ...

ماجى : مجرد لفتة انسانية ، أنا أشعر بالبرد ....

(يحتضنها وهو يغالب احساسه بالاشمئزاز ويبقى رأسه بعيدا ... صمت)

ان امتنعت عن مجادلتى سأطرد ذلك المحامي الآخر .... موافق ....
ان امتنعت عن المجادلة .... فلودفيج لا يجادل ...

(يصمت)

واياك أن تقول أننا مفلسان .... اياك أن تتحدث عن الكثبان الرملية .... لأننى أحب هدير المحيط ، انه يشبه أما هائلة ، سسه ، سسه ، سسه (١)

(ينفلت ويقف وهو ينظر اليها ... عيناها مغمضتان)

أتراك ستكون طيبا الآن ؟ حقيقتى هى ... الحب ... والجنس .

(تأخذ نفسا مضطربا عميقا جدا .. يقترب منها بحرص ويحاول أن يفلت الزجاجة من يدها لكنها تقبض عليها)

لماذا لا تحتضنى ؟

كونتين (كحقيقة وببساطة) : هذا عمل يحط من قيمتى .

ماجى : لكن لو أن لعازر ...

كونتين : لست المنقذ ولست العون .... أنت لن تقتليني يا ماجى ، هذا كل ما يبرر الموضوع !

ماجى : أنت كذاب ...

---

(١) صوت هدير المحيط . (المترجم)

كونتين : لا كذب بعد الآن – لست مذنبا ، بالنسبة لحياتك ... لكنى مسئول عن حياتى .... أريد هذه الاقراص .... لا أريد أن أتشاجر ياماجى .. والآن ضعيها فى يدى ....

(تنظر اليه ، وعندئذ تحاول بسرعة أن تبتلع الحفنة التى فى يدها ، لكنه يطيح ببعضها – رغم أنها تبتلع الكثير منها . يسعى للامساك بالزجاجة لكنها تقبض عليها فيشدها ويزحزحها وترضخ للقوة فيجرها على الارض وهو يحاول أن يفتح يديها بالقوة بينما هى تتشبث به وتخربش وجهه وترتاب فى عينيه – وقوتها وحشية لم تعد تسيطر عليها ، تبتسم بغرابة وتكاد أن تضحك . يمسك برسغها ويضغط عليه بكلتا قبضتيه)

ارميها يا داعرة ، لن تقتلينى .

(تظل ممسكة بالزجاجة وهى لا تزال تبتسم بثبات عميق وفجأة وبوضوح يضغط على عنقها ويرفعها بقبضته) ؛

لن تقتلينى ! لن تقتلينى !

(تلقى بالزجاجة بينما تهرول الأم فى أقصى المسرح مندفعة الى نقطة ما وهى تنادى وفى يدها اللعبة التى على شكل قارب شراعى)

الأم : حبيبى ، افتح هذا الباب . لم أخدعك ! طلبت من فانى أن تقول لك أننا سنرحل حالما تستيقظ من إغفاءتك .... لم أخدعك .

(ينقلب كونتين بعيدا عن ماجى التى تسقط على الأرض مرة أخرى ويداه مفتوحتان فى الهواء ... أما الام فتستمر بلا توقف)

كونتين ، لماذا تفتح الحنفية بالداخل ؟

(يسمع هدير البحر .... فترتد بعيدا فى فزع)

أوقف هذا الماء ! كونتين ، سأموت لو فعلت هذا ! لقد رأيت نجما حين كنت مولودا ، رأيته نورا يشع على الدنيا .

(يقف بلا حراك بينما الأم تستسلم ليده ويأخذ فى الضغط على عنقها وتكاد أن تسقط على الأرض وهى تغالب أنفاسها . ويطلق سراحها فى فزع)

كونتين : أقاتل أنا ؟

(تسير متعثرة داخل الظلام ويداها تصليان ، وهى تهمس : « سأموت ، سأموت » ! يستدير إلى ماجى التى تحاول عندئذ أن تقف على يديها وركبتيها ، وهى تلهث .. فيهرول لمعاونتها وقد أفزعه إدراكه ، لكنها تلوح بيدها .... وتنظر اليه وهى تتكىء على مرفق واحد متخذة وضعا كاريكاتيريا ضاحكا ، وعيناها مزهوتان بالنصر ومفعمتان بالخوف)

ماجى : والآن ، كلانا يعرف . لقد حاولت أن تقتلنى ، ياحضرة . وقد سبق أن قتلنى عدد كبير من الناس ، بعضهم لم يكن يعرف حروف الهجاء تقريبا ، لكن الحال واحدة ياحضرة ، أنت تقف فى نهاية صف طويل ، طويل ، يافرانك . (١)

(يصل اليها مرة أخرى ، يائسا ، كى يعاونها فى النهوض كأنه يبعد عن نفسه الاتهام . وفى فزع تام تزحف بعيدا على الأرض)

---

(١) انها تهذى الآن ، ففرانك لابد انه واحد ممن تصدقت عليهم ، وهو يأتى على لسانها عفوا بالطبع ، بفعل الخمر . (المترجم)

لا تقترب ... كلا ! كلا ، كلا يافرانك ، إياك أن تفعل هذا .

(بحذر ، كأنها تواجه وحشا ضاريا جائعا)

إياك أن تفعل هذا .... وإلا استدعيت كونتين .

(تنظر الى اعلى وتنادى بهدوء . لكنها لاتدعه يغيب عن بصرها)

كونتين ؟ كو ....

(تقع مغشيا عليها ، وتتكوم على الأرض . وعندئذ تتنفس تنفسا عميقا غريبا ويسرع إليها ، ويقلبها على بطنها ، ويهم بعمل تنفس صناعى لها ، لكنه يهف وهو على وشك النهوض ويناحى ناحية مؤخرة المسرح) .

كونتين : كارى ؟ كارى !

(تظهر كارى ، وهى تتوسل ويداها مفتوحتان ، مغمضة العينين تقريبا ، وكأن الأمر كان وداعا أخيرا) .

أسرعى . إستدعى الاسعاف .

(تنحنى كارى كى تطرد الروح الشريرة فى ماجى)

كفى عن تضييع الوقت واستدعى الاسعاف !

(تهرول كارى إلى الخارج)

كلا ، كلا ، لقد أنقذناها ، كان هذا فى الوقت المناسب ، بالنسبة لها ، لا بالنسبة لى .. كنت أعرف سبب بقائى ، وقد حزمت متاعى فى الصباح التالى . ان طبيبها يبلغنى أنها قضت بضعة شهور فى صحة طيبة ، بل انه ظن فترة أنها ستشفى ما لم يكن ، والله يدرى ، وقع فى حبها هو أيضا .

(يكاد يبتسم ، وتختنق الابتسامة)

أنظر ، سأقول الحق فى كل ماجئت لأقوله . إن المنومات تقتل بالاختناق . والعلامة نوع من التنهد — الحجاب الحاجز مشلول .

(بمزيد من الصعوبة)

لاحظت هذا حين بدأنا نتجادل .... وأنا أعرف . ان المجادلة لا تلبث أن تهدأ عادة ، لكن ، افترض أنها لم تهدأ — إن كل ثانية يمكن أن تكون ثمينة للغاية ، فلم نضيعها فى المجادلة ؟ ما الذى يمكن أن يكون هاما لهذه الدرجة حتى تقامر بحياتها من أجله ؟

(يضىء البرج ، بشكل وحشى لايرحم)

براءتى ، أترى ؟ لكى تستر د هذا فمن السهل جدا أن تقتل .... كلا ، لاتقتل .... فأنا أريد كل شىء كما كان عليه .

(ينظر الى أعلى)

وكل هاتيك النجوم لا تزال ثابتة هكذا !! محظوظة هكذا ! بينما أنا أقف هناك ، وهى وثوانيها الثمينة تتحرك فى يدى حية كالبق ، سمعتها ، هاتيك الأنفاس غير الطبيعية العميقة ، مثل وقع أقدام سلامى المقبل — أعرف ... إننى كنت أريدها ، كيف يمكن ذلك ؟... لقد أحببت تلك الفتاة ....

(صمت طفيف)

والاسم ؟... أجل .... الاسم .

(تظهر لويز ، شابة ، وهى ترتدى ثوب المعامل ثم يظهر جميع الآخرين)

باسم من تدير ظهرك دائما ...

(ينظر ناحية الجمهور)

لكن أبا سمك ؟ باسم كونتين .... دائما ، أباسمك أنت الملطخ بالدم تدير ظهرك ؟

(تظهر هوبلجا على أعلى مستوى للمسرح)

هوبلجا : لكنهم لم يتركوا بريئا الا قتلوه ....

كونتين : أما الحب .... أيكفى الحب ؟ أى حب ، أى موجة رثاء ستصل دائما الى هذه المعرفة .... إنى أعرف كيف اقتل .. اعرف ، أعرف .... كانت نهايتها محتومة على أية حال ، لكن ، أهذا سيشفى ؟ أم هل فى الامكان ...

(يستدير ناحية البرج .... ويسير نحوه كما يسير ناحية إله مرعب) أليس غريبا هذا ؟... بالنسبة لأى مخلوق ... أنا لست بمفردى ، لا يوجد رجل لا يفضل أن يكون المعمر الوحيد فى هذا المكان بشرط أن يكون أعظم ضحاياه !.. ما الدواء !.. من ذا الذى يمكنه أن يكون بريئا مرة أخرى فوق جبل الجماجم هذا ؟ انى أقول لك ما اعرف ! ... لقد مات إخوتى هنا ....

(ينظر الى ماجى الواقعة على الارض)

لكن اخوتى أنشأوا هذا المكان وقد قطعت قلوبنا هذه الاحجار !

وما الدواء ؟

(يظهر الأب والأم ودان ، ولو وميكى — ويسلط الضوء على أناسه جميعا)

كلا ، ليس الحب ، فقد أحببتهم جميعا ، جميعا ! ودفعتهم عن رضا الى الفشل والى الموت لعلى أعيش ، بينما بادلونى وبادل كل منهم الآخر ، بكلمة ، بنظرة ، بحقيقة ، بأكذوبة — كل هذا باسم الحب !

هوبلجا : هاللو !

كونتين : لكن ماذا سيحميها ؟

(يصرخ ناحيتها)

هذه المرأة تعقد الأمل !

(تقف ، دونما انزعاج ، عاقدة النية)

أم أن هذا ...؟

(مندهشا — الى المستمع)

وبالضبط ، لماذا هى تأمل ؟ ألأنها تعرف ؟ ماذا علمتها المدن المحترقة وماذا علمنى موت الحب ؟ — لقد تعلمنا أننا خطيران جدا !

(محدقا ، وهو يتمثل رؤياه)

وهذا ، هذا هو السبب فى أننى أصحو كل صباح كما يصحو الغلام — حتى الآن ، حتى الآن ! اقسم لك أن فى استطاعتى أن أحب هذا العالم مرة أخرى ! فهل المعرفة هى كل شىء ؟ أن نعرف ، ونحن سعداء إننا نلتقى دون بركة ، لا فى حديقة

من حدائق الفاكهة الشمعية والأشجار المرسومة ، أكذوبة جنة عدن تلك ، ولكننا نلتقى بعد ، بعد السقوط ، بعد كثير من ألوان الموت . فهل المعرفة هى كل شىء ؟ (١) إن الرغبة فى القتل لم تقتل أبدا ، لكن قد نستطيع بفضل ما نملك من شجاعة أن نتبين هذه الرغبة فى أنفسنا حين تظهر ، وبضربة واحدة يمليها الحب تعفو عن هذه الرغبة كما تعفو عن أبله فى بيتك ، تفعل هذا مرة تلو المرة .... إلى أبد الدهر .

(واضح أن المستمع يقاطعه ، فينظر فى ساعته)

.... أجل ، لا أريد أن أتأخر . شكرا على إتاحة وقت لى ..... كلا ، ليست المسألة هى الوثوق ، أنا لا أحس بهذا . لكنها تبدو بالفعل عملية ممكنة التنفيذ ، لاتخف . ربما تكون هى كل ما يملكه المرء . سأقول لها هذا .... أجل ، ستعرف ما أعنيه ، حسن ، لى معك لقاء مرة أخرى فيما بعد . طاب حظك ، وشكرا .

(يستدير إلى مؤخرة المسرح . يتردد ، فكل أناسه يواجهونه ، يسير أمام لويز ، يتوقف ، لكنها تشيح بوجهها . يستمر ويتوقف بجوار الأم التى تنكس رأسها ، بأسف غير مفهوم ، وتصدر حركات كأنه لمس ذقنها ، وترفع عينيها فى وجهه وتغتصب ابتسامة ويبتسم بدوره . يتوقف عند أبيه وأخيه الحزينين وبحركة طفيفة يجعلهما — بطريقة سحرية — يقفان . توشك فيليس أن ترفع يدها لتباركه — يصافحها وهو يضع حدا لخضوعها .

---

(١) اشارة الى شجرة المعرفة والاختيار بين الخير والشر كما أوضحنا فى المقدمة . (المترجم)

يقف ميكى ولو معا ، فينظر اليهما دون أن ينظر اليه أى منهما ، لكنهما يتحركان بعيدا خلفه . وعندئذ يصل الى ماجى ، فتنهض من على الأرض وقد سيطرت عليها روحها الشريرة وهى تحاول أن تستيقظ . وتتبعه حياته فيصعد الى هوبلجا التى ترفع ذراعها كأنها تراه ، ويحب بالغ ....)

هوبلجا : هاللو !

(يتوقف على قيد ياردات منها . يتهامس أناسه جميعا فيضطر إلى شد قامته ويسير ناحيتها مادا يده)

كونتين : هاللو !

(يغمرهم الظلام جميعا)

النهاية

فهرست

ظهر فى هذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
راس الآخرين	مارسيل ايميه	د. محمد غنيمى هلال
المتوحشة	جان آنوى	د. يحيى سعد
القديسة جون	برناردشو	محمد محبوب
بلدتنا	ثورنتون وايلدر	د. محمد اسماعيل الموافى
الليلة نرتجل والجرة	لويجى بيرندللو	محمد اسماعيل محمد
الاستثناء والقاعدة محاكمة لوكولوس	برتولد برخت	د. عبد الغفار مكاوى بسيم محرم
العادلون	البير كامى	د. ريمون فرانسيس
سبع مسرحيات	يوجين أونيل	د. نعيم عطية
رومولوس العظيم	فريدرتش درنمات	أنيس منصور
ليونس ولينا، فويسك	جورج بوشنر	د. عبد الغفار مكاوى
الشياطين	جون هوايتنج	محمود محمود
قطة على نار	تنيسى وليامز	د. محمد سمير عبد الحميد
مركب بلا صياد	اليخاندرو كاسونا	د. محمود على مكى
جسر آرتا «الثمن الفادح»	جورج ثيوتوكا	د. نعيم عطية
ارض النفاق أو « كل شىء فى الحديقة »	جايلز كوبر	د. محمد اسماعيل الموافى على احمد محمود
الحب الحرام أو «المدنسة»	بينا بنتى	د. عطية هيكل
مدرسة الازواج، سجاناريل	موليير	د. حسن سيد عون
هنرى الرابع	لويجى بيرندللو	محمد اسماعيل محمد
بعد السقوط	آرثر ميللر	على شلش

تحت الطبع في هذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
اندروماك	راسين	د.طه حسين
المستجيرات	ايسخيلوس	د.علي حافظ
المستجيرات	يوريبيدس	د.علي حافظ
هيكابي	يوريبيدس	د.محمد محمود السلاموني
روميو وجوليت	شكسبير	الشاعر احمد رامي
عدو البشر	موليير	د.محمد غنيمي هلال
الحداد يليق بالكترا (ثلاثية)	أونيل	د.لويس مرقص / د.فخري قسطندي
حسب تقديرك	بيرندللو	محمد اسماعيل محمد
قيصر وكليوباطرا	برناردشو	د.اخلاص عزمي
الميجور باربارا	برناردشو	احمد النادي
« الانسان الآلي » أوا.ر.ا	تشابيك	د.طه محمود طه
حفلة كوكتيل	ت.س.اليوت	الشاعر صلاح عبدالصبور
بيكيت	جان آنوي	الاديب سعد مكاوي
لوثر	جون اسبورن	نعيم جاب الله
متعة العيش	وليم ساروبان	محمود محمود
عطيل يعود	كازاند زاكيس	د.نعيم عطية
السيد بونتيلا وتابعه	بريخت	د.عبد الغفار مكاوي
الغوريلا	يوجين أونيل	د.محمد اسماعيل الموافي
أجا ممنون	ايسخيلوس	د.لويس عوض

تحت الترجمة لهذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
عطيل	شكسبير	د. عبد القادر القط
دون جوان	موليير	يحيى حقى
سائر مسرحيات	موليير	يحيى حقى
سائر المسرحيات	اليونانية	د. على حافظ
سائر المسرحيات	اليونانية	د. محمد محمود السلامونى
حالة الحصار	ألبير كامى	د. فؤاد ذكريا
المسوسون	ألبير كامى	اسماعيل المهدوى
الجلسة سرية	جان بول سارتر	د. فؤاد ذكريا
الشيطان والاله	جان بول سارتر	د. فؤاد ذكريا
المرفه	جون أسبورن	عبدالله فريد،شوقى الكيلانى
شهادة لا تقبل	جون أسبورن	د. شوقى السكرى
سائر مسرحيات	جون أسبورن	د. شوقى السكرى
بيت آل روزمر	ابسن	د. عبد الله عبد الحافظ
الشـاذ	براندين بيهان	نعمان عاشور
الرهينة	براندين بيهان	د. عادل سلامه
جان دارك	كلوديل	د. فؤاد ذكريا
فى انتظار اليسار	كليفورد أوديتس	الشاعر محمد انعم
جريمة قتل فى كاتدرائية	ت.س. اليوت	الشاعر صلاح عبد الصبور
وكيل العمارة	هارولد بينتر	د. محمد قدال
مسرحيتان	هارولد بينتر	د. وداد حماد
الذى أو له عسل	شيلا ديلانى	عبد الله فريد
متعة الأبله	روبرت شروود	اميمة ابو النصر
الثعالب الصغيرة	ليليان هيلمان	د. محمود شكري مصطفي

تحت الترجمة لهذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
بلاتون كرتشيت	الكسندر كورنيتشوك	د.عوض جرجس
سبع مسرحيات	تنيسي وليامز	د.جمال الدين الرمادى
فاوست	بول فاليرى	عبد العاطى جلال
هبوط أورفيوس	تنيسي وليامز	د.محمد سمير عبدالحميد
مجنونة شايو	كلوديل	دولت محمد حسن
روميو وجانيت	جان آنوى	يحيى سعد
المستقبل فى االبيض أو عابر الهواء	يوجين يونسكو	صبحى شفيق
انشودة الحب العذبة	وليم ساروريان	د.وليم الميرى
حافى القدمين فى أثينا	ماكسويل اندرسون	سمير كرم
ثلاث مسرحيات شعرية	و.ب.ييتس	د.فهمى فوزى فرج
طائر البحر	تشيكوف	الشاعر عبدالوهاب البياتى
العنقاء والسيدة ليست للحريق	كريستوفر فراى	شفيق مقار
كل يتخبط	دوريس لسنج	سعد زهران
الرجل والمرآة	مارسيل ايميه	اسماعيل المهدوى
كاليجيولا	البير كامى	على عطية رزق
القصاص	وليم شكسبير	د.زاخر غبريال
أمينة ، الشركاء ، أصل فاوست	جوته	د.مصطفى ماهر
مهنة مسزوارين	برناردشو	سعد الدين توفيق
الشيطان الأبيض	جون وبستر	د.محمد عواد العسيلى
انطنيوس وكليوباطرة	وليم شكسبير	د.لويس عوض
أربع مسرحيات	ادوارد البى	على شلش

فى هذا العدد :

بعد السقوط

كونتين محام ناجح فى نيويورك ، يدهمه الشك فى نفسه فجأة بعد فشله فى زيجتين متتاليتين ، فيسأل نفسه : بأى حق أتحمل أعباء زيجة ثالثة ؟ لكن الرد على سؤاله يستغرق ثلاث ساعات ونصف ، يقوم هو أثناءها بتعرية ذهنه أمام صديق وهمى له ـ وتتكشف خلال عملية التعرية أحداث حياة كونتين وتجاربه بأسرها ، فى محيط أسرته ، مع أصدقائه ، مع النساء اللوائى صادفهن فى حياته ، مع بعض المشاكل السياسية التى واجهته .. يفعل كونتين هذا كله عن طريق التذكر والعود للماضى ، حتى ينهى « أوديسة » اكتشافه لنفسه بالعثور على حقيقته وما يؤمن به حق الايمان ، ومن ثمة يستعد للزواج مرة ثالثة .

لقد جاءت « **بعد السقوط** » بعد احتجاب دام نحو تسع سنوات ، لكنها أثبتت أن «العود أحمد» .. وبطلها كونتين يظل على المسرح بلا انقطاع عن الحوار نحو ثلاث ساعات كاملة ، وهو دور أطول من دور هاملت ..

المترجم : **على شلش** ـ أديب وناقد .

المؤلف : **ارثرميللر** (انظر المقدمة)



فى العدد القادم

الميجور باربرا

باربرا منضمة لجيش الخلاص ، متحمسة ، وهبت نفسها للفقراء ترعاهم وتساعدهم على التوبة ، ولكن مال الجيش ينفد فتضطر باربرا [illegible] أبيها صانع البارود ومن بودجر صانع الخمر . تعرف باربرا [illegible] لا مفر من أخذه لكى يستمر الجيش فى أداء رسالته . [illegible] مصانع البارود أو الموت والدمار التى يمتلكها أبوها اللقيط [illegible] هناك من نظام ونظافة وحياة رغدة وميسورة لكل عمال المص[illegible] باربرا عن جيش الخلاص وتقرر الاقامة بالمدينة النموذجية مع [illegible] أصبح الوريث لمصانع الاسلحة .

ان المسرحية تمثل الصراع بين المثالية الرومانسية والوا[illegible] الراسمالية والاشتراكية ، وفيها كذلك تحليل للفقر وال[illegible] والعقاب والاعتراف والتحايل باسم الدين والتمسك بقشو[illegible] وللمسرحية مقدمة طويلة بقلم المؤلف وأخرى توضيحية تحليلي[illegible]

المؤلف : **جورج برناردشو**

المترجم : **أحمد السيد النادى** ـ مدرس اللغة الانجليزية بآداب عين شمس